فكر
غرامشي

مختارات

١

جمعها : كارلو سالنياري
ماريو سبينيلا

تعريب : تحسين الشيخ علي

دار الفارابي - بيروت

فكر غرامشي

مختارات

جمعها : كارلو سالنياري
ماريو سبينيلا

تعريب : تحسين الشيخ علي

دار الفارابي - بيروت

جميع الحقوق محفوظة

دار الفارابي

١٩٧٦

مقدمة

انطونيو غرامشي ، هو ـــ بلا ادنى شك او مبالغة ـــ اكبر مفكر عرفته ايطاليا في القرن الحالي ، وهو كذلك من اكبر المفكرين الشيوعيين الذين عرفتهم اوروبا كلها في قمة ازمتها الفكرية ـــ السياسية في مطلع القرن ، بالاضافة الى انه واحد من اولئك القلائل الذين جسدوا فكرهم نضالا عمليا يوميا ودؤوبا ، وكان من اهم ثمرات هذا النضال تأسيس غرامشي للحزب الشيوعي الايطالي ، مع مجموعة من رفاقه الذين انشقوا عن الحزب الاشتراكي الايطالي الاصلاحي ، وذلك في مطلع عام ١٩٢١ .

ويكاد فكر غرامشي يكون مجهولا في العالم العربي لقلة ما ترجم منه حتى الان . ونظرا لان هذا القليل الذي ترجم لـــم يتبع منهجية تعريفية بفكره ، فقد سعينا الى ان تكون هذه المختارات « مدرسية » ، اذا صح التعبير ، بحيـــث تصلح كمدخل للتعرف الى فكر انطونيو غرامشي بشكل شامل يمكن للقارىء الانطلاق منه للتعرف ، في خطوة تالية ، الى انطونيو غرامشي وكتاباته وأفكاره بشكل أعمق ، والدخول في بحر فكره الفلسفي الشيوعي العميق .

رغم ان الالتزام السياسي كان ، عند غرامشي ، هو العنصر المسيطر في حياته ، فقد ترافق هذا الالتزام باهتمام عميق بالثقافة ، والبحث ، والابداع ، والاعتقاد بان التحول الثوري للمجتمع يتطلب — لكي يكون تحولا ثوريا حقيقيا — « اصلاحا فكريا واخلاقيا » ، كما يقول هو نفسه في احدى مقالاته .

ولكن طريقته في فهم الثقافة لم تكن ابدا متحررة كليا من القيود ، بمعنى انه لم يفهم الثقافة معزولة عن وقائع الحياة . على العكس من ذلك ، كان غرامشي يصر دوما ، سواء في خضم معاركه السياسية ام في فترة التأمل الطويلة خلال سنوات السجن ، على ان الصلة الحية بالواقع هي التي تمنح الافكار والافتراضات ونتائج الدراسات ، حتى التفصيلية منها ، ذلك البعد الابداعي الذي ينتشلها من خطر المدرسية والاكاديمية ، وهو الخطر الذي كان يبرز بشكل خاص في التقاليد التعليمية والفكرة الايطالية . بل ان غرامشي يبدو ، في مقالاته العديدة التي كرسها لمشاكل المدارس والتعليم ، أقرب ما يكون الى المطالب الدائمة للشباب بتجديد النظم التعليمية وجعل التعليم اكثر التصاقا بالواقع الحقيقي ، المحلي والعالمي ، وهي المطالب التي ما زالت ، حتى يومنا هذا ، تشغل أوسع المجالات في نقاش انظمة التعليم ومناهجه .

هذا الموقف لغرامشي قاده ، مذ كان طالبا في المدرسة الثانوية في جزيرة ساردينيا ثم طالبا جامعيا في مدينة تورينو بشمال ايطاليا ، الى الاهتمام العميق بأوضاع الفلاحين والعمال ، اي بالاكثرية المطلقة من الشعب الايطالي ، او بالشعب المنتج لكل تلك الثروة المادية التي بدونها يستحيل قيام ثقافة او معالجة فكرية . ولهذا فانه لم يأخذ ابدا الدراسة التقليدية و« تثقيف نفسه » ، كما كان متبعا ، باعتبار ان « التثقيف » هو امتياز اجتماعي ، بل كان

غرامشي يعتبر الثقافة ثروة لا يمكن ابراز قيمتها الحقيقية الا بوضعها في خدمة الشعب وتطويره . انها كالنقد الورقي ، قيمته في تداوله .

لذلك لم يكن مستغربا ان يصبح التاريخ هو نقطة الاهتمام الاكثر جاذبية لغرامشي، رغم اهتماماته وميوله الادبية. وكتب غرامشي في رسالة وجهها الى ابنه دليو يقول : « كتبت لي دوما عن كل اهتماماتك في المدرسة ، واعتقد انك تحب مادة التاريخ ، كما كنت احبها أنا عندما كنت في مثل سنك لانها تتعلق بالرجال الاحياء ، ولا شك في انك تحب كل ما يخص الرجال ، أكثر ما يمكن من الرجال ، كل رجال العالم الذين يتحدون فيما بينهم داخل اطار المجتمع ، والذين يعملون ويناضلون ويطورون أنفسهم » التاريخ الذي أحبه غرامشي اذن هو التاريخ الذي يعرف التقاط التحركات العميقة للقوى الاجتماعية والسياسية، أي ما كان كارل ماركس ، الذي استوحى غرامشي فكره ، يسميه « الصراع الطبقي » .

الامر الذي كان يشغل بال غرامشي أكثر من غيره هو محاولة فهم الحاضر من خلال الماضي ، ذلك الحاجز الذي تتجه القوى التقدمية والثورية الى تحسينه وتغييره من خلال العمل السياسي. هذه الحاجة الملحة الى التجديد كانت جزءا من طبيعة غرامشي، اذا صح التعبير. فقد ولد غرامشي في عائلة فقيرة ، في جزيرة فقيرة ومستغلة ، ورأى في تورينو الصناعية الشكل المحدد والبارز للاستغلال ، الذي يمكن تلخيصه بكلمات قليلة : العمل المأجور الذي يقوم به العمال .

بالنسبة لغرامشي ، الطالب والمفكر ، الذي فهم بعمق واقع الطبقة العمالية ، كان هذا يعني شيئين اثنين : ضرورة الانخراط بشكل ناشط وفعال في حزب عمالي ، وضرورة السعي لاقامة علاقة وثيقة ، شخصية ايضا ، مع عمال تورينو . واستطاع غرامشي بتنفيذه هاتين النقطتين

المطروحتين أمامه أن ينتمي الى « مدرسة الطبقة العمالية » كما يقول هو نفسه . فاتحدت لديه المعرفة النظرية بالخبرة العملية وانصهرتا معاً فعملتا على تكوين وتنمية شخصيته كمفكر كبير وكقائد سياسي كبير . ولا يمكن ، في الواقع ، فصل أحد هذين المظهرين في شخصية غرامشي عن المظهر الاخر . وهو ما حاولته وفشلت فيه الفئة المحافظة في عالم الثقافة الايطالية فور نشر مؤلفاته ، وما حاوله وفشل فيه بشكل أخص بينيديتو كروتشي،الفيلسوف الذي كان له تأثير كبير في تكوين فكر غرامشي ، وكانت له حصة ايضا في الجدل معه .

لقد كان الالتقاء بين التطور الفردي والتطور الاجتماعي حاضرا دوما عند غرامشي ، وربما أكثر بروزا عنده عنه لدى بقية اتباع الفكر الماركسي . يقول غرامشي في مؤلفه « المادية التاريخية وفلسفة بينيديتو كروتشي » : « لقد اصبح معروفا انه لا يمكن فهم الانسان الا على اساس حياته في المجتمع ، ومع ذلك فانه لا يتم إستنباط النتائج الناجمة والضرورية ، بما فيها تلك الفردية . ولقد اصبح معروفا ان وجود مجتمع إنساني معين انما يفترض مسبقا وجود مجتمع معين للاشياء ، وان وجود مجتمع انساني ما امر يمكن فقط في حال وجود مجتمع معين للاشياء . وصحيح إنه اعطي لهذه الاجهزة فوق الفردية ، حتى الان ، معنى ميكانيكيا وحتميا ، اذ يجب وضع مبدأ تكون فيه كل هذه العلاقات فاعلة ومتحركة ، مع تحديد واضح للمركز الذي يحتله في هذه الفاعلية وعي الانسان الفرد الذي يعرف ، ويريد ، ويعجب ، ويبدع ، باعتباره اصلا يعرف ويريد ويعجب ويبدع .. الخ ، وبالتالي فانه لا يؤخذ معزولا بل غنيا بالامكانات التي يوفرها له الاخرون ويوفرها له مجتمع الاشياء الذي لا يمكن الا ان تكون له به معرفة معينة . (كما ان كل انسان هو فيلسوف ، وكل انسان هو عالم .. الخ) » . في هذه الفقرة ، وفي فقرات اخرى من مؤلفه المذكور نرى كيف يفهم

غرامشي العلاقة الديناميكية بين العالم الطبيعي والعالم الاقتصادي ــ الاجتماعي والفردية ، وبأي اصرار وقوة يعمل على ابراز اللحظة الفاعلة والمبدعة عند الانسان ، وذلك في جدل واضح مع ما يسميه ، في الفقرة المستشهد بها هنا، « الميكانيكية » و« الحتمية » .

ان الميكانيكية والحتمية ، اللتان تعتبران الطبيعة والمجتمع والانسان الفرد خاضعين بقوة لتصرفات محددة لا تتغير ، في تسلسل « ميكانيكي » للاسباب والنتائج، شكلتا وجهة نظر الثقافة الفلسفية اليقينية الايجابية للقرن الماضي، وانتهتا الى التأثير حتى على تيارات غير ثانوية من التيارات الماركسية . احدى نتائج هذه التأثيرات كانت ظهور الفكرة القائلة بان الوصول الى الاشتراكية امر لا بد منه وانه سيتم اوتوماتيكيا بسبب تناقضات المجتمع الرأسمالي نفسها، وعن هذه الفكرة نجمت السلبية الجوهرية في التنظيمات السياسية للطبقة العمالية بانتظار الوصول الى لحظة « انهيار » الرأسمالية .

وكان فلاديمير ايليتش لينين قد وقف بقوة ، داخل الحركة العمالية الثورية الروسية ، ضد هذا المفهوم الخاطىء ، وساهم موقفه الصلب من هذه النقطة في جعل الحزب البلشفي هو المحرك الاساسي وقائد الثورة الروسية عام ١٩١٧ . وكان تأثير الفكر اللينيني على غرامشي كبيرا ، ويتضح ذلك من خلال مراجعة مجموعة الدراسات والابحاث التي قام بها غرامشي وسجلها كتابة . ولكن يجدر بالذكر هنا ايضا ان التطور المستقل لفكر غرامشي ونشاطه السياسي ، قبل ثورة اكتوبر وقبل ان يتعرف الى اعمال لينين ، ساهما الى حد بعيد في تحضيره لالتقاط وفهم مواقف القائد الروسي العظيم بمعناها الصحيح والحقيقي ، وساهما كذلك فيمعالجة غرامشي لها بطرق واشكال اصيلة وابداعية. بهذا المعنى علينا ان نفهم « لينينية » غرامشي ، فقد كانت

عبقريته تبرز في عدم اعتباره اللينينية نموذجا تجريديا يتم التكيف معه سلبا ، وفي قدرته على استخدام اللينينية ، في الاطار الماركسي الاوسع ، كوسيلة اساسية للقيام بتحليل غني وعميق للاوضاع الايطالية . ويمكننا ان نضيف ايضا انه ، انطلاقا من هذا التحليل ومن الخبرة الذاتية كمناضل وكقائد سياسي ، ذهب غرامشي الى أبعد من ذلك فحدد الخطوط العامة والعريضة للشروط التي على الطبقة العمالية ان تأخذها في حسابها ، في نضالها الثوري ، في بلدان تحكمها علاقات بين الدولة والمجتمع اكثر تعقيدا مما كانت عليه هذه العلاقات في روسيا ما قبل الثورة ، وفي بلدان يختلف فيها التركيب البنيوي الطبقي عما كان عليه في روسيا ما قبل الثورة ايضا . والى هذا التحليل ، مثلا ، يعود الفضل في الاهتمام الذي خص به غرامشي دور المثقفين .

انطونيو غرامشي لم يكتب ابدا كتابا كاملا ، والاجزاء التي نشرت بين عامي ١٩٤٧ و١٩٧١ (١٢ جزءا) لتضم أعماله كلها انما تجمع مقالات نشرها في الصحف والمجلات، وملاحظات سجلها في السجن حول موضوعات مختلفة ، ووثائق سياسية ، ورسائل . البحث الوحيد الواسع الذي خلفه غرامشي وراءه بعد موته ، وهو « بعض موضوعات المسألة الجنوبية » ، يعود الى عام ١٩٢٦ ، قبيل اعتقاله من قبل رجال البوليس الفاشي ، ولم يتمكن من اتمامه . وفي هذا البحث ، كما في « اطروحات مؤتمر ليون » التي سبقته قليلا في تاريخ كتابتها ، يبدو تحليل الخطوط الاساسية لتطور الطبقات في التاريخ الايطالي بعد النهضة واضحا في كل ابعاده واصالته . ويبين — في وقت كان فيه كبار المثقفين الايطاليين يقفون موقف التردد والارتباك تجاه الفاشية — الاصول والجذور التاريخية للتطور الستلطوي الاستبدادي للدولة في ايطاليا . حول هذه النقطة نقرأ ، مثلا ، في « اطروحات مؤتمر ليون » قول غرامشي : « ان الفاشية ،

كحركة رجعية مسلحة تستهدف تفكيك وتحطيم اي تنظيم للطبقة العاملة لتجميدها ، تدخل في اطار السياسة التقليدية للطبقات الحاكمة الايطالية ، وفي اطار صراع الرأسمالية ضد الطبقة العمالية . ولذلك ، فان الفاشية ، في اصولها وتنظيمها ومسيرتها ، تحظى بتأييد كافة الفئات القديمة الحاكمة ، وبتأييد خاص من الفئات الزراعية التي تشعر اكثر من غيرها بخطر ضغط الاقنان في الريف . اما اجتماعيا، فتجد الفاشية قاعدتها في البورجوازية الصغيرة المدينية وفي البورجوازية الزراعية الجديدة الطالعة من تحول الملكيات الزراعية في بعض الاقاليم ... هذا الواقع ، وواقع عثورها على الوحدة الايديولوجية والتنظيمية في التشكيلات العسكرية التي تحيي تقاليد الحرب (الشجاعة والجرأة) اللازمة للقتال ضد الشغيلة ، يسمحان للفاشية بوضع وتنفيذ خطة للاستيلاء على الدولة من موقف متعارض مع الفئات الحاكمة القديمة. من غير المعقول الكلام في هذا المجال عن ثورة . ولكن الفئات الجديدة التي تتجمع حول الفاشية تستمد اصولها وتجانسها من عقلية عامة « للرأسمالية الوليدة » . وهذا يفسر الصراع ضد رجال سياسة الماضي وكيف ان هذه الفئات تبرر الصراع ببناء ايديولوجي متعارض مع النظريات التقليدية للدولة ولعلاقاتها بالمواطنين . في الجوهر ، الفاشية تعدل برنامج المحافظة والرجعية الذي سيطر دوما على السياسة الايطالية وتوجهه بشكل مختلف فقط في طريقة فهم عملية توحيد القوى الرجعية ، فتستبدل الفاشية تكتيك الاتفاقات والتسويات باستهداف تحقيق وحدة عضوية لكافة قوى البورجوازية ضمن جهاز سياسي واحد تحت سيطرة واشراف مركز وحيد عليه ان يدير في آن واحد شؤون الحزب والحكومة والدولة . هذا الهدف يتماشى مع ارادة مقاومة اي هجوم ثوري حتى النهاية ، وهو ما يسمح للفاشية بجمع الانتسابات

اليها من الاجزاء الاكثر رجعية من البورجوازية الصناعية والزراعية » .

وهكذا تتحدد وتغنى التشخيصات ـ شبه التنبؤية ـ التي كان غرامشي قد وصل اليها منذ أيار (مايو) ١٩٢٠ ، من خلال الاستقصاء التاريخي والاجتماعي . وكان غرامشي قد كتب انذاك في تقريره «في سبيل تجديد الحزب الاشتراكي» (المدرج في هذه المختارات) يقول : « ان المرحلة الحالية للنضال الطبقي في ايطاليا هي المرحلة التي تسبق : اما الاستيلاء على السلطة السياسية من قبل البروليتاريا الثورية للانتقال الى انماط جديدة للانتاج والتوزيع تسمح بتنشيط الانتاجية ، او رجعية عارمة لدى الطبقة المالكة والفئة الحاكمة . ولن يجري استبعاد اي شكل من اشكال العنف في سبيل اخضاع البروليتاريا الصناعية والزراعية لاعمال عبودية ، وستكون هنالك محاولات لا ترحم لتحطيم وتفتيت أجهزة النضال السياسي للطبقة العمالية (الحزب الاشتراكي) ولامتصاص اجهزة المقاومة الاقتصادية (النقابات والتعاونيات) وادخالها في نطاق الدولة البورجوازية » .

في نفس الوقت يسلط غرامشي الضوء على تلك العلاقة القائمة بين تطور الرأسمالية الصناعية في ايطاليا وبقاء العلاقات الطبقية القديمة وشبه الاقطاعية في الريف ، وهو ما كان يميز التطور الاجتماعي لايطاليا في مطلع القرن. حول هذا الموضوع كان غرامشي قد كتب في صحيفة « النظام الجديد » عام ١٩٢٠ يقول : « أخضعت بورجوازية شمال ايطاليا الجنوب الايطالي والجزر وجعلت منها مستعمرات للاستغلال . والبروليتاريا الشمالية ، بتحرير نفسها من العبودية الرأسمالية ، ستحرر الجماهير الفلاحية الجنوبية العاملة في خدمة المصرف وفي خدمة الصناعوية الطفيلية في الشمال . ولا يجب البحث عن اعادة البعث الاقتصادي والسياسي للفلاحين في توزيع الاراضي غير المزروعة او

المزروعة بشكل سيء ، بل في دعم البروليتاريا الصناعيةالتي تحتاج ، بدورها ، الى دعم الفلاحين ، والتي لها كل المصلحة في الا تعود الرأسمالية الى الحياة من جديد ، اقتصاديا، عبر الملكية الزراعية ، ولها كل المصلحة في الا يصبح الجنوب الايطالي والا تصبح الجزر قاعدة عسكرية رأسمالية مضادة للثورة » . واخيرا ، وفي « بعض موضوعات المسألة الجنوبية » تبرز مشكلة المثقفين بكل الاهمية التي خصها بها غرامشي ، ودور هؤلاء المثقفين في اطار الاوضاع الايطالية، فيقول : « يمكن وصف الجنوب بكونه تفتتا اجتماعيا كبيرا، فالفلاحين الذين يشكلون الاغلبية العظمى من سكانه ليس بينهم اي تماسك ... المجتمع الجنوبي عبارة عن كتلة زراعية مؤلفة من ثلاث شرائح اجتماعية هي : الجماهير الفلاحية الواسعة الهلامية والمفككة ، مثقفو البورجوازية الريفية الصغيرة والمتوسطة ، كبار ملاكي الاراضي وكبار المثقفين . ورغم ان فلاحي الجنوب هم في غليان دائم فانهم غير قادرين ، كجماهير ، على اعطاء تعبير ممركز لطموحاتهم وحاجاتهم . والشرعية الوسطى للمثقفين تتلقى من القاعدة الفلاحية نبضات نشاطها السياسي والايديولوجي . اما كبار الملاكين في الميدان السياسي وكبار المثقفين في الميدان الايديولوجي فيمركزون ويسيطرون ، في التحليل الاخير ، على كل هذه الظاهرات المعقدة ... » . والواقع ان المثقفين الجنوبيين كانوا يشكلون (وما زالوا) ثلاثة اخماس بيروقراطية الدولة في ايطاليا ، وفي هذا الاطار نجد غرامشي يضع في « المسألة الجنوبية » مقدمة تقول انه « يستحيل القيام بأي عمل جماهيري اذا لم تكن الجماهير نفسها مقتنعة بالاهداف التي تريد الوصول اليها والطرق التي يجب اتباعها » ، ثم يبرز بقوة حاجة البروليتاريا الثورية لان « تقود » المثقفين . يقول « حتى تكون البروليتاريا قادرة على الحكم ، كطبقة ، عليها ان تتخلى كليا عن بقايا

الكوربوراتيفية ، وعن كل حكم مسبق وجمود نقابوي . ماذا يعني ذلك ؟ انه يعني عدم الاكتفاء بتجاوز التفريق القائم بين مهنة واخرى ، فلكسب ثقة وموافقة الفلاحين وبعض الفئات شبه البروليتارية في المدينة يجب تجاوز بعض الاحكام المسبقة والتغلب على بعض الانانيات التي قد توجد، وتوجد، في الطبقة العمالية كطبقة ، حتى عندما تكون قد اختفت ضمنها خصوصيات المهنة . ان على عامل الصناعة المعدنية، وعامل النجارة ، وعامل البناء ..الخ ، ان يفكروا كبروليتاريين وليس كعامل صناعة وعامل نجارة وعامل بناء، ولكن هذا غير كاف ، اذ عليهم ان يخطوا خطوة اخرى الى الامام ، عليهم ان يفكروا كعمال اعضاء في طبقة تتجه الى قيادة الفلاحين والمثقفين ، وكأعضاء في طبقة لا يمكنها ان تنتصر الا اذا ساعدتها وتبعتها الاغلبية العظمى لهذه الشرائح الاجتماعية . اذا لم يتحقق هذا الامر لن تصبح البروليتاريا طبقة قائدة . في حين ان هذه الشرائح التي تمثل في ايطاليا الاغلبية العظمى للسكان ، ببقائها تحت قيادة البرجوازية ، تمنح الدولة امكانيةالمقاومة ضد زخم البروليتاريا واضعافه».

وليس من قبيل الصدفة ، إذن ، ان يعود غرامشي باصرار خلال سنوات السجن الطويلة الى بحث موضوعات الفلاحين والمثقفين ناقلا مركز الاهتمام هذه المرة الى تحليل الطرق والاشكال التي ميزت ، على مستوى الطبقة ، ثورة النهضة في ايطاليا . ففي سلسلة من الملاحظات الطويلة يتحرك غرامشي باتجاه تلمس الاختلاف والتباين العميق بين الثورة الديمقراطية ــ البورجوازية في ايطاليا ومثيلتها في فرنسا . ففي فرنسا اعتمدت البورجوازية في ثورتها لدك النظام الاقطاعي على الجماهير الفلاحية التي تحركت بنفسها ضد العبودية المرتبطة بالارض وضد الملكياتالزراعية الكبرى . اما في ايطاليا فقد اختارت البورجوازيةالرأسمالية الناشئة التحالف مع المزارعين (أصحاب الاراضي) ، وبشكل

خاص مع كتلة مزارعي الجنوب ، وهكذا فان اوضاع الفلاحين لم تتغير ، واذا تغيرت قليلا في حالات معينة كان هذا التغير نحو الاسوأ ، كما تدل على ذلك الانتفاضة الكبرى لفلاحي الجنوب ، والتي وصفها مؤرخو البورجوازية بكونها « حملة قطاع الطرق » ، وكما يدل على ذلك ان الدولة الوحدوية الجديدة مارست قمعا وحشيا لم يسبق له مثيل واعلنت حربا فعلية ضد الفلاحين ادت الى وقوع عدد من الضحايا اكبر بكثير من عدد ضحايا حرب النهضة ضد النمسا ، كما يلاحظ غرامشي نفسه . ومن ناحية اخرى ، فان القوى الديمقراطية البورجوازية الصغيرة ، الممثلة في اغلبها بالمثقفين من جماعة ماتزيني والجمهوريين بشكل اعم، لم تعرف كيف تربط نفسها بالفلاحين ، كما كان قد اشار الى ذلك كارل ماركس نفسه ، وهذا ما جعل من المحتم عليها ان تقوم بدور التابع المنفذ لمجموعات القادة الليبراليين والملكيين . وهذا لا يلقي الضوء فحسب على خصائص التاريخ الحديث لايطاليا بظواهره المتناقضة وفي الاطار المميز لدولة ترفض بشدة مشاركة الجماهير الشعبية (أو تميل في الاكثر الى فصل مجموعات صغيرة « مميزة » عنها) ، بل انه يسلط الضوء ايضا على الوظيفة التاريخية الكبرى للطبقة العمالية التي هي الطبقة الوحيدة القادرة على اقامة الوحدة الحقيقية في البلاد على المستوى الوطني .

اكثر تحليلات غرامشي هذه ما زالت تعتبر قائمة وواقعية رغم الظواهر المتباينة الطبيعية التي مرت بايطاليا خلال العقود التي تلتها وحتى الان . ورغم بعض التحولات الهامة التي طرأت على البنية الاجتماعية الايطالية (مثل الطرد الواسع النطاق للفلاحين من الريف بأعداد هائلة بلغت عدة ملايين ، ورغم حركة الهجرة الكبيرة سواء في الداخل من الجنوب الى الشمال ام الى الخارج باتجاه القارة الاميركية) ، ورغم تغير واقع الاطار العالمي . والواقع ان

هذه التحولات والتغيرات في الشروط الموضوعية لم تفعل اكثر من انها زادت في حدة التناقضات التي تميز الواقع الاجتماعي السياسي الايطالي والتي هي من صلب النظام الرأسمالي ، وخاصة بعد ان تطور هذا النظام نفسه بالاتجاه الاحتكاري المونوبولي .

لقد مرت اكثر من ستين سنة على مرحلة البحث الفكري التي قضاها غرامشي في جامعة تورينو . وتغيرت مظاهر ايطاليا ومظاهر العالم منذ ذلك الحين بشكل عميق. ذلك ان تقدم العلوم والتكنولوجيا، والزيادة الضخمة جدا في انتاجية العمل ، والتجديدات والاكتشافات الحديثة ، ادت كلها الى تغيير واضح في طبيعة المدن وطبيعة الريف في ايطاليا . وكذلك فقد اشتركت ايطاليا في حربين عالميتين ، وشاركت مشاركة اساسية في النضال ضد الفاشية (وهو النضال الذي اتخذ طابعا عالميا ايضا) . وتأثرت ايطاليا ، من ناحية اخرى ، بنتائج ذلك التحول الذي ادى الى ان تسيطر على الافاق العالمية مظاهر الصراع بين مفهومين اثنين لتفسير العالم وبين شكلين اثنين للتنظيم الاجتماعي ، هما الاشتراكية والرأسمالية . فبعد ثورة ١٩١٧ في روسيا ، تم انتقال عدد كبير من البلدان الى النظام الاشتراكي ، من الصين والشرق الاقصى الاسيوي الى اوروبا الشرقية ، والى كوبا وعدد من اقطار القارة الافريقية ، اصبح حقيقة واقعة ما كان حلما بعيد المنال في ايام شباب غرامشي . صحيح ان هذه الحقيقة ليست بلا حدود ، وانه ما زالت توضع في وجهها عقبات كثيرة ، ولكنها حقيقة متحركة وقيد التوسيع . وقد يكون هذا من الاسباب التي تدعونا الى القول بان اعمال غرامشي التي قصد بها فهم وتحليل سمات المعركة من اجل الاشتراكية في ايطاليا ليس فقط لم تفقد قيمتها ، بل انها اصبحت اكثر اهمية اليوم سواء بالنسبة للطبقة العمالية المناضلة من اجل تحررها في ايطاليا،

ام بالنسبة لعدد كبير من بلدان العالم الثالث ، وبلدان العالم العربي بشكل أخص ، التي تمر اليوم بظروف من التطور الاجتماعي مشابهة — الى حد كبير وليس بالمطلق — لتلك الظروف التي كانت تمر بها ايطاليا في مطلع هذا القرن .

بل انه يتضح اكثر فأكثر، في الواقع ، ان نمو القدرات الانتاجية للجنس البشري انما يتناقض مع تزايد نسبةالبؤس والاستغلال والتنظيم الاجتماعي اللاعقلاني في اكثر اجزاء العالم ، واصبح واضحا كذلك ان القوى السياسية والاقتصادية المسؤولة عن هذه الاوضاع والمستفيدة منها لا تموت بسهولة ، بل هي بحاجة الى حركة تزداد اتساعا وتزداد تنظيما وانضباطا لوعي ملايين الملايين من الناس لتغيير الواقع القائم والمساهمة في صنع تاريخ جديد وعصر جديد للجنس البشري يتسم، اخيرا ، وبالاضافة الى مستوى معقول للحياة بالنسبة للجميع ، بسمات التقدم الحقيقي في الحريات الفردية والجماعية ، وبعلاقات اجتماعية تقوم على التآزر في سبيلالاغناء المتبادل للخبرات والتجاربالحياتية، أي بما وصفه كارل ماركس وفريدريك انجلز منذ اكثر من قرن مضى ، وبالتحديد عام ١٨٤٨ ، في « بيان الحزب الشيوعي » بانه مرحلة تاريخية يكون فيها « التطور الحر لكل انسان شرطا للتطور الحر الجديد » * .

---

* — القسم الاعظم من هذه المقدمة مأخوذ عن مقدمة الطبعة الايطالية لهذه المختارات (١٩٧٢ — الناشرون المتحدون) بقلم مارينو سبينيلا ، بعد حذف فقرات قليلة اكثر توجها الى القارىء الايطالي بالذات ولا تهم القارىء العربي .

حياة انطونيو غرامشي

ولد انطونيو غرامشي في «آليسى» (جزيرة ساردينيا)، في الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني (يناير) ١٨٩١ . وكانت طفولته صعبة ، ولكنها لم تكن تعيسة . كانت عائلة انطونيو غرامشي فقيرة جداً ، وكان على أبيه فرانشيسكو ، براتبه المتواضع كموظف في مكتب العقود ، أن يقوم بأود الزوجة وأطفاله السبعة . وكان الجميع يحاولون المساهمة في النفقات ، فكانت الام تخيط وتقوم بالاعمال الاضافية ، بينما كان الاولاد يحاولون كل الاعمال لربح بعض المال . . يقول أنطونيو في احدى رسائله :

«بدأت العمل عندما كنت في الحادية عشرة من عمري، وكنت أكسب تسع ليرات في اليوم (أي ثمن كيلوغرام من الخبز يوميا) مقابل عمل عشر ساعات يومية وصباح يوم الاحد . وكنت أعمل كصبي مكتب أنقل السجلات التي كان كل منها يزن أكثر من وزني . وكثيرا ما كنت أقضي الليل في البكاء سرا لاني كنت أشعر بالالم في كل أنحاء جسدي. ولم أعرف الا الجانب القاسي للحياة ، ولقد نجحت في الاستمرار بها ، في كل الاحوال ، حتى أمي لا تعرف كل

أسرار حياتي ، وكل العقبات التي واجهت » .

وكان انطونيو الصغير يعاني ، الى جانب مظاهر الفقر المدقع ، من آلام المرض ، فقد كان ، منذ طفولته ، هش الجسم ، سيء الصحة ، ويعاني من تشويه جسدي . ورغم ذلك ، كان انطونيو يتمتع بطباع عطوفة، وكان يرحب باللعب مع الاولاد الاخرين ، وكان يحلم ـ كغيره من الاطفال ـ برحلات المغامرة . وفي رسائله يذكر باستمرار سنوات الطفولة بحب وحنين لا حد لهما .

وسرعان ما بدأ يظهر ميله الى الدراسة ، وتابع دراسته بنجاح في اعدادية « سانت لوسورجو » (حيث كان يقطن لدى فلاحة مقابل خمس ليرات شهريا) ، ثم انتقل الى ثانوية « كارلو ديتوري » في « كالياري » عاصمة ساردينيا.

في الثلاثين من ايلول (سبتمبر) ١٩١١ حصل انطونيو غرامشي على شهادة الدراسة الثانوية ، وانتقل الى مدينة تورينو ليتسجل في كلية الاداب في جامعتها . وهكذا انتهت مرحلة الشباب والتحضير التي كان عنصرها الاساسي هو الخبرة المباشرة لفقر الجزيرة التي هو ابنها ، جزيرة ساردينيا ، والمشكلية التي تثيرها تلك الخبرة . اي ، لماذا كانت ساردينيا تعاني من كل ذلك الفقر وذاك التخلف، ولماذا كانت مناطق ايطاليا الاخرى تتطورة وتتقدم دون ساردينيا ؟

وكان غرامشي الشاب كثيرا ما يقول لاصدقائه : « عليكم ان تتصوروا ساردينيا كحقل خصب معطاء ، يغذي خصوبته جدول ماء جوفي ينطلق من جبل بعيد . ثم ، فجأة ، ترون خصوبة الحقل تموت ، وحيث كانت الخضار اليانعة لم يبق سوى العشب اليابس الذي أحرقته الشمس . وتبحثون عن سبب الكارثة ، ولكنكم لن تجدوه اذا لم تخرجوا من بيئة حقلكم ، اذا لم تصلوا في بحثكم الى الجبل مصدر الماء ، اذا لم تصلوا الى اكتشاف ان شريرا أو انانيا قد قطع شريان

الماء الذي يغذي خصوبة حقلكم ، على بعد كيلومترات عديدة » .

وكانت هذه هي النواة الاولى للمشكلة التي يواجهها غرامشي ويحلها بطرحه الجديد للمسألة الجنوبية (١) .

وعاش غرامشي في تورينو حياة بؤس بمنحة دراسية ضئيلة كان يعمل حتى تكفيه ، ولكنه كان يكرس جل وقته للدراسة المكثفة .

يقول : « عشت مدة سنتين خارج حدود العالم ، في الحلم . عشت من اجل العقل ولا شيء للقلب . وكنت أعمل لاعيش ، بينما كان علي ان استريح وان أرفه عن نفسي لاعيش (٢) . أعتقد اني لم أضحك ابدا خلال تلك السنتين ، كما لم أبك ابدا » .

ويصبح غرامشي الطالب المفضل عند البروفسور بارتولي ، وتبرز مواهبه واضحة في علوم فقه اللغة . ويكتب في زمن متأخر قائلا : «ان من بين اكبر اسباب آلامي الفكرية هي خيبة الامل العميقة التي خلفتها عند استاذي الطيب بارتولي في جامعة تورينو ، اذ كان مقتنعا بانني الملاك المؤهل لكسب المعركة نهائيا ضد المجددين في قواعد اللغة » .

وفي نفس الوقت ، والى جانب الدراسة ، كان غرامشي يتقرب في تلك السنوات من الحركة العمالية التورينية . وبعد اشتهر قليلة من اقامة في تورينو انتسب الى الفرع المحلي للحزب الاشتراكي حيث عهد اليه بتنظيم الجمعية العمالية للنجدة . وتعاون مع الصحيفة الاشتراكية

---

١ ــ كانت مسالة الجنوب في ايطاليا ، وما زالت ، هي مشكلة التخلف والفقر والريف غير المصنع ، على عكس الشمال حيث تتمركز الصناعة والفاعلية الاقتصادية الناشطة ، فكانت المشكلة الجنوبية تعني مشكلة التخلف (ملاحظة المعرب) .

٢ ــ اشارة الى مرضه الذي كان يتطلب الراحة (ملاحظة المعرب).

المحلية ، وبدأ تدريجيا يعطي الاجوبة على المشاكل التي كانت قد طرحتها عليه تجربته في ساردينيا ، في حين كانت تبرز امامه مشاكل اخرى بحاجة الى حلول .

وكان انطونيو غرامشي هوالذي اقترح على الاشتراكيين التورينيين عام ١٩١٤ ترشيح اكبر ممثلي الحركة الجنوبية غاتيانو سالفيمي . وكان غرامشي هو من بدأ ، في تلك السنوات ، ملاحظة مشكلة الثورة البروليتارية كحل وحيد ممكن لتناقضات المجتمع الايطالي .

ويقول غرامشي : « كنا كثيرا ما نخرج جماعة من اجتماع الحزب ، نحن الطلاب والعمال الشباب ، فنخترق شوارع المدينة التي تكون قد هدأت بينما يتوقف اخر زبائن الليل للنظر الينا، اذ كنا ننسى انفسنا ونحن نتابع نقاشاتنا التي تتخللها الافكار الجريئة والضحكات العالية ، في قفزات في عالم المستحيل والاحلام » .

يوم الحادي عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ قدم انطونيو غرامشي اخر امتحاناته الجامعية ، ومنذ تلك اللحظة كان قد قرر اختياره النهائي بين الامتهان العلمي والنشاط الثوري . وهكذا انتهت المرحلة الثانية من حياة غرامشي ، وهي مرحلة تشكله الثقافي .

خلال الحرب العالمية الاولى تكاثفت نشاطات غرامشي السياسية . واصبح، من الناحية العملية، (ثوريا ممتهنا). فقد اصبح محررا رئيسيا في مجلة « غريدو ديل بوبولو » (صيحة الشعب) الاشتراكية الصادرة في تورينو ، وازداد نشاطه في فرع الحزب ، وضاعف اتصالاته بالعمال في المصانع . وعندما انهارت مع الحرب الاممية الثانية حاول غرامشي ان يفهم ــ من خلال المطبوعات السرية بكافة اللغات ــ مواقف لينين والبلاشفة . ونجح كذلك في التقاط اهمية مؤتمري زيمرفالد وكينتال اللذين طرح لينين خلالهما شعار تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية ، وراح

يثقف كوادر العمال التورينيين بالجدل ضد الاصلاحية ، وسرعان ما اصبح غرامشي الزعيم الاشتراكي الاكثر شعبية في تورينو ، « فكان يتجمع حوله الشباب والعمال الاكثر ذكاء ونشاطا ليس فقط من الاشتراكيين ، بل ايضا من الفوضويين والكاثوليكيين . واصبحت الفرقة التي يعمل فيها ، ومقرات التنظيمات العمالية في المدينة ، والسقيفةالتي يسكنها ، كلها هدف لا ينقطع عنه سيل الحجاج اليه » .

وهكذا ، عندما جاء ممثلا حكومة كيرنسكي الى تورينو في شهر تموز (يوليو) ١٩١٧ ، المنشفيان غولدنبرغ وزميرنوف ، قوبلا بتظاهرة ضخمة تحيي لينين . وفي اب (اغسطس) من العام نفسه ، وبعد الانتفاضة الفاشلة لعمال تورينو (خمسة ايام من النضال المسلح سقط خلالها ٥٠٠ عامل) انتخب غرامشي سكرتيرا لفرع تورينوالاشتراكي، وهكذا تمم تجربته العملية كثوري وكمنظم ، ووصل الى النضوج في وضع تحليل متكامل للمجتمع الايطالي . وخط نضالي يبرز اكثر فأكثر تباينه الجدلي مع قيادة الحزب الاشتراكي ، اي انه وصل الى مرحلة صحيفة « النظام الجديد » .

ومع بداية ظهور جريدة « النظام الجديد » (صدر العدد الاول في اول ايار ـ مايو ١٩١٩) انتهت مرحلة التكون عند غرامشي وبدأت مرحلة نضوجه الكامل .

« عندما قررنا في شهر نيسان (ابريل) ١٩١٩ ، نحن الثلاثة او الاربعة او الخمسة اشخاص (ولا بد ان محاضر تلك النقاشات والقرارات ما زالت موجودة لانه تم تبييضها في نسخة جيدة ـ نعم ايها السادة : المحاضر ، للتاريخ !) عندما قررنا ان نبدأ نشر هذه المطبوعة « النظام الجديد» ، لم يكن اي منا (يحتمل اي منا ..) يفكر في تغيير وجه العالم ، او يفكر في تجديد عقول وقلوب كل البشر ، او يفكر في فتح دورة جديدة في التاريخ . لم يكن اي منا (يحتمل ان

أيا منا لم يكن : البعض كان يحلم بان نصل الى جمع ٦٠٠٠ اشتراك خلال أشهر) يداعب الاحلام الوردية حول نجاح هذه العملية . من كنا ؟ وماذا كنا نمثل ؟ ما هي الكلمة الجديدة التي كنا نحملها ؟.. كان الشعور الوحيد الذي يجمعنا خلال لقاءاتنا تلك هو ذلك الشعور العام الذي استثاره التعلق الشديد بثقافة بروليتارية عامة ، كنا نريد ان نعمل ، ونعمل ، ونعمل . كنا نشعر بالقلق ، وكنا بلا توجه محدد ، وكنا نشعر اننا قفزنا الى داخل تلك الحياة الملتهبة لاشهر ما بعد وقف القتال عندما كان انهيار المجتمع الايطالي يبدو قريبا جدا . الكلمة الوحيدة الجديدة التي نطق بها خلال تلك اللقاءات أسكتت » .

وكانت تلك الكلمة الجديدة هي « المجالس العمالية »، اي البحث عن اشكال اصيلة ، أيطالية ، للسلطة العمالية ، « الخط الحقيقي لثورتنا » ، واكتشاف هذه الاشكال . وقد أسكتت هذه الكلمة نتيجة لوجود انجيلو تاسكا الذي كان — على العكس من ذلك — يرى في الصحيفة نشرة لثقافة تجريدية ولاعلام تجريدي . ومن هنا برزت ضرورة القيام بانقلاب في جهاز التحرير يجعل من « النظام الجديد » صحيفة المجالس العمالية للمصانع .

« وخططنا ، انا وتولياتي ، لانقلاب في جهاز التحرير، وطرحت مشكلة اللجان الداخلية بصراحة في العدد السابع من النشرة . قبل ايام من كتابة المقال كنت قد عرضت خطوطه العامة على الرفيق تيراشيني الذي وافق عليه من الناحيتين النظرية والعملية. ونشر المقال الذي حظي بموافقة تيراشيني ومساهمة تولياتي ، وحصل ما توقعنا ، اذ دعينا، انا وتولياتي وتيراشيني ، للحديث في النوادي التثقيفية ، والجمعيات العمومية للمصانع ، ودعينا من قبل اللجان الداخلية الى النقاش في اجتماعات محدودة الحضور

بالمسؤولين. وتابعنا عملناوأصبح برنامج تطوير اللجنةالداخلية هو المشكلة المركزية، وصار هو **فكر « النظـام الجديد »** ، وطرح كمشكلة اساسية للثورة العمالية ، وكان مشكلـة « الحرية » البروليتارية .. واصبحت صحيفـة « النظـام الجديد » ، بالنسبة لنا ولمن تبعنـا ، « صحيفـة مجالس المصانع » ، وأحب العمال « النظام الجديد » (ونحن نقـر بهذا ونشعر برضى داخلي) . ولكن ، لماذا أحب العمـال « النظام الجديد » ؟ لانهم كانوا يكتشفون بعض ذاتهم فـي مقالات الصحيفة ، البعض الافضل في ذاتهم ، ولانهم كانوا يشعرون ان روح البحث الداخلي لديهم تسيطر على مقالات « النظام الجديد » : كيف يمكننا ان نصبح احرارا ؟ كيـف يمكننا ان نحقق ذاتنا ؟ ولان مقالات « النظام الجديد » لم تكن عبارة عن بنى فكرية باردة ، بل كانت تنبع من نقاشاتنا مع العمال الافضل وتعالج مشاعر وارادات وانفعالات حقيقية للطبقة العاملة التورينية عرفناها واثرناها ، ولان مقـالات « النظام الجديد » كانت تكاد تكون « اخذ علم » بوقائـع حقيقية ينظر اليها على انها لحظات عملية تحرر داخـلي وتعبير عن الذات لدى الطبقة العمالية . لهذا احب العمال « النظام الجديد » وهكذا تكونت فكرة « النظام الجديد » ».

وهكذا اصبحت صحيفة « النظام الجديد » مركـز الحركة العمالية التورينية ، تقودها وتدعمهـا في الاضراب الكبير خلال شهر نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، واثناء احتـلال المصانع (ايلول ـ سبتمبر ١٩٢٠) ، وفي الاضراب الفاشل في نيسان (ابريل) ١٩٢١ . خلال هـذه السنوات تزايدت باستمرار حدة الجدل مع قيادة الحزب الاشتراكي المتطرفة واللفظية من جهة ، والاصلاحية من جهة اخرى ، وتم وضع برنامج بشكل قاعدة لتجديد الحزب الاشتراكي الايطالي . وكان هذا البرنامج لينينيا ، حتى ان لينين نفسه دل عليـه بانه المعبر الوحيد عن مبادىء الاممية الثالثة : « فيما يتعلق

بالحزب الاشتراكي الايطالي ، ان المؤتمر الثاني للاممية الثالثة يجد ان نقد الحزب والاقتراحات العملية ، المنشورة كاقتراحات مقدمة الى المجلس الوطني للحزب الاشتراكي الايطالي ، من قبل الفرع التوريني للحزب نفسه ، في مجلة « النظام الجديد » الصادرة يوم ٨ ايار (مايو) ١٩٢٠ ، صحيحة في الجوهر ، وتتفق كليا مع الشروط الاساسية الاممية الثالثة . لذلك ، فان المؤتمر الثاني للاممية الثالثة يدعو الحزب الاشتراكي الايطالي الى عقد مؤتمر استثنائي للحزب لدراسة هذه المقترحات ، ولدراسة كافة قرارات المؤتمرين الاثنين للاممية الثالثة ، بهدف تعديل خط الحزب. وبهدف تطهير الحزب نفسه ، وخاصة مجموعته البرلمانية ، من العناصر غير الشيوعية » .

وكان المخرج الوحيد الذي لا بد منه للنقد الغرامشي للحزب الاشتراكي ، ولفشل كافة محاولات تجديده من الداخل ، هو تأسيس حزب جديد ، لينيني وثوري اصيل ، هو الحزب الشيوعي . وتم هذا ، كما هو معروف ، في مدينة ليفورنو ، يوم الحادي والعشرين من كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ .

ولكن ، كما ولدت صحيفة « النظام الجديد » ، في البداية ، على اساس من التسوية ادى الى شللها جزئيا ، فقد ولد الحزب على اساس الاتحاد مع الجناح الفئوي المتطرف الذي يقوده بورديغا ، مما لم يسمح له بمزاولة وظيفته فوراً . ولم ينته النضال ضد بورديغا واتجاهه الا في المؤتمر الثالث للحزب ، الذي عقد في ليون ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٦ .

وعلى العموم ، فان المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الايطالي ، الذي عقد في شهر اذار (مارس) ١٩٢٢ ، قرر ايفاد غرامشي الى موسكو كممثل للحزب في الاممية الشيوعية. وهكذا انتهت مرحلة من اكثر المراحل كثافة

وابداعية في نشاط غرامشي، وهي مرحلة **المجالس** وتشكيل الحزب الثوري الجديد للطبقة العمالية ، وبدأت مرحلة جديدة لا تقل عنها في الاهمية هي مرحلة التجربة الاممية.

وبقي غرامشي في موسكو حتى ربيع عام ١٩٢٣ ، واشترك في المؤتمر الرابع للاممية ، وهو المؤتمر الذي ادان الاتجاهات الفئوية والتعصبية عند بورديغا ، واستمد غرامشي خبرة عميقة في الدولة الاشتراكية الجديدة والحزب البلشفي ، كما تعرف الى كبار المسؤولين في الثورة . وفي هذه الفترة ايضا تعرف انطونيو غرامشي على جوليا شاخت التي تزوجها وانجب منها طفلان هما ديليو وجولياني . وفي ربيع ١٩٢٣ انتقل غرامشي الى فيينا ليتابع بشكل افضل ، وعن قرب ، الاوضاع الايطالية . واقترح اسم الصحيفة الجديدة للحزب التي بدأت بالصدور في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٢٤ تحت اسم « اونيتا » ، اي « الوحدة » (٣) . وكان الاسم برنامجا بحد ذاته ، ويشرحه غرامشي في رسالة ارسلها من فيينا ، فيقول : « .. ان الطبقة العمالية، وحزب الطبقة العمالية ، لا يستطيعان القيام بالمهمات التاريخيةالتي يضعانها امامهما ، ولن ينجحا في توجيه ضربة قاتلة الى الفاشية ، ولن يستطيعا بناء « نظام جديد » و« دولة عمالية » ، اذا لم يعرفا تحقيق **الوحدة** والمحافظة عليها كأعز ما يمتلك . وحدة كل الطبقة العمالية حول الحزب ، ووحدة العمال والفلاحين ، ووحدة الشمال والجنوب ، ووحدة كل الشعب الايطالي في نضاله ضد الفاشية » .

وانتخب انطونيو غرامشي نائبا في البرلمان في الانتخابات السياسية التي جرت في نيسان (ابريل) ١٩٢٤ . وعاد الى ايطاليا ليحتل مكانه مجددا في العمل والنضال . ووجه

---

٣ ــ ما زالت صحيفة الحزب الشيوعي الايطالي تصدر حتى اليوم بهذا الاسم .

اولى ضرباته الى البورديغية في المؤتمر (الكونفرنس) السري للحزب الذي عقد في مدينة كوبو في شهر ايار (مايو) من العام نفسه ، واعاد الى الحزب وعيه للطبيعة الطبقية الفاشية ، وفرض سياسة وحدة كل القوى التقدمية ضد الفاشية . وساهم غرامشي بنشاط بارز في اجتماعات « الآفينتينو » ، اي تلك المجموعة المؤلفة من نواب من مختلف التيارات السياسية والتي رفضت ، بعد جريمةاغتيال الزعيم الاشتراكي ماتيوتي ، العودة الى قاعة المجلس النيابي . ودعم غرامشي فكرة ضرورة اللجوء الى الاضراب العام السياسي وتحويل الآفينتينو الى برلمان شرعي وحيد، او « **برلمان مضاد** » ، كما بذل في الوقت نفسه جهدا كبيرا في العمل على توسيع قاعدة الحزب باجتذاب عناصر الشق الاممي من الحزب الاشتراكي الايطالي ، وأقام اتصالات وثيقة مع القوى السياسية الاخرى ، بينما كان ــ خلال هذا كله ــ يحضر الحزب للانتقال الى العمل السري .

والواقع ان موسوليني اعلن يوم ٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٥ قوانينه الاستثنائية . واستمرت نشاطات غرامشي بشكل محموم في جريدة « الاونيتا » ، وفي البرلمان، حيث عاد اليه بعد ان ظهر عجز جماعة الآفينتينو ، وركز جل اهتمامه على تنظيم الحزب في كل مصنع وكل مكان عمل.

في هذه الفترة كان يجري التحضير ايضا لعقد المؤتمر الثالث للحزب ، وهو المؤتمر الذي عقد سرا في مدينة ليون خلال شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٢٦ ، وسجلت الاطروحات التي قدمت الى المؤتمر واقرها (والمعروفة باسم « اطروحات ليون ») الهزيمة النهائية للبورديغية ، فاصبحت هذه الاطروحات هي القاعدة الاساسية لكل سياساتالحزب الشيوعي الايطالي فيما بعد .

واعتقل رجال الشرطة الفاشية انطونيو غرامشي مساء الثامن من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٦ . وانتهت بذلك

مرحلة النضال المباشر ضد الفاشية ومحاولة خلق جبهة واسعة موحدة معادية للفاشية . وبدأت مرحلة تنقل غرامشي عندئذ من سجن الى اخر ، بانتظار المحاكمة في البداية ، ثم لقضاء مدة الحكم عليه فيما بعد .

وبدأت المحاكمة يوم ٢٨ ايار (مايو) ١٩٢٨ ، وانتهت يوم الرابع من حزيران (يونيو) بالحكم عليه بالسجن عشرين عاما واربعة اشهر وخمسة ايام . وكانت هذه هي المرحلة الاخيرة من حياة غرامشي التي انتهت بموته . كان محكوما عليه بالموت البطيء بسبب مصاعب وآلام حياة السجن ، وهو الضعيف صحيا والمشوه جسديا .

وكرس غرامشي السنوات الباقية من حياته للتأمل وبناء الهيكل الفكري العظيم المعروف باسم « دفاتر السجن » ، وذلك رغم انقطاعه عن مجرى الاحداث وعن الحياة السياسية ، ورغم قلة امكانية حصوله على الكتب والمجلات .

وكان غرامشي قد استقر في البداية في سجن مدينة توري ، ثم نقل الى سجن سيفيتافيكيا ، وعندما اشرف على الموت واصبحت حالته الصحية ميؤوسا منها نقل الى مستوصف فورميا . وتوفي يوم ٢٧ نيسان (ابريل) ١٩٣٧ في مستوصف كويزيسانا في روما ، بعد اسبوع واحد من انتهاء مدة سجنه التي خفضت نتيجة لصدور بضعة مراسيم عفو اثناء وجوده في السجن .

اتاوة التاريخ (*)

ماذا يطلب التاريخ (١) بعد من البروليتاري الروسي لاضفاء طابع الشرعية على مكتسباته، ولجعل هذه المكتسبات ثابتة ودائمة ؟ ما هي اتاوة الدم والتضحية الاخرى التي يريد هذا السلطان المطلق (التاريخ) فرضها على مصير الانسان ؟

لقد ظهر ان الصعوبات والحواجز التي على الثورة

---

* نشر هذا المقال بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » في ٧ حزيران (يونيو) ١٩١٩ ، وفيه يكشف غرامشي منذئذ عن فهم ووعي واسعين لضخامة ثورة اكتوبر ومعناها التاريخي .

(١) تؤخذ هذه الجملة لغرامشي على سبيل الاستعارة والمجاز ، فمن المعروف في المفهوم الماركسي أن « التاريخ لا يفعل شيئا (...) بل الانسان ، الانسان الحقيقي الحي هو الذي يفعل كل شيء ، وهو الذي يمتلك ويحارب كل شيء ، وليس « التاريخ » أبدا هو الذي يستخدم الانسان كوسيلة لتحقيق أغراضه (...) فهو ليس سوى نشاط الانسان الذي يتابع أهدافه » . (ماركس ـ انجلز : العائلة المقدسة) .

البروليتارية ان تجتازها اكبر بكثير من تلك التي واجهتها اية ثورة في الماضي . فقد كانت ثورات الماضي تميل فقط الى تصحيح شكل الملكية الخاصة والقومية لوسائل الانتاج والتبادل ، وما كانت تمس سوى جزءا محدودا من الجماعة البشرية . ان الثورة البروليتارية هي الثورة القصوى، لانها تريد الغاء الملكية الخاصة والقومية ، والغاء الطبقات، وهي بذلك تشمل كل البشر ، وليس جزءا منهم فقط (٢) . انها تجبر كل الناس على التحرك ، وعلى التدخل في الصراع ، وعلى الانحياز بوضوح . انها تحول المجتمع بشكل اساسي من جهاز عضوي وحيد الخلية (للفرد ــ المواطن) الى جهاز متعدد الخلايا ، وتضع في قاعدة المجتمع أنوية عضوية من المجتمع نفسه (٣) . انها تجبر كل المجتمع على تعريف هويته بالدولة ، وتريد من كل الناس ان يكونوا وعيا روحيا

---

(٢) في هذه استعادة ــ على أساس التجربة الملموسة للثورة السوفياتية ــ لمفهوم ردده ماركس أكثر من مرة ، كما في « بيان الحزب الشيوعي » مثلا : « كل الطبقات التي استولت حتى الان على السلطة تحاول ان تحافظ على موقعها الذي وصلت اليه باخضاع كل المجتمع لشروط ربحها . أما البروليتاريون ، فلا يستطيعون الاستيلاء على الاشكال الانتاجية الاجتماعية الا بالغاء طريقة تملكها» . والواقع ان الثورة البروليتارية تميل الى الغاء الطبقات ، وهي ، على العموم ، الثورة الراديكالية الحقيقية الاولى التي تقتلع الصراع الطبقي من جذوره . اما الثورة البورجوازية ، فكما يذكرنا ماركس وانجلز في مقطع اخر من « البيان » : « لم تلغ التباين بين الطبقات ، بل اكتفت بفرض طبقات جديدة ، وشروطا جديدة للاستغلال ، واشكالا جديدة من الصراع بدلا من الاشكال القديمة » .

(٣) يشير فرامشي هنا الى نظام السوفييتات التي تشكل اساسا لديموقراطية جديدة كليا واصيلة .

وتاريخيا (٤) . ولهذا ، فان الثورة البروليتارية هي ثورة اجتماعية ، ولذلك ، فان عليها تجاوز صعوبات وحواجز لم يسمع بها قط قبل ذلك ، وهو ما يجعل التاريخ يفرض اتاوات هائلة ثمنا للنجاح ، كالاتاوة التي أجبر الشعب الروسي على دفعها .

لقد انتصرت الثورة الروسية حتى الان على كل عقبات التاريخ ، وكشفت للشعب الروسي عن ارستقراطية (٥) من رجال الدولة لا تملكها امة اخرى ، انهم عبارة عن حوالي الفين من الرجال الذين كرسوا حياتهم للدراسة (التجريبية) (٦) في العلوم السياسية والاقتصادية ، والذين حللوا ومحصوا كل مشاكل الثورة ، والذين تبلورت لديهم طباع فولاذية من خلال النضال ومن خلال التحدي غير المتكافىء ضد سلطة القيصرية ، والذين بعيشهم على اتصال

---

(٤) في المفهوم الماركسي ، الدولة ـ مهما كانت صيغتها وقالبها ـ هي دوما اداة ديكتاتورية طبقة ما (أو مجموعة طبقات) ضد الطبقات الخصم. في المجتمع الراسمالي تمثل الدولة مصالح جماعة صغيرة ذات امتيازات (الراسماليون) ، وبذلك فانها تعتبر غريبة ومعادية للاكثرية العظمى من الشعب . وكما يذكر ماركس في « نقد برنامج غوتا » ، فان بين المجتمع الراسمالي والمجتمع الشيوعي فترة تحول ثوري من الواحد الى الاخر . وتوازي هذه الفترة فترة انتقالية سياسية لا يمكن لدولتها الا ان تكون الديكتاتورية الثورية البروليتارية ، في هذه الحالة ، عندما تدافع الدولة عن مصالح الاكثرية العظمى للشعب ضد ما تبقى من المجموعات ذات الإمتيازات ، يشعر الجميع ، أو الجميع تقريبا ، بان الدولة لكافة المواطنين ، وخاصة للطبقة العمالية وحلفائها . وغرامشي يشير في المقال الى هذه المرحلة الانتقالية للثورة البروليتارية وليس الى المرحلة الشيوعية التي تزول فيها الدولة وتنتقل سلطاتها الى الشغيلة مباشرة باعتبارهم منتجين منظمين .

(٥) يعني غرامشي بارستقراطية رجال الدولة الفئة المسؤولة منهم .

(٦) يصر غرامشي على التأكيد بأن الامر لا يتعلق بدراسات جريدية تتم عبر الكتب فحسب بل تغذيه وتؤكده الممارسة الثورية .

بكل اشكال الحضارة الرأسمالية في اوروبا واسيا واميركا وغوصهم في التيارات العالمية للتاريخ ، اكتسبوا وعيا دقيقا وصحيحا للمسؤولية ، باردا وحادا كسيف فاتحي الامبراطوريات .

ان الشيوعيين الروس هم فئة من الناس من الدرجة الاولى . ويشهد كل من عرف لينين انه اعظم رجل دولة في اوروبا المعاصرة ، انه رجل يشع بالهيبة ، يلهب الشعوب ويضبطها ، انه رجل يستطيع — برجاحة عقله — ان يسيطر على كل الطاقات الاجتماعية في العالم لتحويلها لصالح الثورة ، ويستطيع ان يحشر اكثر رجال الدولة ثعلبة ومهارة في الروتين (٧) البورجوازي وان يتغلب عليهم .

ولكن العقيدة الشيوعية ، والحزب السياسي الذي يطرحها ، والطبقة العمالية التي تجسدها بوعي ، هي كلها شيء ، وشيء اخر هو الشعب الروسي الضخم المهزوم ، غير المنظم ، الغائر في هاوية عميقة من البؤس والبربريةوالفوضى والانحلال بعد حرب كارثية طويلة . ان العظمة السياسية، وروعة الابداع التاريخي للبلاشفة ، يكمنان هنا بالذات : في انهاض العملاق المنهار ، في اعادة اعطاء (او الاعطاء للمرة الاولى !) هذا الدمار وهذه الفوضى شكلا جديدا متماسكا وديناميكيا ، في معرفة اقامة التلاحم بين العقيدة الشيوعية والوعي الجماعي للشعب الروسي ، وفي بناء قواعد متينة بدأ المجتمع الشيوعي يقيم عـلى اساسها عملية التطوير التاريخي ، وبكلمة مختصرة ، في الترجمة التاريخية للمعادلة الماركسية لديكتاتورية البروليتاريا الى واقع تجريبي (٨) .

---

(٧) بمعناها الاستخفافي ، أي الممارسات السيئة غير الذكية .

(٨) انظر الهامش (٤) في هذا المقال . ونلاحظ تركيز غرامشي على مشكلة السلطة العمالية كديكتاتورية بروليتارية ، وهذا التركيز يبرز في جولة مع التيارات الاصلاحية داخل الحزب الاشتراكي .

ليست الثورة انتفاخا فارغا من الكلام المنمق الديماغوجي ، هذه هي الثورة عندما تتجسد في نوع من الدولة ، وعندما تصبح هيكلا منظما للسلطة . لا وجود للمجتمع الا من خلال الدولة التي هي منطلق وهدف كل واجب ، والتي هي ضمانة استمرارية ونجاح كل النشاطات الاجتماعية . وتصبح الثورة البروليتارية ثورة حقيقية عندما تبني دولة بروليتارية تتجسد بها ، فتحرس هذه الدولة حق العامل ، وتقوم بوظائفها الاساسية كانبثاق للحياة والقدرة البروليتاريتين .

لقد اعطى البلاشفة شكل الدولة للتجارب التاريخية والاجتماعية للبروليتاريا الروسية ، التي هي تجارب للطبقة العمالية والفلاحية الاممية ، وخلقوا جهازا معقدا ومترابطا بمهارة (٩) للحياة الخاصة لهذه الطبقة ولتقاليدها وتاريخها الروحي والاجتماعي المحبوب . لقد قطعوا الصلة بالماضي ، ولكنهم حافظوا عليه ، وكسروا طوق التقاليد ولكنهم نموا وأغنوا تقليدا جديدا . لقد قطعوا الصلة بماضي التاريخ الذي تسيطر عليه الطبقة المالكة ، وتابعوا ونموا وأغنوا التقليد الحيوي لطبقة البروليتاريا ، العمالية والفلاحية . بهذا كانوا ثوريين ، ولهذا اقاموا انضباطا ونظاما جديدين. وكان انقطاع بدون امكانية للعودة عنه ، لانه يمس الأساس التاريخي . وبدون امكانية الرجوع الى الوراء ، والا لحلت كارثة عظمى بالمجتمع الروسي . وها هو التحدي الرائع الشامل لكل ضرورات التاريخ ، من اكثرها بدائية الى اكثرها تعقيدا ، والتي يجب ان تضمها الدولة الجديدة البروليتارية ، فتسيطر عليها عبر وظائف الدولة البروليتارية الجديدة .

---

(٩) هنا يشير غرامشي ثانية الى نظام السوفييتات ، أي المجالس العمالية والفلاحية والعسكرية التي كانت لها قواعدها في كل مواقع الحياة الجماعية (في المصانع والقرى وأحياء المدينة وقطعات الجيش .. الخ) والتي كانت عبارة عن هيكل اصيل لديموقراطية جديدة .

وكان من الواجب اكتساب الاكثرية المخلصة من الشعب الروسي الى جانب الدولة الجديدة . كان يجب ان يكشف للشعب الروسي ان الدولة الجديدة هي دولته ، وحياته ، وروحه ، وتقاليده ، وأعز ما يملك . وكان لدولة السوفيانات فئتها القائدة ، الحزب الشيوعي البلشفي ، وكانت تتمتع بدعم أقلية اجتماعية تمثل الوعي الطبقي والمصالح الحيوية والدائمة لكل الطبقة ، اي لعمال الصناعة . واصبحت الدولة دولة كل الشعب الروسي ، وقد توصلوا الى هذا بالصلابة الدؤوبة للحزب الشيوعي ، وبالايمان والاخلاص الحماسيين للعمال ، وبالدعاية المثابرة غير المنقطعة ، وبالتوضيح ، وبتعليم الرجال الرائعين للشيوعية الروسية ، الذين تقودهم الارادة الواضحة والمستقيمة لمعلم الجميع ، نيقولا لينين . لقد أثبت السوفيات (المجلس العمالي) كونه خالدا مثل هيكل المجتمع المنظم المتلائم بمرونة مع الحاجات المتعددة الاشكال (الاقتصادية منها والسياسية) ، الدائمة والحيوية ، للجماهير الواسعة للشعب الروسي ، والذي يجسد ويرضي طموحات وامال كل المسحوقين في العالم .

ان الحرب الطويلة المخزية كانت قد خلفت وراءها ارثا محزنا من البؤس والبربرية والفوضى . وكانت تنظيمات الخدمات الاجتماعية منهارة . الجماعة البشرية نفسها تحولت الى مجموعات مشردة بلا عمل ، بلا ارادة ، بلا نظام ، والى مادة كامدة وصلت حدها الاقصى من التحلل والتفكك . وجمعت الدولة الجديدة ، من بين الانقاض، حطام المجتمع فاعادت تركيبه ولحمة اجزائه بعضتها الى البعض الاخر ، واحيت الدولة الجديدة كذلك بالايمان ، والنظام ، والروح ، وارادة العمل والتقدم . وانجاز هذه المهمة يمكنه ان يعتبر اكليلا من المجد يزين جبين جيل بكامله .

كل هذا لا يكفي ! فالتاريخ ليس مسرورا من هذه

التجربة . اعداء هائلون ينتصبون ضد الدولة الجديدة . النقد الزائف يطبع في المطابع لافساد الفلاح والتلاعب بمعدته الجائعة . لقد عزلت روسيا عن اي مخرج الى البحر ، وعن كل خطوط المواصلات ، وعن اي دعم كان ، فقد جردت من اوكرانيا ومن حوض رونتز ومن سيبيريا ، ومن كل اسواق المواد الاولية والغذائية . وعلى امتداد جبهة يزيد طولها عن عشرة الاف كيلومتر هنالك عصابات من المسلحين الذين يهددونها بالغزو ، وهناك انتفاضات وخيانات وتخريب متعمد واعمال ارهاب مأجورة . وأعظم الانتصارات تحولت ، بفعل الخيانة ، الى عكسها فجأة (١٠) .

لا يهم . ان سلطة السوفيات صامدة : من فوضى الهزيمة خلقت جيشا قويا اصبح هو العمود الفقري للدولة البروليتارية .

امام ضغط القوى الهائلة تجد هذه الدولة في نفسها الحيوية الفكرية والمرونة التاريخية لتتكيف مع الاحتياجات الطارئة ، دون ان تغير من طبيعتها ، ودون المساس بالعملية السعيدة للتطور نحو الشيوعية .

لقد اثبتت دولة السوفيات ، هكذا ، كونها لحظة حاسمة ، ثابتة لا يمكن تغييرها ، من التطور المصيري للحضارة الانسانية ، وكونها النواة الاولى لمجتمع جديد .

ونظرا لان الدول الاخرى لا تستطيع التعايش مع روسيا البروليتارية ، ولانها عاجزة عن تدميرها ، ونظرا

---

(١٠) في عام ١٩١٨ كان قد بدا التدخل الاجنبي المسلح ، دون اعلان الحرب ، والذي ساهمت فيه القوى الرأسمالية الكبرى ضد جمهورية السوفيات ، وذلك بدعم القوى المعادية للثورة التي كانت قد اشعلت نار الحرب الاهلية . وكان لينين قد كتب في حينه (في رسالته الى عمال بتروغراد : « حول المجاعة ») يقول : « لقد وصلت البلاد الى حالة في غاية الصعوبة » ، ثم يضيف : « فقط الوثبة الجماعية لعمال الطليعة بامكانها انقاذ البلاد والثورة » .

لان ضخامة الوسائل التي في حوزة راس المال ـ احتكار الاعلام ، الفساد ، امكانية الافتراء لتشتويه السمعة ، الحصار البري والبحري ، المقاطعة ، التخريب ، الخداع الوقح (حادثة برينيكيبو) (١١) ، خرق حقوق الانسان (الحرب غير المعلنة) ، الضغط العسكري بوسائل تقنية متفوقة ـ تبدو عاجزة ضد ايمان الشعب وثقته بنفسه ، فان من الضروري ، تاريخيا ، زوال الدول الاخرى ، او تحولها المنسجم مع واقع روسيا .

ان انشتقاق الجنس البشري لا يمكنه ان يدوم طويلا ، فالانسانية تميل الى الوحدة الداخلية والخارجية ، والى تنظيم نفسها في اطار للتعايش السلمي الذي يسمح باعمار العالم. ويجب ان يكون هيكل النظام قادرا على ارضاء حاجات الانسانية . وروسيا ما بعد الحرب الكارثية ، عاشت لمدة سنتين ، مقاطعة ، بلا معونات ، وحيدة بقوتها الذاتية. اما الدول الراسمالية فما زالت متجهة الى الانهيار ، تضيف دمارا الى دمار ، وحطاما الى حطام ، رغم المساعدة التي يقدمها لها العالم كله ، ورغم المبالغة في الاستغلال الاستعماري للمحافظة على حياتها .

اذن ، فالتاريخ في روسيا ، والحياة في روسيا ، يجدان في نظام المجالس حلهما الملائم لمشاكل الحياة او الموت التي تخيم على العالم . لقد دفعت الثورة الروسية اتاوتها للتاريخ ، وكانت هذه اتاوة الموت والبؤس والجوع والتضحية والارادة المتطلقة . ووصل التحدي اليوم الى

---

(١١) في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ قررت القوى الغربية العظمى الدعوة الى مؤتمر في جزيرة برينكيبو يحضره ممثلون عن الحكومة السوفياتية وعن الحكومات المعادية للثورة الموجودة في روسيا . وكانت شروط المؤتمر التي ظهرت منذ البداية تدل على أن القوى الغربية الراسمالية تريد ان تحقق من خلال المناورات السياسية ما عجزت عن تحقيقه بالقوة العسكرية.

قمته ، وهب الشعب الروسي ليقف عملاقا هائلا ، مخيفا زاهدا متنسكا ، مسيطرا على جمهرة الاقزام التي تعتدي عليه .

ولقد تسلح الشعب الروسي لمواجهة معركة « فالمي » (١٢) الخاصة به . ولن يهزم ، فقد دفع اتاوته. ويجب الدفاع عنه ضد قطيع المرتزقة السكارى والمغامرين، قطاع الطرق الذين يريدون نهش قلبه احمرا حيا . ان على حلفاء الشعب الروسي الطبيعيين ، ورفاقه في كل العالم ، ان يسمعوه صيحة المحارب التي تجعل الصدمة قاسية ، وتفتح امامه الطريق للعودة الى الحياة ضمن اطار العالم كله .

---

(١٢) « فالمي » ، مجلة فرنسية في مقاطعة « مارن » حيث استطاع الجيش الثوري في ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٧٩٢ من قهر الجيوش البروسية التي جاءت لدعم المهاجرين المعادين للثورة .

الحركة التورينية للمجالس العمالية (*)

احد أعضاء الوفد الايطالي العائد مؤخرا من روسيا السوفياتية (١) قال للعمال التورينيين أن المنصة المخصصة لاستقبال وفد كرونشطاط (٢) رفعت لافتة كتب عليها : « يعيش الاضراب العام التوريني لشهر نيسان (ابريل) ١٩٢٠ » .

وقد تلقى العمال هذا النبأ باغتباط ورضى كبيرين .

---

* تقرير مرسل في شهر تموز (يوليو) ١٩٢٠ الى اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية ، ونشر للمرة الاولى باللغات الروسية والالمانية والفرنسية في مجلة « الاممية الشيوعية » ، العدد ١٤ عام ١٩٢٠ . ثم نشر بالايطالية ، بلا توقيع ، في صحيفة « النظام الجديد » اليومية بتاريخ ١٤ اذار (مارس) ١٩٢١ .

(١) الوفد المشار اليه كان مؤلفا — على وجه الاحتمال — من : سيراتي ، داراغونا ، غراتسيادي ، بورديغا ، دوغوني . وهو الوفد الذي عاد بحكم سلبي تماما حول الخطوات الاولى للنظام الثوري في روسيا .

(٢) كرونشطاط ، مدينة روسية واقعة على خليج فنلندة على بعد ٢٥ كيلومتر غرب لينينغراد . وكان بحارة القاعدة القيصرية البحرية في المدينة قد وقفوا الى جانب البلاشفة وساهموا بشكل بارز في نجاح ثورة اكتوبر .

ان الجزء الاكبر من أعضاء الوفد الايطالي الذي ذهب الى روسيا كان من معارضي الاضراب العام في شهر نيسان (ابريل) . بل كانوا يقولون في مقالاتهم ضد الاضراب أن العمال التورينيين كانوا ضحية الاحلام وأنهم كانوا فعالين جدا في تقييم أهمية الاضراب .

ولهذا فقد تلقى العمال التورينيون بغبطة موقف المؤازرة من رفاق كرونشطاط ، وقالوا لانفسهم : « لقد فهم رفاقنا الشيوعيون الروس وقدروا أهمية اضراب نيسان (ابريل) أكثر من الانتهازيين الايطاليين ، وأعطوا لهؤلاء درسا جيدا » .

اضراب نيسان (ابريل)

لقد كانت الحركة التورينية في نيسان (ابريل) ، في الواقع ، حدثا عظيما ليس في تاريخ البروليتاريا الايطالية فقط ، بل ايضا في تاريخ البروليتاريا الاوروبية ، ويمكننا أن نقول انه كان حدثا عظيما في تاريخ بروليتاريا العالم كله .

للمرة الاولى في التاريخ حدث أن التزمت البروليتاريا بالنضال من أجل السيطرة على الانتاج ، دون ان تكون مدفوعة الى ذلك بسبب الجوع او البطالة . والاهم من ذلك انها لم تكن الاقلية ، طليعة الطبقة العمالية ، هي التي انطلقت في النضال ، بل نزلت كل جماهير شغيلة تورينو الى الميدان وقادت نضالها حتى النهاية غير عابئة بالخسائر والتضحيات .

واستمر اضراب عمال التعدين شهرا كاملا ، بينما استمر اضراب العمال من الفئات الاخرى أياما عشرة .

وامتد الاضراب العام خلال الايام العشرة الاخيرة الى

كل انحاء مقاطعة (بيمونتي) (*) ، وشل عمل حوالي نصف مليون عامل صناعي وزراعي ، وتدخل في حياة حوالي ٤ ملايين نسمة ، بالتالي .

ووظف الرأسماليون الايطاليون كل قواهم لسحق الحركة العمالية التورينية ، ووضعت كل وسائل الدولة البورجوازية تحت تصرف هؤلاء الراسماليين ، في حين ان العمال دعموا بأنفسهم فقط الاضراب دون ان يتلقوا أية معونة او مساعدة ، لا من قيادة الحزب الاشتراكي ولا من الاتحاد العام للعمل . بل على العكس من ذلك ، فان قادة الحزب والاتحاد استخفوا بالعمال التورينيين ، وعملوا كل ما باستطاعتهم لثني العمال والفلاحين الايطاليين عن أي نشاط أو عمل ثوري ينوون من خلاله اظهار تأييدهم ودعمهم لاخوانهم التورينيين ، او تقديم المساعدة الفعالة لهم .

فوضويون ونقابيون (٣)

لم تنجح دعاية الفوضويين والنقابيين ضد الانضباط الحزبي وديكتاتورية البروليتاريا في التأثير على الجماهير ، ولا حتى عندما انتهى الاضراب الى الهزيمة ، بسبب خيانة القادة . بل ان العمال التورينيين أقسموا على تكثيف النضال الثوري وتوجيهه الى جبهتين اثنتين : من ناحية ضد البورجوازية المنتصرة ، ومن الاخرى ضد الزعماء الخونة . ان الوعي والانضباط الثوري ، اللذين أثبتت الجماهير

---

* هي المقاطعة الشمالية التي عاصمتها مدينة تورينو المركز الاول في ايطاليا (ملاحظة المعرب) .

(٣) المقصود هنا النقابيون الثوريون . راجع الهامش رقم (١) في مقال « الحزب الشيوعي » ، ص ....

التورينية امتلاكهما ، انما يعودان في قاعدتهما التاريخية الى الشروط الاقتصادية والسياسية التي نما فيها الصراع الطبقي في تورينو .

فتورينو عبارة عن مركز ذي طبيعة صناعية بحتة . ان حوالي ثلاثة أرباع السكان البالغ مجموعهم نصف مليون نسمة هم من العمال ، أما عناصر البورجوازية الصغيرة فلا يشكلون سوى نسبة ضئيلة جدا من السكان . ثم ان هنالك في تورينو كتلة متماسكة من الموظفين والتقنيين المنظمين في النقابات والمشتركين كأعضاء في غرفة العمل ، وقد وقف هؤلاء خلال كل الاضرابات الى جانب العمال ، وبذلك فقد اكتسبوا (ان لم يكن كلهم فأكثرهم) نفسية البروليتاري الحقيقي في النضال ضد رأس المال ومن أجل الثورة والشيوعية .

الانتاج الصناعي

اذا نظر المرء الى الانتاج التوريني من الخارج وجده ممركزا الى أقصى الحدود ، ووجده متناسقا ومنسجما . وتشغل صناعة المعادن ، التي تضم حوالي خمسين الف عامل وعشرة آلاف موظف ، المركز الاول . وفي مصانع « فيات » لوحدها يعمل ٣٥ ألفا من العمال والموظفين والتقنيين ، وتضم المصانع الرئيسية لهذه الشركة حوالي ١٦ الف عامل يقومون ببناء السيارات من جميع الانواع بأحدث الطرق وأكملها .

ان صناعة السيارات هي السمة المميزة لصناعة المعادن التورينية . ويتكون الجزء الاكبر من المهنيين من العمال الاخصائيين والتقنيين الذين ، رغم ذلك ، لا تسيطر

عليهم عقلية البورجوازية الصغيرة التي تسيطر على العمال الاخصائيين في بلدان اخرى كانكلترا مثلا .

ان انتاج السيارات ، الذي يشغل المركز الاول في صناعة المعادن طوع لنفسه فروعا أخرى للانتاج ، مثل صناعة الاخشاب وصناعة المطاط .

ويشكل عمال صناعة المعادن طليعة البروليتاريا التورينية . ونظرا للسمات الخاصة لهذه الصناعة ، فان كل تحرك لعمالها يصبح تحركا عاما جماهيريا ويتخذ طابعا سياسيا وثوريا ، حتى لو كان في البداية لا يستهدف أكثر من أهداف نقابية .

ولا توجد في تورينو سوى منظمة نقابية واحدة مهمة ، تضم تسعين ألف عضو ، هي غرفة العمل . أما المجموعات الفوضوية والنقابية الموجودة فلا يكاد يكون لها أي تأثير على الجماهير العمالية التي تقف بشكل حازم وقوي الى جانب فرع الحزب الاشتراكي المكون ، في غالبيته ، من عمال شيوعيين .

ولدى الحركة الشيوعية المنظمات النضالية التالية : فروع الحزب التي تضم ١٥٠٠ عضو ، ثمانية وعشرين ناديا تضم حوالي عشرة آلاف عضو ، وثلاثة وعشرين منظمة للشباب تضم ألفي عضو .

وفي كل مؤسسة أو شركة هنالك مجموعة شيوعية دائمة ، لها هيئتها الادارية . وتجتمع المجموعات المفردة حسب المواقع الجغرافية لمؤسساتها في مجموعات أحياء يشرف على كل منها لجنة ادارية داخل فرع الحزب ، وهذا الفرع يركز بين يديه قيادة كل الحركة الشيوعية للمدينة وقيادة الجماهير العمالية .

تورينو عاصمة ايطاليا

قبل الثورة البورجوازية التي أوجدت النظام البورجوازي الحالي في ايطاليا ، كانت تورينو عاصمة دويلة صغيرة تضم مقاطعتي « بييمونتي » و « ليغوريا » وجزيرة « ساردينيا » . في تلك الايام كانت الصناعة الصغيرة والتجارة تسيطر على حياة تورينو .

بعد توحيد مملكة ايطاليا ، ونقل العاصمة الى روما ، كان يبدو أن تورينو ستواجه خطر فقدان أهميتها . ولكن المدينة تجاوزت أزمتها الاقتصادية خلال وقت قصير ، واصبحت أحد أهم المراكز الصناعية في ايطاليا . ويمكن القول ان لايطاليا الان ثلاث عواصم هي : روما ، كمركز اداري للدولة البورجوازية ، وميلانو ، كمركز تجاري ومالي للبلاد (كلا المصارف والمكاتب التجارية والمؤسسات المالية متمركزة في ميلانو) ، ثم أخيرا تورينو ، كمركز صناعي ، حيث وصل الانتاج الصناعي أقصى درجات النمو . وبانتقال العاصمة الى روما هاجرت معها من تورينو كل البورجوازية الصغيرة والبورجوازية المتوسطة المثقفة التي قدمت للدولة البورجوازية الاداريين اللازمين لوظائفها . أما نمو الصناعة الكبيرة فقد اجتذب الى تورينو زهرة الطبقة العمالية الايطالية . ان عملية نمو هذه المدينة هي ، من وجهة نظر التاريخ الايطالي ، ومن وجهة نظر الثورة البروليتارية الايطالية ، مثيرة جدا للاهتمام .

وهكذا أصبحت البروليتاريا التورينية هي القائدة الروحية للجماهير العمالية الايطالية التي تربطها بهذه المدينة روابط عديدة مثل القرابة والتقاليد والتاريخ ، بالاضافة الى الروابط الروحية (انها المكان المثالي الذي يحلم اي عامل ايطالي بالعمل فيه) .

كل هذا يشرح الاسباب التي من أجلها كان عمال كل

ايطاليا يرغبون في اظهار مؤازرتهم للاضراب العام في تورينو ، ووصلوا في ذلك حد التعارض مع ارادة قادتهم . كان كل العمال يرون في هذه المدينة مركز ، بل عاصمة ، الثورة الشيوعية ، أو بيتروغراد الثورة البروليتارية الايطالية .

انتفاضتان مسلحتان

خلال حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ الامبريالية ، شهدت تورينو انتفاضتين مسلحتين ، وكانت الانتفاضة الاولى ، التي انفجرت في ايار (مايو) ١٩١٥ ، تستهدف منع دخول ايطاليا الحرب ضد المانيا (في هذه المناسبة نهب ودمر « بيت الشعب ») ، وكانت الانتفاضة الثانية ، في آب (اغسطس) ١٩١٧ ، قد اتخذت مظهر الكفاح الثوري المسلح ، على نطاق واسع .

وقد استقبلت تورينو أنباء ثورة اذار (مارس) (٤) في روسيا بفرحة لا توصف . وراح العمال يبكون من الفرح عندما وصلهم نبأ الاطاحة بالقيصر من قبل عمال بيتروغراد. ولكن العمال التوريتيين لم يؤخذوا باللفظية الديماغوجية لكيرنسكي والمناشفة . وفي تموز (يوليو) ١٩١٧ ، عندما وصلت الى تورينو البعثة التي أوفدها سوفيات بيتروغراد الى أوروبا الغربية ، قوبل الوفدان زميرنوف وغولدنبرغ ، اللذان كانا يتكلمان أمام جمهور مؤلف من خمسين الف عامل ، بصيحات تشق عباب السماء : « عاش لينين ، عاش البلاشفة » .

---

(٤) وهي الحركة الثورية المعروفة باسم ثورة فبراير (حسب التقويم القيصري الروسي القديم) ، والتي اطاحت بالقيصر واعطت روسيا نظاما ديموقراطيا ـ بورجوازيا .

ولم يكن غولدنبرغ راضيا تماما عن هـذا الاستقبال ، اذ أنه لم يفهم كيف استطاع لينين أن يحصل على كل هـذه الشعبية بين العمال التورينيين . ويجب الا ننسى أن هـذه الحادثة وقعت بعد قمع الثورة البلشفية في تموز (يوليو)، وبعد أن كانت قد قامت قيامـة الصحافـة البورجوازيـة الايطالية ضد لينين وضد البلاشفة ، متهمة اياهم بكونهـم ثلة من رجال العصابات المتآمرين، وبكونهم عملاء وجواسيس للامبريالية الالمانية .

ومنذ بداية الحرب الايطالية (٢٤ ايار ــ مايو ١٩١٥)، لم يقم البروليتاريون التورينيون بأية تظاهرة جماهيرية .

متاريس وخنادق وأسلاك شائكة

ان المهرجـان الضخم الذي نظـم على شرف مبعوثي سوفيات بيتروغراد كان بدايـة عهـد جديـد للحركـات الجماهيرية . اذ لم يكد يمض شهر واحد فقط حتى انتفض العمـال التورينيون حـاملين الاسلحـة ضـد الامبرياليـة والعسكرية الايطالية . وانفجـرت الانتفاضة يـوم ٢٣ آب (اغسطس) ١٩١٧ . وقاتل العمال في شوارع المدينة مـدة خمسة أيام . ونجح الثائرون ، المسلحون بالبنادق والقنابل اليدوية والرشاشات ، في احتلال بعض أحيـاء المدينـة، وحاولوا أربع أو خمس مرات احتلال مركز المدينـة حيث توجد المؤسسات الحكومية والقيادات العسكرية .

ولكن سنتين من الحرب والرجعية كانتا قـد أضعفتا التنظيم القوي البروليتاري ، فهزم العمال الذين كانوا أقـل تسليحا من الخصم . وكانوا يأملون ، عبثا ، في تلقي الدعم من الجنود ، ولكن هؤلاء خدعوا بالدعاية القائلة ان الالمـان كانوا وراء الانتفاضة .

وأقام الشعب يومها المتاريس ، وحفر الخنادق ، وأحاط بضعة أحياء بالاسلاك الشائكة ، وصد لمدة خمسة أيام هجمات القوات النظامية والشرطة . وسقط في المعركة أكثر من ٥٠٠ عامل ، وأصيب ألفان آخران بجروح خطرة . وبعد الهزيمة اعتقلت العناصر العمالية الافضل وأبعدت ، وفقدت الحركة البروليتارية زخمها الثوري . ولكن المشاعر الشيوعية للبروليتاريا التورينية لم تكن قد أخمدت .

التحالف التعاوني

ان « التحالف التعاوني التوريني » مؤلف من تعاونية عمال السكك الحديدية والجمعية العامة للعمال وكان الفرع الاشتراكي قد توصل منذ سنوات الى السيطرة على مجلس الادارة ، أما الان فلم يعد باستطاعة فرع الحزب القيام بنشاط تحريضي وسط الجماهير العمالية .

لقد كان الجزء الاكبر من رأس مال « التحالف » مكونا من أسهم تعاونية السكك الحديدية التي يملكها عمال السكك الحديدية وعائلاتهم . وأدى النمو الذي شهده « التحالف » الى زيادة قيمة الاسهم من ٥٠ ليرا الى ٧٠٠ ليرا . ولكن الحزب نجح في اقناع المساهمين بأن هدف التعاونية العمالية لم يكن ربحا يحققه الافراد ، بل تقوية وسائل النضال الثوري ، واكتفى المساهمون بأرباح تساوي ٣،٥ ٪ من القيمة الاسمية البالغة ٥٠ ليرا للسهم ، بدلا من نفس النسبة محسوبة على أساس القيمة الفعلية البالغة ٧٠٠ ليرا للسهم الواحد . بعد انتفاضة آب (اغسطس) تشكلت ، بدعم من الشرطة والصحافة البورجوازية والاصلاحية، لجنة لعمال السكك الحديدية استهدفت انتزاع السيطرة على مجلس الادارة من فرع الحزب الاشتراكي . ووعدت هذه

اللجنة حملة الاسهم بأن تسدد لهم ، فورا ، الفارق بين القيمة الفعلية والاسمية للسهم ، أي ٦٥٠ ليرا للسهم الواحد ، ووعدت العمال كذلك بامتيازات متعددة في توزيع المواد الغذائية . ووظف الاصلاحيون الخونة ، ومعهم الصحافة البورجوازية ، كل امكاناتهم الدعاوية والتحريضية لتحويل التعاونية من منظمة عمالية الى شركة تجارية ذات طابع بورجوازي صغير . وكانت الطبقة العمالية عرضة للملاحقات من كل نوع . وكتمت الرقابة صوت الفرع الاشتراكي ، ولكن ، رغم كل الملاحقات وكل أنواع القمع ، استطاع الاشتراكيون ، الذين لم يتخلوا لحظة واحدة عن وجهة نظرهم القائلة بأن التعاونية العمالية هي احدى وسائل النضال الطبقي ، أن يحصلوا مجددا على الاكثرية داخل « التحالف التعاوني » .

في مرحلة ما بعد الحرب

حققت الحركة البروليتارية ، بعد نهاية الحرب ، تقدما سريعا في مجالات عدة . وفهمت الطبقة العمالية التورينية ان المرحلة التاريخية التي خلقتها الحرب كانت تختلف اختلافا عميقا عن المرحلة السابقة للحرب . وسرعان ما اكتشفت الطبقة العمالية التورينية بحدسها ان الاممية الثالثة هي منظمة البروليتاريا العالمية لقيادة الحرب الاهلية ، ولانتزاع السلطة السياسية ، ولاقامة ديكتاتورية البروليتاريا ، ولايجاد نظام جديد للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

وكانت مشاكل الثورة ، الاقتصادية والسياسية ، تشكل الموضوع الاساسي لنقاشات الجمعيات العمومية للعمال . وكانت افضل قوى الطليعة العمالية تجتمع لنشر

صحيفة أسبوعية ذات اتجاه شيوعي تحت اسم « النظام الجديد » (٥) . وكانت أعمدة هذه الصحيفة الاسبوعية تعالج المشاكل المختلفة للثورة مثل : المنظمة الثورية للجماهير التي عليها السيطرة على النقابات لصالح القضية الشيوعية ، نقل النضال النقابي من الميدان الاصلاحي والكوربوراتيفي البحت الى أرض النضال الثوري والسيطرة على الانتاج وديكتاتورية البروليتاريا . ووضعت مسألة مجالس المصانع كذلك على جدول الاعمال .

في المؤسسات التورينية كانت هنالك ، منذئذ ، لجانا عمالية صغيرة ، معترف بها من قبل الراسماليين . وكانت بعض هذه اللجان قد بدأت النضال ضد الوظيفية وضد الروحية الاصلاحية والاتجاهات الدستورية للنقابات .

ولكن اكثر هذه اللجان لم يكن سوى مخلوقات أوجدتها النقابات ذاتها . وكانت المنظمات النقابية هي التي تقترح لائحة المرشحين لهذه اللجان (اللجان الداخلية) ، وكانت المنظمات النقابية تختار العمال ذوي الاتجاهات الانتهازية الذين لا يزعجون أرباب العمل ، ويقومون باخماد وتهدئة كل نشاط جماهيري بشكل عام . وشدد أتباع « النظام الجديد » في دعايتهم ، بالدرجة الاولى ، على تغيير طبيعة اللجان الداخلية ، وعلى مبدأ أن لوائح المرشحين يجب أن تأتي من داخل الجماهير العماليةوليس من قمة البيروقراطية النقابية . وكانت المهمات التي عهد بها أتباع (النظام الجديد) الى مجالس المصانع هي السيطرة على الانتاج ، والتسليح والتحضير العسكري للجماهير ، والتحضير السياسي والتقني لهذه الجماهير . اذ يجب الا تقوم مجالس

---

(٥) حول « النظام الجديد » الصحيفة راجع «حياة انطونيو غرامشي» في مقدمة الكتاب .

المصانع بعد ذلك بدور كلاب الحراسة التي تحمي مصالح الطبقات المسيطرة ، وألا تكبح الجماهير في نشاطاتها ضد النظام الرأسمالي .

الحماسة للمجالس

استقبلت الدعاية لمجالس المصانع بحماسة من قبل الجماهير ، وخلال نصف عام شكلت مجالس للمصانع في كل مصانع الصناعات المعدنية ، وحصل الشيوعيون على الاكثرية في نقابة عمال الصناعة المعدنية . ووافقت أكثرية أعضاء المؤتمر وأكثر النقابات المشتركة في غرفة العمل على مبدأ مجالس المصانع والسيطرة على الانتاج .

ويعتمد تنظيم مجالس المصانع على المبادىء الاتية ، في كل مصنع ، وفي كل معمل ، يشكل جهاز عضوي على أساس التمثيل (وليس على الاساس القديم للنظام البيروقراطي) بحيث يمثل هذا الجهاز قوة البروليتاريا ويناضل ضد النظام الرأسمالي أو يمارس السيطرة على الانتاج ، ويثقف مجموع الجماهير العمالية للنضال الثوري ولبناء الدولة العمالية . ويجب أن يشكل مجلس المصنع على أساس التنظيم الصناعي ، اذ يجب أن يمثل بالنسبة للطبقة العمالية نموذج المجتمع الشيوعي الذي يتم التوصل اليه عبر ديكتاتورية البروليتاريا ، ففي هذا المجتمع تزول الانقسامات الطبقية وتتحكم الضرورات التقنية للانتاج والتنظيم المرتبط به بكافة العلاقات الاجتماعية التي لن تخضع لسلطة دولة منظمة . ويجب ان تفهم الطبقة العمالية كل جمال ونبل الهدف الاسمى الذي تناضل وتضحي من أجله ، كما يجب ان تعي انه من الضروري المرور ببعض المراحل قبل الوصول الى هذا الهدف الاسمى ، وعليها الاعتراف بضرورة الانضباط الثوري والديكتاتورية .

وتقسم كل مؤسسة الى أقسام ، وكل قسم الى فرق مهنية ، كل فرقة منها تقوم بجزء معين من العمل ، فينتخب عمال كل فرقة عاملا منهم بتفويض الزامي ومشروط (٦) . وتشكل جمعية المفوضين العمومية لمجموع المؤسسة مجلسا ينتخب من بين أعضائه لجنة تنفيذية . وتشكل الجمعية العمومية للسكرتارين السياسيين للجان التنفيذية اللجنة المركزية للمجالس ، وهذه تنتخب من بين أعضائها لجنة مدينية لدراسة تنظيم الدعاية ووضع خطط العمل والموافقة على مشاريع واقتراحات كل مؤسسة مفردة ، بل وحتى كل عامل فرد ، وللادارة العامة لكل الحركة .

المجالس واللجان الداخلية أثناء الاضرابات

بعض مهمات مجالس المصانع تتسم بطابع تقني بحت، وحتى صناعي ، مثل الاشراف على الموظفين التقنيين ، وتسريح أو طرد أولئك الذين يثبت عداءهم للطبقة العمالية ، والصراع مع الادارة لانتزاع الحقوق والحريات ، والاشراف على انتاج المؤسسة والعمليات التمويلية .

وسرعان ما مدت مجالس المصانع لها جذورا. وتقبلت الجماهير طوعا هذا النوع من التنظيم الشيوعي ، وتحلقت حول اللجان التنفيذية ، ودعمت بقوة النضال ضد الاوتوقراطية الرأسمالية . ولكن ، لا الصناعيين ولا البيروقراطية النقابية ارادوا الاعتراف بالمجالس واللجان ، ورغم ذلك فقد حققت هذه المجالس واللجان نجاحا كبيرا .

---

(٦) تعبير « Mondato Imperativo Æ Condizionto » الايطالي يعني ، من الناحية القانونية ، ان الناخبين يفرضون ممثلهم المنتخب بالقيام بمهمات محدودة وباتخاذ مواقف لا يمكنه أن يحيد عنها باجتهاد شخصي منه(ملاحظة المعرب) .

فقد طردوا العملاء وجواسيس الرأسماليين، وأقاموا علاقات وثيقة مع الموظفين والتقنيين للحصول على معلومات عن التنظيم المالي والصناعي . وفي الشؤون الداخلية للمؤسسة ركزت المجالس بين يديها السلطة الانضباطية وأظهرت للجماهير المشتتة والمفككة ما تعنيه الادارة المباشرة للعمال في الصناعة .

لقد برزت نشاطات المجالس واللجان الداخلية بوضوح اكبر اثناء الاضرابات ، ففقدت هذه الاضرابات سمتها الاندفاعية التصادفية واصبحت تعبيرا عن نشاط واع للجماهير الثورية . ان التنظيم التقني للمجالس واللجان الداخلية وقدرتها على العمل وصلتا درجة من الكمال أصبح معها من الممكن توقيف ١٦ الف عامل ، موزعين في ٤٢ قسم من اقسام شركة « فيات » ، عن العمل خلال خمس دقائق . ويوم ٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ ، قدمت مجالس المصانع برهانا ملموسا عن قدرتها على قيادة الحركات الجماهيرية على اعلى المستويات ، فبناء على امر معطى من فرع الحزب الاشتراكي ، الذي كان يجمد بين يديه كل آلية التحرك الجماهيري ، عبأت مجالس المصانع — دون اي تحضير مسبق وخلال ساعة واحدة — ١٢٠ الف عامل ، منظمين حسب المؤسسات التابعين لها . بعد ساعد واحدة سارع هذا الجيش البروليتاري للانطلاق كموجة هائلة والوصول الى مركز المدينة ، وكنس امامه من الشوارع والساحات كل قطعان الكلاب القومية (*) والعسكرية .

---

* واضح ان كلمة Masionalista مستخدمة هنا بمعنى التعصب القومي الاعمى الفاشي، وكذلك، بالنسبة للنزعة العسكرية Militarista المستخدمة بمعناها السلبي الذي يحمل ضمنا النزعة الى الحروب كوسيلة للابقاء على سيطرة طبقة معينة تحقق للعسكر امتيازات معينة (المعرب) .

الهجمة المضادة على المجالس

كان على رأس حركة تشكيل مجالس المصانع الشيوعيون الذين هم جزء من فرع الحزب الاشتراكي ومن المنظمات النقابية . وشارك في هذه الحركة ايضا الفوضويون الذين حاولوا احلال لفظيتهم الطنانة محل اللغة الواضحة الدقيقة للشيوعيين الماركسيين .

ولكن الحركة واجهت مقاومة شرسة من قبل المسؤولين النقابيين ، ومن قبل قيادة الحزب الاشتراكي وصحيفة «افانتي» (الصحيفة الرسمية للحزب الاشتراكي) . وكان جدل هؤلاء الناس يتركز على الفارق بين مفهوم مجلس المصنع ومفهوم السوفيات . وكانوا يصلون الى استنتاجات ذات طابع نظري تجريدي بيروقراطي بحت . وخلف جملهم الرنانة كانت تختفي الرغبة في تجنب المشاركة الجماهيرية المباشرة في النضال الثوري ، والرغبة في الحفاظ على الوصاية التي تفرضها المنظمات النقابية على الجماهير . ورفض اعضاء قيادة الحزب دوما اتخاذ المبادرة في اي عمل ثوري قبل وضع خطة عمل منسقة ، ولكنهم لم يفعلوا ابدا شيئا ما لوضع مثل هذه الخطة .

ولكن الحركة التورينية (لمجالس المصانع) لم تستطع الخروج من المحيط المحلي لان كل الآلية البيروقراطية للنقابات تحركت لمنع الجماهير العمالية في الانحاء الاخرى من ايطاليا من اتباع مثل تورينو . واحيطت الحركة التورينية بطوق من السخرية والازدراء والافتراءات والانتقادات الموجهة اليها بكافة الطرق والوسائل .

وشجع النقد الحاد ، الموجه من قبل الهيئات النقابية وقيادة الحزب الاشتراكي ، شجع الراسماليين مجددا اذ ما عاد امامهم ما يوقف هجومهم على البروليتاريا التورينية وعلى مجالس المصانع . ووضع مؤتمر الصناعيين ، الذي

عقد في اذار (مارس) ١٩٢٠ في تورينو ، خطة هجومية ، ولكن « الاوصياء على الطبقة العاملة» ، المنظمات الاقتصادية والسياسية ، لم تهتم بهذا الحدث ، واضطرت البروليتاريا التورينية ، التي هجرها الجميع الى مصيرها ، مواجهة الرأسمالية الوطنية وسلطة الدولة وحيدة وبقواها الذاتية فقط . وماجت تورينو بجيش من رجال الشرطة ، واحيطت المدينة بالمدافع والرشاشتات التي اتخذت لها مرابض في النقاط الاستراتيجية . وعندما تم تحضير كل هذا الجهاز العسكري بدأ الرأسماليون التحرش بالبروليتاريا واستثارتها. وصحيح ان البروليتاريا ، امام هذه الشروط الصعبة للنضال، ترددت في قبول التحدي ، ولكنها عندما رأت أن الصدام واقع لا محالة خرجت الطبقة العمالية بشجاعة من مواقعها المتحفظة ، وارادت ان يستمر الصراع حتى نهايته المنتصرة.

المؤتمر الوطني الاشتراكي في ميلانو

لقد أضرب عمال الصناعات المعدنية مدة شهر كامل، واضربت الفئات العمالية الاخرى مدة عشرة ايام ، وتوقفت الصناعة في كل انحاء المحافظة ، وشلت المواصلات . ولكن البروليتاريا التورينية كانت معزولة عن بقية انحاء ايطاليا ، ولم تفعل الاجهزة المركزية شيئا لمساعدتها ، بل ان هذه الاجهزة لم تنشر حتى بيانا واحدا تشرح فيه للشعب الايطالي أهمية نضال العمال التورينيين . ورفضت صحيفة «أفانتي» نشر بيان فرع الحزب في تورينو. وكسب الرفاق التورينيون، اينما كان ، النعوت الساخرة التي وجهها اليهم الفوضويون والمغامرون . في تلك الفترة كان من المفترض عقد المجلس الوطني للحزب (الاشتراكي) في تورينو ، ولكن مقر المؤتمر نقل الى ميلانو ، لان « مدينة يعصف بها الاضراب العام » لا تبدو مكانا ملائما كمسرح للنقاشات الاشتراكية .

هذه المناسبة أبرزت العجز الكامل للرجال المدعوين الى قيادة الحزب . فبينما كانت الجماهير العمالية تدافع في تورينو بشجاعة عن مجالس المصانع ، التنظيم الاول المبني على الديمقراطية العمالية والمجسد للسلطة البروليتارية ، كانت ميلانو تحتضن الثرثرة حول المشاريع والطرق النظرية لتشكيل المجالس كسلطة سياسية على البروليتاريا انتزاعها. كان النقاش جاريا حول تنظيم المكتسبات التي لم تتم ، بينما تم هجر البروليتاريا التورينية الى مصيرها ، وأفسحت امام البورجوازية امكانية سحق السلطة العمالية المنتزعة فعلا .

لقد عبرت الجماهير البروليتارية الايطالية عن تعاضدها مع الرفاق التورينيين باشكال مختلفة . فقد رفض عمال السكك الحديدية في بيزا وليفورنو وفلورنس نقل القوات المتجهة الى تورينو ، وخرب عمال الموانىء وبحارة مرفأي ليفورنو وجنوة حركة النقل البحري ، وشارك عمال مدن ايطالية كثيرة في الاضراب مخالفين بذلك اوامر النقابات.

واصطدم الاضراب العام في مدينة تورينو ومقاطعة « بييمونتي » بالمقاومة والتخريب من قبل التنظيمات النقابية والحزب نفسه . ولكنه كان ، مع ذلك ، ذو أهمية تثقيفية عظمى لانه برهن ان الوحدة العملية للعمال والفلاحين هي امر ممكن ، واعاد اثبات الضرورة الملحة للنضال ضد الآلية البيروقراطية للتنظيمات النقابية ، التي هي الدعم الاقوى للنشاط الانتهازي لدى البرلمانيين والاصلاحيين ، وهو النشاط الهادف الى خنق كل تحرك ثوري للجماهير العاملة .

العمال والفلاحون (*)

خلال الحرب ، ولضرورات الحرب ، جعلت الدولة الايطالية لنفسها وظيفة ضبط انتاج وتوزيع الممتلكات المادية (١). وهكذا تحقق نوع من أنواع الاتحاد الاحتكاري، « ترست » ، للصناعة والتجارة ، وصيغة من تمركز وسائل الانتاج والمبادلة ، ومساواة في شروط الاستغلال بين الجماهير البروليتارية وشبه البروليتارية ، مما حدد النتائج الثورية لهذه الشروط. وليس من الممكن فهم السمة الاساسية للفترة الحالية اذا لم تؤخذ في الاعتبار هذه الظواهر والنتائج النفسانية الناجمة عنها .

في البلاد التي ما زالت متخلفة رأسماليا ، مثل روسيا

---

* ـ نشر هذا المقال بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ٢ اب (اغسطس) ١٩١٩ .

(١) ان تدخل الدولة لضبط الانتاج والتوزيع هو من سمات الحرب الحديثة ، وقد اتخذت في ايطاليا خلال حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ اجراءات عديدة في هذا الاطار .

وايطاليا وفرنسا واسبانيا ، هناك انقطاع كبير بين المدينة والريف ، وبين العمال والفلاحين . ففي الزراعة حافظت الاشكال الاقتصادية الاقطاعية (٢) البحتة على بقائها ووجودها، وعلى نفسية مطابقة لها. ان فكرة الدولة الحديثة الليبرالية — الرأسمالية ما زالت مجهولة ، اذ لا تعتبر المؤسسات الاقتصادية والسياسية فئات (٣) تاريخية لها مبادئها ، وناجمة عن عملية تطور ، وتستطيع حل نفسها بعد ان تكون قد أوجدت الشروط الملائمة لانماط اعلى من التعايش الاجتماعي ، بل انها مفهومة على اساس كونها فئات طبيعية ، خالدة ، لا تتغير . والواقع ان الملكيات الكبيرة للاراضي بقيت خارج نطاق المنافسة الحرة (٤) ، واحترمت الدولة الحديثة الجوهر الاقطاعي مخترعة نصوصا قانونية تضمن — في الواقع — استمرارية الحقوق

---

(٢) ان من بقايا الاقطاعية في الريف كل تلك الاشكال التي ما زالت العلاقات فيها بين الملاك والعامل الزراعي ليست ذات طابع اقتصادي وتعاقدي ، بل هي تتخذ طابع التبعية الشخصية ، التي تذكر بتبعية العبد للسيد في عصور العبودية .

(٣) Categorie الاستخدام الاساسي الفلسفي للكلمة يرجع الى الفئات الشر الإرسطوية الاساسية ، وتستخدم في علوم اخرى للعناصر الإساسية اللازمة للتحليل (مثل : الفراغ ، الزمن ، النوعية ، الكمية ... الخ) ، ولكن هناك ايضا ((الفئات)) التاريخية بالمعنى الذي يستخدمه غرامشي هنا (مثل : البرجوازية ، البروليتاريا .. الخ) اي المرتبطة بعصور معينة للتطور الاقتصادي والاجتماعي واعتبار هذه الفئات خالدة ، وغير قابلة للتغير ، هو الخطا الذي ينتقده غرامشي في فكر الرأسمالية المختلفة .

(٤) نظرا لان السيطرة المطلقة على الارض من قبل المالك تمنع ، ضمن حدود معينة ، توظيف رأس مال الاخرين فيها لزيادة انتاجها ، في حين ان أيا كان يستطيع توظيف رأسماله في الصناعة ، من الناحية النظرية على الاقل .

والامتيازات الاقطاعية مثل قانون « امانة الوقف » (٥) . ولهذا فقد بقيت عقلية الفلاح هي عقلية القن (او رقيق الارض) التي قد تثور بعنف ضد « الاسياد » في مناسبات معينة ، ولكنها عاجزة عن التفكير بالنفس كعضو في جماعة (كالامة بالنسبة للمالكين ، والطبقة بالنسبة للبروليتاريين) وعن القيام بعمل منظم ومستمر يهدف تغيير نمط العلاقات الاقتصادية والسياسية للتعايش الاجتماعي .

في هذه الشروط كانت نفسية الفلاحين غير قابلة للكشف ، وكانت المشاعر الحقيقية تبقى غامضة ، منطوية، ومختلطة في نظام دفاعي ضد الاستغلال ذي طبيعة انانية ودونما استمرارية منطقية ، يتجسد الى حد كبير في الانغلاق والخنوع المزيف . وكان النضال الطبقي عند الفلاحين يختلط بقطع الطرق والابتزاز وحرق الغابات وتشريد المواشي وخطف واغتصاب الاطفال والنساء والهجوم على دورالبلدية وغزوها ، كان شكلا من اشكال الارهاب البدائي دون نتائج ثابتة وفعالة . اذن ، موضوعيا ، كانت نفسية الفلاح تقتصر على مجموعة قليلة جدا من المشاعر البدائية الاولية المشروطة بالشروط الاجتماعية التي توجدها الدولة الديموقراطية — البرلمانية ، وكان الفلاح متروكا كليا لسلطة الملاكين وعملائهم (٦) والموظفين المرتشين ، بحيث يصبح همه الاكبر في الحياة هو حماية نفسه جسديا من أحابيل الطبيعة البدائية

---

(٥) Feda-Commenssa وهو شرط انتقال الارض الموروثة (او غيرها من الارث) الى الورثة المقبلين دون حق المساس بها (مثل بيعها او تقسيمها) ومع حق استثمارها فقط . وقد الغي هذا النوع من الارث فيما بعد في ايطاليا .

(٦) Sicofanti كلمة اغريقية قديمة كانت تعني في الاصل شهود الزور المدفوعي الاجر ، اما هنا فتعني العملاء المأجورين من قبل الاقطاعيين اصحاب الاراضي ، اي الوكلاء .

ومن اهانات ووحشية الملاكين وموظفي الدولة . لقد عاش الفلاح دوما خارج نطاق سيادة القانون ، بلا شخصية حقوقية ، وبلا شخصانية أخلاقية . وبقي بذلك عنصرا فوضويا ، ذرة مستقلة ضمن الهيجان المشوش ، لا يوقفه عند حد سوى الخوف من الشرطي ومن الشيطان . لم يكن الفلاح يعي التنظيم ، ولا الدولة ، ولا الانضباط . كان صبورا وصلبا في الجهد الفردي الذي يبذله لانتزاع ثمار هزيلة قليلة من الطبيعة ، قادرا على تضحيات قصوى في حياته العائلية ، وكان فاقد الصبر ، عنيفا بتوحش في النضال الطبقي ، عاجزا عن وضع هدف عام لتحركه امامه ، وعن تحقيق هذا الهدف بالمثابرة والنضال المنظم ..

وكان عمال المصانع والفلاحون الفقراء هما طاقتا الثورة البروليتارية . فالشيوعية تمثل ، بالنسبة لهؤلاء خاصة ، ضرورة حياتية . فتحقيق الشيوعية يعني الحياة والحرية ، بينما يعني استمرار وجود الملكية الخاصة الخطر الداهم بالانسحاق واضناعة كل شيء ، بما في ذلك الحياة نفسها . العمال والفلاحون هم العنصر الذي لا يمكن انتقاصه ، انهم استمرارية الحماسة الثورية ، والارادة الحديدية التي لا تقبل المساومات والتي تعمل على المتابعة باصرار حتى التحقيق الكامل للاهداف ، دون التعلق كثيرا باوهام النجاحات السهلة .

انهم العمود الفقري للثورة ، والكتائب الحديدية للجيش البروليتاري المتقدم ، الذي يجتاح العقبات بزخمه أو يحاصرها ببحره الانساني المائج ، والكتائب التي تنحت بصبر دؤوب ، وبتضحية دائمة . الشيوعية هي حضارتهم، وهي سلسلة الشروط التاريخية التي يكتسبون من خلالها شخصية لهم ، وكرامة ، وثقافة ، ويصبحون على اساسها روحا خلاقة للتقدم والجمال .

انه ليس لاي عمل ثوري حظ بالنجاح الا اذا بني

على اساس حاجاتهم الحياتية ومتطلبات ثقافتهم . وهذا ما يجب ان يفهمه قادة الحركة البروليتارية والاشتراكية (٧) . وضروري ايضا ان يفهموا مدى الحاح مشكلة اعطاء هذه القوة الثورية التي لا تقهر الشكل الملائم لنفسيتها السائدة.

في الشروط المتخلفة للاقتصادالرأسمالي لما قبل الحرب ما كان يمكن قيام ونمو تنظيمات فلاحية واسعة وعميقة يتثقف فيها عمال الحقول على المفاهيم العضوية للنضال الطبقي والانضباط الدائم اللازم لاعادة بناء الدولة بعد الكارثة الرأسمالية .

ولكن الانتصارات الروحية التي تحققت خلال الحرب، والخبرات الشيوعوية المتراكمة عبر اربع سنوات من استغلال الدم الذي مورس عليهم جماعيا ، كتفا بكتف في خنادق الطين الدامية ، يمكنها ان تضيع اذا لم ننجح في زج كل الافراد في حياة جماعية جديدة ، وفي العمل والممارسة اللذين يمكنهما ان يزيدا في صلابة المكتسبات وتنمية الخبرات وتكاملها وتوجيهها ، عن وعي ، للوصول الى الهدف التاريخي الملموس . وعندما ينظم الفلاحون بهذه الطريقة يصبحون عامل نظام وتقدم ، اما اذا تركوا لانفسهم ، في استحالة القيام بعمل منظم ومنضبط ، فليصبحون تشويشا مشتتا ، وفوضى شغبية من العواطف اليائسة الى حد البربرية المتوحشة الناجمة عن الآلام القصوى « التي تتزايد يوما بعد يوم .

ان الثورة الشيوعية هي ، في الاساس ، مشكلة تنظيم وانضباط . ونظرا للشروط الواقعية الموضوعية للمجتمع الايطالي فان الدور الاول في الثورة سيكون للمدن الصناعية بجماهيرها المنسجمة والمتماسكة من عمال

---

(٧) ان لجدل غرامشي القاسي ضد الزعماء الاشتراكيين في حينه ما يبرره في انهم قللوا من اهمية مشكلة التحالف العمالي ــ الفلاحي .

المصانع . اذن ، يجب توجيه أقصى الاهتمام الى الحياة الجديدة التي تفرضها الاشكال الجديدة من النضال الطبقي داخل المصنع وفي عملية الانتاج الصناعي .

ولكن الثورة لا تستطيع ان تثبت اقدامها وتنتشر بواسطة القوى الذاتية لعمال المصانع فقط ، بل من الضروري اتمام الالتحام بين المدينة والريف ، وايجاد مؤسسات للفلاحين الفقراء في الريف يمكن للدولةالاشتراكية ان تبنى على اساسها وتنمو ، ويمكن للدولة الاشتراكية من خلالها ان تعمل على ادخال الآلة وان تحقق العملية الضخمة الرائعة لتحويل الاقتصاد الزراعي . وهذه العملية ، في ايطاليا ، أسهل مما يبدو للوهلة الاولى ، ففي اثناء الحرب دخلت الى مصانع المدينة اعداد هائلة من السكان الريفيين، ولقد نجحت الدعاية الشيوعية في التأثير بهؤلاء بسرعة ، ويمكن لهؤلاء السكان ان يشكلوا اللحمة بين المدينة والريف، ويجب استخدامهم للقيام بعمل دعائي مكثف في الريف لتحطيم الشكوك والحساسيات ، لان معرفتهم الجيدة بالنفسية الريفية والثقة التي يتمتعون بها تسمحان لهم بالقيام بالنشاط الضروري لقيام ونمو المؤسسات الجديدة التي تجسد في الحركة الشيوعية القوة الواسعة لعمال الحقول.

في سبيل تجديد الحزب الاشتراكي (*)

١ ـ ان ملامح نضال الطبقات في ايطاليا تتسم في اللحظة الحالية بأن العمال الصناعيين والزراعيين قرروا بشكل لا يقبل النقاش ، في كل أنحاء أراضي الوطن ، طرح مسألة ملكية وسائل الانتاج بصورة جلية خالية من أي غموض أو مداورة . ان تفشي الازمة الوطنية ، والدولية ، التي تلغي تدريجيا قيمة النقد المتداول ، يدل على ان رأس المال قد استنزف . ان النظام الحالي للانتاج والتوزيع لم يعد باستطاعته ارضاء حتى الحاجات الاساسية الاولية للحياة الانسانية ، وهو ما زال يحافظ على وجوده فقط بسبب الحماية المستميتة التي تؤمنها القوات المسلحة للدولة البورجوازية . كل حركات الشعب العامل الايطالي تتجه بحدة لا يمكن مقاومتها الى القيام بثورة اقتصادية عارمة تدخل طرقا جديدة للانتاج ونظاما جديدا للعملية

---

* تقرير مقدم الى المجلس الوطني في ميلانو للحزب الاشتراكي من اتحاد محافظة تورينو ، ونشر في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ٨ أيار (مايو) ١٩٢٠ . وهذا التقرير هو أساس النقد الموجه الى قيادة الحزب الاشتراكي ، والوثيقة الاساسية لبناء التيار الشيوعي المنظم الذي سبق الانشقاق الحتمي التالي الذي جرى في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ .

الانتاجية والتوزيعية ، بحيث تمنح طبقة العمال الصناعيين والزراعيين سلطة المبادرة في حقل الانتاج ، وانتزاع هذه السلطة من يد الرأسماليين وملاكي الاراضي .

٢ ـ لقد حقق الصناعيون وملاكو الاراضي المركزة القصوى للانضباط ولقوة الطبقة . ان الشعار الذي أطلقه الاتحاد العام للصناعة الايطالية يجد طريقه الفوري الى وضعه موضع التنفيذ في كل مصنع . وقد أوجدت الدولة البورجوازية جيشا مسلحا من المرتزقة (١) جاهزا ليعمل كأداة تنفيذية لارادة هذه المنظمة القوية الجديدة للطبقة المالكة التي تتجه الى استعادة سلطتها على وسائل الانتاج، من خلال اغلاق المصانع على نطاق واسع ، ومن خلال الارهاب ، مجبرة العمال والفلاحين على التنازل عن كمية هائلة من العمل غير المدفوع الاجر (٢) . وكان الاغلاق الاخير للمصانع (٣) في وجه عمال الصناعات المعدنية أكبر دليل

---

(١) ما يسمى « الحرس الملكي » ، وكان هذا الحرس عبارة عن جسم عسكري أسسته حكومة « نيتي » (١٩١٩) وحددت مهمته بالمساهمة في الدفاع عن الدولة . وقد نشطت هذه القوات في قمع الحركات الشعبية ، وخاصة في المراكز الكبرى ، ثم حل النظام الفاشي هذه القوة العسكرية واحل محلها الميليشيا المتطوعة للحفاظ على أمن الدولة .

(٢) من المعروف ان العامل يعمل جزءا من يوم العمل لانتاج طاقة العمل التي يصرفها ، وان الرأسمالي يستثمر جزءا آخر من يوم العمل لتحقيق الربح من عرق العامل نفسه . وبذلك ، فان الرأسمالي يحاول جهده تقصير يوم العمل الذي يعمل فيه العامل لنفسه ، وزيادة أو تطويل يوم العمل غير مدفوع الاجر ، اي ذلك الجزء من يوم العمل الذي يذهب ناتجه الى ربح رأس المال .

(٣) اغلاق المصانع الذي يتحدث عنه غرامشي هنا هو ذلك الذي قرره ارباب العمل التوريينيين بمناسبة الاضراب الكبير لعمال الصناعات المعدنية في نيسان (نيسان) ١٩٢٠ . وكان الهدف الاول للصناعيين هو توجيه ضربة قاضية لحركة مجالس المصنع والبروليتاريا التورينية بشكل أعم . راجع مقال « الحركة التورينية للمجالس العمالية » السابق .

على ارادة الصناعيين في أن يدوسوا بأقدامهم رقبة الطبقة العمالية . وكان الصناعيون قد انتهزوا فرصة غياب التنسيق والمركزية الثورية لدى القوى العمالية الايطالية في محاولة تشويه ملامح البروليتاريا التورينية ، وفي القضاء ، أمام العمال ، على هيبة وسلطة مؤسسات المصنع (مجالس ومندوبي الاقسام) التي بدأت نضالها في سبيل السيطرة العمالية . ان طول مدة الاضرابات الزراعية في محافظتي نوفارا ولوميلينا يدل على استعداد ملاكي الاراضي للقضاء على الانتاج لايصال البروليتاريا الزراعية الى مرحلة اليأس والجوع ، واخضاعها بشكل نهائي للشروط المهينة الصعبة للعمل والبقاء على قيد الحياة .

٣ ـ ان المرحلة الحالية للنضال الطبقي في ايطاليا هي المرحلة التي تسبق : اما الاستيلاء على السلطة السياسية من قبل البروليتاريا الثورية للانتقال الى أنماط جديدة للانتاج والتوزيع تسمح بتنشيط الانتاجية ، أو هجمة الرجعية العارمة لدى الطبقة المالكة والفئة الحاكمة . ولن يجري استبعاد أي شكل من أشكال العنف في سبيل اخضاع البروليتاريا الصناعية والزراعية لاعمال عبودية ، وستكون هنالك محاولات لا ترحم لتحطيم وتفتيت أجهزة النضال السياسي للطبقة العمالية (الحزب الاشتراكي) ولامتصاص أجهزة المقاومة الاقتصادية (النقابات والتعاونيات) وادخالها في نطاق الدولة البورجوازية (٤) .

٤ ـ تفتقر القوى العمالية والفلاحية الى التنسيق والتركيز الثوري لان الاجهزة القيادية للحزب الاشتراكي أثبتت انها لا تستوعب شيئا من مرحلة التطور التي يمر بها

---

(٤) يلاحظ الوضوح الذي كان غرامشي يرى من خلاله ، منذئذ ، تطور النضال الطبقي في ايطاليا واكتشافه للاشكال التي ستكون عليها ردود الفعل الرجعية الفاشية .

التاريخ الوطني والدولي في الفترة الحالية ، وأنها لا تفهم شيئا من المهمة التي تقع على عاتق اجهزة النضال البروليتاري الثوري . ان الحزب الاشتراكي يشارك كمتفرج فقط في سير الاحداث دون أن يكون له أبدا رأي يبديه ويعتمد على الاطروحات الثورية للماركسية والاممية الشيوعية، ودون ان يطلق شعارا يمكن ان تلتقطه الجماهير، ويعطي اتجاها عاما ، ويوحد ويمركز العمل الثوري. ان على الحزب الاشتراكي ، باعتبار المنظمة السياسية لطليعة الطبقة العمالية ، أن يقوم بعمل شامل يهدف الى جعل كل الطبقة العمالية قادرة على الانتصار في الثورة وعلى الانتصار بشكل دائم . ان الحزب الاشتراكي ، باعتباره مؤلفا من قسم من الطبقة البروليتارية لم يخضع للاذلال والانتهاك الناجمين عن القمع الجسدي والروحي الذي يمارسه النظام الرأسمالي ، بل نجح في انقاذ استقلاليته وروح المبادرة الواعية والمنضبطة لديه ، ، عليه أن يجسد الضمير الثوري اليقظ لكل الطبقة المستغلة (بفتح الغين) . ان مهمته هي أن يركز حول نفسه انتباه كل الجماهير حتى تصبح توجيهاته وتعليماته هي تعليمات كل الجماهير ، وان يربح الثقة الدائمة لكل الجماهير بحيث يصبح هو القائد والرأس المفكر . وحتى يتحقق هذا يجب على الحزب ان يعيش باستمرار منغمسا في الواقع الفعلي للنضال الطبقي الذي تقوم به البروليتاريا الصناعية والزراعية ، وان يعرف كيف يفهم المراحل المختلفة ، والاحداث والوقائع المختلفة ، والظواهر المتعددة للتوصل الى الوحدة من خلال التباين المتعدد ، ولكي يكون قادرا على اعطاء التوجيهات الواقعية لمجموع الحركات ، وتعميق الاقتناع لدى الجماهير بأن النظام أمر جوهري في حالة الفوضى المرعبة الحالية ، وأن النظام ، اذا ما استتب ، ولد مجتمع الرجال وجعل أداة العمل ملائمة لارضاء متطلبات الحياة الاولية والتقدم

الحضاري . ولكن الحزب الاشتراكي بقي ، حتى بعد مؤتمر بولونيا (٥) ، حزبا برلمانيا بحتا يحافظ على جموده داخل الحدود الضيقة للديمقراطية البورجوازية ، ولا يهتم بأكثر من التصريحات السياسية للفئة الحاكمة ، ولم يكتسب الحزب لنفسه الشكل المستقل لحزب مميز للبروليتاريا الثورية ولهذه البروليتاريا الثورية فقط .

٥ ــ بعد مؤتمر بولونيا كان على الاجهزة المركزية للحزب أن تباشر فورا القيام بعمل ناشط ، وبعمق ، لتحقيق الانسجام والتماسك في الملامح الثورية للحزب ، ولاعطائه مظهرا محددا ومميزا كحزب شيوعي منتسب الى الاممية الثالثة . ولكن الجدل مع الاصلاحيين والانتهازيين لم يكن حتى قد بدأ ، ولم تطرح قيادة الحزب ، ولا صحيفة « أفانتي » (الصحيفة الرسمية للحزب) ، مفهومها الثوري الخاص في مواجهة الدعاية المستمرة التي كان يقوم بها الاصلاحيون والانتهازيون في البرلمان وداخل الاجهزة النقابية . ولم تفعل الاجهزة المركزية في الحزب شيئا من اجل اعطاء الجماهير ثقافة سياسية شيوعية ، كما أنها لم تفعل شيئا لدفع الجماهير الى القضاء على الاصلاحيين والانتهازيين وطردهم من قيادة المؤسسات النقابية والتعاونية ، ولاعطاء الفروع ومجموعات الرفاق الاكثر نشاطا توجيها وتكتيكا موحدين . وهكذا ، بينما لم تجد الاغلبية الثورية للحزب أي تعبير عن رأيها وأي منفذ لارادتها في القيادة وفي الصحيفة ، كانت العناصر الانتهازية ، على العكس من ذلك ، منظمة تنظيما قويا جيدا ، واستطاعت استغلال

---

(٥) بولونيا مدينة في شمال ايطاليا عقد فيها مؤتمر الحزب الاشتراكي بتاريخ ٥ ــ ٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٩ ، وانتهى المؤتمر بهزيمة الاصلاحية وموافقة الاغلبية الساحقة على قرار بانضمام الحزب الاشتراكي الإيطالي الى الاممية الثالثة .

هيبة وسمعة وسلطة الحزب لدعم مواقعها البرلمانية والنقابية . وسمحت قيادة الحزب لهذه العناصر بتجميع نفسها والتصويت على قرارات تتناقض مع مبادىء وتكتيك الاممية الثالثة ومعادية لاتجاه الحزب . وتركت القيادة استقلالا كاملا للاجهزة الدنيا مكنها من القيام بأعمال ومن نشر مفاهيم مخالفة لمبادىء وتكتيك الاممية الثالثة . وكانت قيادة الحزب غائبة دوما عن حياة ونشاطات الفروع والاجهزة والرفاق الافراد . ان الفوضى التي كانت قائمة في الحزب قبل مؤتمر بولونيا ، والتي كان يمكن تبريرها بظروف الحرب ، لم تختفي ، بل انها ازدادت بشكل مرعب، ومن الطبيعي ـ في مثل هذه الاوضاع ـ أن يكون الحزب قد فقد من ثقة الجماهير به وأن تكون الاتجاهات الفوضوية قد حاولت ، في أماكن كثيرة ، أن تكون الغلبة لها . ان التبرير الوحيد لوجود الحزب السياسي للطبقة العمالية هو في مواجهة السلطة الشرعية للدولة البورجوازية والحد من حرية مبادراتها ومناوراتها بسلطة أمر واقع ثورية ناجمة عن مركزة وتنسيق قويين للنشاط البروليتاري . أما اذا لم يحقق الحزب وحدة وتزامن الجهود ، واذا أثبت الحزب كونه جهازا بيروقراطيا بحتا بلا روح ولا ارادة ، فان الطبقة العمالية تتجه عفويا الى تشكيل حزب اخر لنفسها وتميل أكثر فأكثر الى الاتجاهات الفوضوية التي تنتقد بحدة ، وباستمرار ، مركزية وطريقة عمل الاحزاب السياسية .

٦ ـ لقد كان الحزب غائبا عن الحركة الاممية . ان النضال الطبقي بدأ يتخذ لنفسه ابعادا عملاقية في كافة بلاد العالم ، والبروليتاريون يندفعون ، أينما كان ، لتجديد وسائل النضال ، وكثيرا ما ينتفضون ، وسلاحهم في أيديهم ، كما حصل في المانيا بعد الانقلاب العسكري (٦) .

(٦) اشارة الى انتفاضة كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ التي قادتها المجموعة الثورية للاسبارطيين (الشيوعيين) الالمان .

ولكن الحزب لا يهتم بأن يشرح للشعب العامل الايطالي هذه الاحداث ، أو بأن يوضحها ويفسرها على ضوء مفاهيم الاممية الشيوعية ، ولا يهتم بالقيام بنشاط تثقيفي بهدف توعية الشعب العامل الايطالي وتعريفه بحقيقة ان الثورة البروليتارية هي مظهر عالمي وان كل حادث مفرد يجب اعتباره ضمن الاطار العالمي والحكم عليه من هذه الناحية . لقد اجتمعت الاممية الثالثة مرتين حتى الان في اوروبا الغربية ، الاولى في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ في احدى المدن الالمانية ، والثانية في شباط (فبراير) ١٩٢٠ في أمستردام . ولم يكن الحزب الايطالي ممثلا في أي من الاجتماعين ، ولم تقم الاجهزة المركزية حتى بتعريف أعضاء الحزب بالنقاشات الجارية والقرارات المتخذة في هذين المؤتمرين . وتدور في ميدان الاممية الثالثة نقاشات حامية حول عقيدة وحول تكتيك الاممية الشيوعية ، حتى أن هذه النقاشات قادت (كما في المانيا) الى انشقاقات داخلية . أما الحزب الايطالي فقد بقي كليا خارج هذا النقاش الفكري الخصب الذي يغني الوعي الثوري ويبني الوحدة الروحية ووحدة العمل لدى بروليتاريي كل البلدان . ان الصحيفة المركزية ليس لها مراسلون خاصون ، لا في فرنسا ، ولا في انكلترا ، ولا في المانيا ، ولا حتى في سويسرا ، انه وضع غريب بالنسبة لصحيفة الحزب الاشتراكي الذي يمثل في ايطاليا مصالح البروليتاريا الاممية ، وانه لوضع غريب بالنسبة للطبقة العمالية الايطالية التي يجب ان تطلع على المعلومات من خلال الاخبار المبتورة والمتحيزة للوكالات والصحف البورجوازية . ان صحيفة « أفانتي » ، كصحيفة للحزب ، يجب ان تكون صحيفة الاممية الثالثة . ويجب أن يكون هنالك في « أفانتي » مكان لكل الاخبار والنقاشات والمعالجات لمشاكل البروليتاريين التي تهم الاممية الثالثة . ويجب ان يجري في « أفانتي » جدل دائم ، بروح وحدوية،

ضد كافة الانحرافات والتسويات الانتهازية . ولكن « أفانتي » ، على العكس من ذلك ، تمجد مظاهر الفكر الانتهازي ، مثل الخطاب البرلماني للنائب تريفيس (٧) ، الذي كان منسوجا على منوال المفاهيم البورجوازية الصغيرة للعلاقات الدولية ، ومبنيا على أساس نظرية مضادة للثورة ومخربة للطاقات البروليتارية . هذا الغياب لدى الاجهزة المركزية عن أي اهتمام باعلام البروليتاريا عن مجرى الاحداث وعن النقاشات النظرية الجارية داخل الاممية الثالثة يمكن ملاحظته أيضا عند المكتبة دار النشر . فالمكتبة ما زالت تطبع نشرات غير ذات أهمية او كتابات تنشر مفاهيم وآراء معبرة عن الاممية الثانية بينما تهمل كليا مطبوعات الاممية الثالثة . في سويسرا وانكلترا والمانيا ، ترجمت كتابات الرفاق الروس التي لا غنى عنها لفهم الثورة البلشفية ، ولكنها ما زالت مجهولة في ايطاليا ، وهذا ينطبق على كتاب لينين « الدولة والثورة » ايضا (٨) . هذا بالاضافة الى ان الكتيبات المترجمة هي ذات ترجمة غاية في السوء ، وغالبا ما لا يمكن فهم محتواها بسبب الاخطاء القواعدية والاخطاء في المعاني .

---

(٧) هو الخطاب الذي القاه النائب الاشتراكي كلاوديو تريفيس في ٣٠ اذار (مارس) ١٩٢٠ وسمي بخطاب الكفارة . وكان الموضوع الاساسي فيه يدور حول العجز ، اذ يرى أن زمن البرجوازية قد مضى ، في حين ان الطبقة العمالية ، من جهة ثانية ، ما زالت غير قادرة على ممارسة السلطة ، والنتيجة : المأساة ، والكفارة الواجبة على الطبقات السائدة . وكان كلاوديو تريفيس (١٨٦٨ — ١٩٣٣) من اكبر زعماء التيار الاصلاحي في الحزب الاشتراكي الايطالي .

(٨) « الدولة والثورة » ، المؤلف الذي كتبه لينين في فترة آب (اغسطس) — ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ ردا على المفاهيم الانتهازية حول مسالة السلطة ، وهي المفاهيم التي سادت في الاممية الثانية .

٧ ــ تستنتج من التحليل السابق ماهيةعملية التجديد والتنظيم التي نعتقدها ضرورية الاجراء في ملامح الحزب . يجب ان يكتسب الحزب لنفسه مظهرا محددا ومميزا ، وعليه أن يتحول من وضعه الحالي كحزب برلماني بورجوازي صغير الى حزب للبروليتاريا الثورية المناضلة في سبيل المجتمع الشيوعي المقبل المتمثل بالدولة العمالية، الى حزب منسجم، متماسك ، ذو عقيدة خاصة به ، وتكتيك خاص به، وانضباط صارم قاسي . يجب ابعاد من هم ليسوا شيوعيين ثوريين عن الحزب وعن قيادته المتحررة من قلق الحفاظ على الوحدة وعلى التوازن بين الاتجاهات المختلفة والزعماء المتعددين ، بحيث توجه كل طاقاتها الى تنظيم القوى العمالية المقبلة على الحرب . ويجب التعليق فورا على كل حدث متعلق بحياة البروليتاريا الوطنية والعالمية ، وذلك عبر منشورات وتعاميم من القيادة لاستخلاص مواضيع الدعاية الشيوعية ولتثقيف الضمائر الثورية . ان القيادة ، بمحافظتها على الاتصال الدائم بالفروع ، يجب ان تصبح المركز المحرك للعمل البروليتاري بكل نشاطاته . ويجب على الفروع أن تقوم بتشكيل مجموعات شيوعية في كل المصانع والنقابات والتعاونيات والثكنات العسكرية ، لكي تقوم هذه المجموعات بدورها ببث مفاهيم وتكتيك الحزب بصورة مستمرة بين الجماهير ، وبتنظيم اقامة مجالس المصانع لممارسة السيطرة على الانتاج الصناعي والزراعي ، وببث الدعاية الضرورية لكسب النقابات وغرف العمل والاتحاد العام للعمل بصورة منظمة ، ولتصبح هذه المجموعات عناصر ثقة تفوضها الجماهير بتشكيل السوفياتات السياسية وممارسة ديكتاتورية البروليتاريا . ان وجود حزب شيوعي متماسك ومنضبط بقوة يمكنه ، عبر خلاياه في المصانع والنقابات والتعاونيات ، أن ينسق ويمركز في لجنته التنفيذية المركزية كل العمل الثوري للبروليتاريا ، هو الشرط

الاساسي الذي لا غنى عنه لاية محاولة لتجربة اقامة السوفياتات (٩) . وفي غياب هذا الشرط يجب رفض كل اقتراح بالمحاولة باعتباره غير معقول ولا يخدم الا اعداء الفكرة السوفياتية . وكذلك يجب رفض اقتراح البرلمان الاشتراكي المصغر (١٠) الذي سرعان ما سيصبح اداة في يد الاكثرية الاصلاحية والانتهازية للمجموعة البرلمانية (الاشتراكية) لبث الطوباويات الديمقراطية والمشاريع المضادة للثورة .

٨ ـ يجب على القيادة أن تقوم فورا بدراسة وصياغة ونشر برنامج الحكومة الثورية للحزب الاشتراكي ، شرط ان يطرح هذا البرنامج الحلول الواقعية التي تقترحها البروليتاريا ، كطبقة سائدة ، لكافة المشاكل الاساسية (الاقتصادية والسياسية والدينية والمدرسية ... الخ) التي تلاحق الشرائح المختلفة للشعب العامل الايطالي . واستنادا الى المفهوم القائل بأن الحزب يبني قوته وعمله معتمدا فقط على طبقة العمال الصناعيين والزراعيين الذين ليس لديهم أية ملكية خاصة ، ويعتبر الشرائح الاخرى للشعب العامل شرائح مساعدة للطبقة البروليتارية البحتة ، يجب على الحزب أن يصدر بيانا يطرح فيه مسألة الاستيلاء

---

(٩) مرة اخرى يكرر غرامشي الاصرار على الوظيفة الهامة التي للحزب الثوري في مواجهة اي ميل للتقليل من هذه الاهمية باسم التحرك العفوي للجماهير .

(١٠) هو اقتراح باقامة جمعية عمومية (ليست هي القيادة ولا هي المجلس الوطني للحزب) تضم الاشتراكيين المنتخبين ومسؤولي اعلى الاجهزة السياسية والنقابية والتعاونية ، وتجتمع هذه الجمعية العمومية لوضع الإقتراحات بمشاريع القوانين وممارسة الضغوط على الحكومة . ومن الواضح ان الاكثرية في مثل هذه الجمعية العمومية ، في حزب اشتراكي كالذي يصفه غرامشي في مختاراته هذه ، ستكون للاصلاحيين والانتهازيين .

الثوري على السلطة السياسية بكل وضوح ، ويدعو فيه البروليتاريا الصناعية والزراعية الى تحضير نفسها والى تسليح نفسها ، ويشير فيه الى عناصر الحلول الشيوعية للمشاكل القائمة حاليا ، أي لسيطرة البروليتاريا على الانتاج والتوزيع ، ونزع سلاح القوات المسلحة المرتزقة ، ونقل السيطرة على البلديات الى التنظيمات العمالية .

٩ ـ ان الفرع الاشتراكي التوريني ، على أساس هذه الاعتبارات ، يرى العمل من أجل قيام تفاهم مع مجموعات الرفاق التي ترغب ، في كل الفروع ، أن تتشكل لمناقشتها والموافقة عليها ، العمل من أجل تفاهم منظم يحضر في مدة قصيرة لعقد مؤتمر مخصص لبحث المسائل التكتيكية ومسائل تنظيم البروليتاريا ، ويراقب ـ في الوقت نفسه ـ نشاط كافة الاجهزة التنفيذية للحزب .

الحزب الشيوعي (*)

بعد سوريل (١) اصبح من الامور الشائعة الاشارة الى الجماعات المسيحيـة البدائيـة للحـكم عـلى الحركـة البروليتارية الحديثة . ويجب التأكيد فوراً على ان سوريل نفسه ليس مسؤولا بشكل من الاشكال عن التفاهة المعنوية لمعجبيه من الايطاليين (٢) ، تماما كما ان كارل ماركس ليس

---

* مقالتان ظهرتا بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ٤ ايلول (سبتمبر) و٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ .

(١) جورج سوريل (١٨٤٧ ــ ١٩٢٢) ، صحفي ودعاوي سيـاسي فرنسي ، كان المنظر الرئيسي للنقابوية الفوضوية التي كانت ترى في النقابة الاداة الوحيدة للنضال الطبقي ، وترى في الاضراب العام السلاح الاساسي لإسقاط السلطة البورجوازية . وكان سوريل منظرا للعنف ، ويمكن اعتباره من « التحريفيين اليساريين » للماركسية ، ومثل هؤلاء كلهم كان يعطف على التيارات المتطرفة الرجعية اليمينية ، ظهر تاثيره في ايطاليا على التيـار النقابوي ، وبشكل خاص على آرتورو لابرريولا وعلى بينيتو موسوليني .

(٢) من المحتمل ان الاشارة هنا تخص موسوليني بالذات وغيره مـن زعماء الفاشية الذين كانوا يعلنون اعجابهم بسوريل .

مسؤولا عن المزاعم الايديولوجية الفارغة «للماركسويين»(٣). ان سوريل هو ، في مجال البحث التاريخي ، « مخترع » لا يمكن تقليده . وهولا يضع تحت تصرف المرشحين لان يصبحوا تلامذته طريقة يمكن تطبيقها دوما بشكل آلي لتعطي في النتائج اكتشافات ذكية . ان المسيحية ، عند سوريل، كما هي بالنسبة للعقيدة الماركسية ، تمثل ثورة في قمة تطورها ونموها ، اي ثورة وصلت الى ثمارها القصوى ، والى ايجاد نظام جديد وفريد للعلاقات الاخلاقية والقانونية والفلسفية والفنية (٤) . وان في تبني هذه النتائج كاطارات ايديولوجية لكل ثورة خيانة غير ذكية للحدس التاريخي السوريلي الذي يمكنه فقط ان يكون اساسا لسلسلة من الابحاث التاريخية عن « جراثيم » حضارة بروليتارية يجب ان تكون موجودة اذا كان صحيحا (كما هو الامر لدى سوريل) ان الثورة البروليتارية امر قائم وشرطي في صلب المجتمع الصناعي الحديث ، واذا كان صحيحا انه سينتج عنها ايضا قاعدة لحياة فريدة ونظاما للعلاقات الجديدة المتميزة تماما للطبقة الثورية . اذن ، ما هو المعنى الذي يمكن ان يحمله التأكيد على ان العمال ، خلافا للمسيحيين الاوائل ، ليسوا عفيفين ، وليسوا مكتفين ، وليسوا فريدين في طريقة حياتهم ؟ بغض النظر عن التعميم الذي يعتمد الهواية ، والذي يصبح فيه « عمال الصناعات المعدنية

---

(٣) من المؤكد ان غرامشي يشير هنا الى الانحرافات والابتذال الذي وقع فيه التيار الالوي الايجابوي والذي حط اليه الفكر الماركسي . ومن الامثلة الصارخة على هذه الانحرافات كتابات اكيلي لوريا وانريكو فيري . وقد خص غرامشي لوريا وكتاباته السخيفة وذات الطابع العلمي المزيف بملاحظات كثيرة يغلب عليها طابع السخرية الجدلية .

(٤) واضح ان التفسير الغرامشي لاحكام ماركس وانجلز على المسيحية فضفاض جدا في هذه النقطة .

التورينيين » جماعة غير متجانسة من المتوحشين الذين يأكلون كل يوم دجاجا مشويا ، ويسكرون كل ليلة في دور البغاء ، وجماعة من الذين لا يحبون العائلة ، والذين يبحثون في افلام السينما وفي التقليد الفردي للعادات البورجوازية عن ارضاء لمثالياتهم في الجمال والحياة الاخلاقية (٥) . بغض النظر عن هذا التعميم ، الطفولي الطابع ، المعتمد على الهواية ، فان هذا الكلام لا يمكنه ان يصبح افتراضا لحكم تاريخي، فهو يماثل ـ على مستوى الذكاء التاريخي ـ الكلام التالي : نظرا لان مسيحيي اليوم يأكلون الدجاج . ويذهبون مع النساء ، ويسكرون ، ويدلون بالشهادات الكاذبة ، ويرتكبون الخيانة الزوجية .. الخ ، فان كون القديسين والشهداء قد وجدوا فعلا يصبح اسطورة . يجب دراسة كل مظهر تاريخي بخصائصه المتميزة ضمن اطار الواقع الحقيقي ، كتطور ونمو للحرية التي تبرز في الهدفية والمؤسسات والاشكال التي لا يمكن بتاتا الخلط او المقارنة بينها وبين الهدفية والمؤسسات والاشكال لمظاهر تاريخية ماضية (الا على سبيل الاستعارة اللغوية) (٦) . ان اية ثورة ، مثل تلك المسيحية او الشيوعية ، تتم (بل لا يمكن ان تتم الا) بتحرك أعمق وأوسع الجماهير الشعبية ، ولا يمكنها الا ان تقصم وتدمر كل النظام القائم للتنظيم

---

(٥) بعد الحرب العالمية الثانية تكرر في ايطاليا ما حصل بعد الحرب العالمية الاولى من توجيه الاتهامات باللااخلاقية للبروليتاريا ، وشارك في الحملة الثانية ضد الطبقة العاملة كل من رئيس الوزراء دي غاسبيري والفاتيكان ممثلا بالبابا بيوس الثاني عشر .

(٦) يصر غرامشي على تاريخيته المطلقة ، أي على الراي القائل بان يجب النظر الى كل ظاهرة تاريخية حصلت في فترات سابقة لا يمكن ان يكون لها أكثر من دلالة رمزية فقط . وهذا هو الوضع بالنسبة للمقارنة بين الشيوعية والمسيحية .

الاجتماعي . ومن يستطيع ان يتصور او يتوقع النتائج الفورية التي يؤدي اليها ظهور هذه الجموع اللامتناهية (من البشر) العديمة الارادة والسلطة حاليا على مسرح التدمير والخلق التاريخي ؟ ان هذه الجموع ، لانها لم تكن « تريد او تستطيع » ابدا ، فانها تود ان ترى الارادة والسلطة المكتسبتين مجسدتين في كل ممارسة عامة او خاصة ، وهي ترى ، بشكل غامض ، كل ما حولها معاد لها وتريد تدميره من اساسه . ولكن ، ونتيجة لهذا الشمول نفسه في الثورة، ولطلبها اللاتوقعي والمطلق الحرية ، فمن هو الذي يستطيع المجازفة حتى يطرح افتراض محدد عن عواطفها ومشاعرها ومبادراتها وقدراتها التي تتشكل في هذا الاتون المشتعل؟ ما هي التغيرات التي يمكن ان تطرأ على ما هو موجود اليوم ، وما نراه اليوم ، بشكل خارج عن ارادتنا وقوة شخصيتنا ؟ الن يكون كل يوم من ايام هذه الحياة الكثيفة ثورة جديدة ؟ الن يكون لكل تغير في الوعي الفردي المتوصل اليه بالشمول الكامل للجماهير الشعبية نتائج خلاقة لا يمكن تصورها ؟

لا يمكن توقع شيء في مجال الحياة الوجدانية وفي مجال العواطف انطلاقا من المعرفة الحالية . ان هنالك عاطفة واحدة اصبحت ثابتة بحيث تميز الطبقة العمالية ويمكن التأكد منها ، هي عاطفة التآزر ، ولكن كثافة وقوة هذه العاطفة لا يمكن اخذها في الحساب الا كعنصر دعم لارادة المقاومة وتضحية النفس لفترة من الزمن . ويمكن حتى للقدرة الشعبية الضعيفة في توقعها التاريخي ان تقيسهابنوع من التقريب . ولا يمكن تقييم كثافة وقوة العاطفة هاتين ، وبالتالي اعتبارها كدعامة للارادة التاريخية لفترة الخلق الثوري واقامة المجتمع الجديد عندما يمكن تحديد كل حد زمني للمقاومة والتضحية ، لان العدو الذي يجب قتاله والانتصار عليه لن يكون بعد خارج جسم البروليتاريا ، ولن يكون بعد قوة تجسدة خارجية محددة تمكن السيطرة عليها،

بل سيكون من ضمن الطبقة البروليتارية نفسها ، في جهلها وكسلها ، وفي تقوقعها في الحدس السريع عندما تصبح جدلية صراع الطبقات امرا داخليا ، وعندما يصبح على الانسان الجديد ، بكل وعيه ، وبكل فعل يقوم به ، ان يحارب « البورجوازي » في كمينه . لذلك ، فان النقابة العمالية ، وهي الجهاز الذي يحقق وينظم التآزر البروليتاري ، لا يمكنها ان تكون سببا وقاعدة لتوقعات مستقبل الحضارة وهي لا تحتوي على عناصر تنمية الحرية ، كما انها معرضة للمرور بتحولات جذرية نتيجة للتطور والنمو العام ، فهي محددة وليست اداة تحديد (٧) .

ان الحركة البروليتارية ، في مرحلتها الحاضرة، تميل الى تحقيق ثورة في تنظيم الامور المادية والقوى الجسدية. ولا يمكن ان تكون مميزاتها الخاصة هي العواطف والمشاعر المنتشرة في الجماهير والتي تحمل ارادة الجماهير ،بل يمكن البحث عن المميزات الخاصة للثورة البروليتارية فقط في حزب الطبقة العمالية ، الحزب الشيوعي ، الذي يوجد وينمو باعتباره المنظمة المنضبطة لارادة اقامة الدولة ، ولارادة التنظيم البروليتاري لاطارات القوى الجسدية الموجودة ، ووضع اسس الحرية الشعبية .

ان الحزب الشيوعي، في الفترة الحالية ، هو المؤسسة الوحيدة القادرة جديا على وضع نفسها في مواجهة الجماعات الدينية المسيحية البدائية . ويمكن للحزب ، في الحدود التي يوجد فيها حاليا ، وعلى مستوى اممي ، ان يحاول دخول مواجهة مماثلة ، وان يوجد نظاما للاحكام بين العاملين من اجل « مدينة الله » والعاملين من اجل « **مدينة الانسان**» ،

---

(٧) يتنبأ غرامشي في هذه الصورة الحية بالصعوبات والصراعات والتناقضات داخل الثورة الاشتراكية نفسها ، أما الاشارة الى النقابات فهي جزء من جدله الدائم ضد مفهوم « النقابوية الثورية » .

وما من شك في ان الشيوعي ليس ادنى مرتبة من المسيحي القديم . على العكس من ذلك ، ان الهدف الغامض الذي كانت المسيحية تفرضه على نماذجها كان تبريرا كاملا للبطولة وللتعطش الى الاستشهاد والقدسية بسبب غموضه المؤثر على المشاعر ، وليس ضروريا ان تتدخل القوى الانسانية الكبرى للشخصية والارادة لايقاظ روح التضحية لدى من يؤمن بالجائزة السماوية وبالسعادة الخالده . ان العامل الشيوعي الذي يقوم لمدة اسابيع وأشهر وسنوات بالعمل ثماني ساعات يوميا في المصنع ، ليعمل بعدها ثماني ساعات اخرى للحزب او النقابة او التعاونية ، متبرعا ، هو من وجهة النظر التاريخية للانسان اعظم من العبد ومن الحرفي الذي كان يتحدى كل الاخطار ليذهب الى الاجتماع السري للصلاة . وبنفس الطريقة ، فان روزا لكسمبورغ وكارل ليبكنيخت (٨) هما أعظم من أعظم قديسي المسيح، لان هدف عملهم واقعي وانساني ومحرر ، لذلك فان مناضلي الطبقة العاملة اعظم من المناضلين في سبيل الله . وتكون القوى الوجدانية التي تدعم ارادتهم اكبر بكثير عندما يكون الهدف المطروح على هذه الارادة محداد . اية قوة اندفاع تستطيع ان تكتسحها عواطف العامل ، الذي يبقى منحنيا

---

(٨) روزا لكسمبورغ (١٨٧١ — ١٩١٩) وكارل ليبكنيخت (١٨٧١ — ١٩١٩) ، هما قائدا الحركة الانتفاضية الاسبارطية (الشيوعية) في المانيا، قتلهما الرجعيون الالمان عام ١٩١٩ . روزا لكسمبورغ ، بولونية ، شاركت من المنفى في تاسيس الحركة الاشتراكية البولندية وكانت باحثة اقتصادية وسياسية . اعتقلت عام ١٩١٣ في المانيا ، وانشات مع ليبكنيخت المجموعة الإسبارطية ذات الاتجاه الشيوعي ، وكانت عام ١٩١٨ بين مؤسسي الحزب الشيوعي الالماني ، اما كارل ليبكنيخت فهو من مؤسسي وقادة الاشتراكية الديمقراطية الالمانية ، دخل يافعا صفوف الحركة العمالية ، وبرز لنشاطه في الحملة المعادية للاتجاهات العسكرية . اسس وقاد بالاشتراك مع روزا لكسمبورغ المجموعة الاسبارطية .

على الآلة يكرر لمدة ثماني ساعات في اليوم نفس الحركة المهنية الرتيبة رتابة حبات المسبحة ، عندما يصبح هذا العامل هو « المسيطر » ، وهو مقياس القيم الاجتماعية ؟ أليس من قبيل المعجزة ان العامل ما زال قادرا على التفكير رغم انه صار يعمل دون ان يعرف كيفية وسبب نشاطه العملي ؟ ان هذه المعجزة ، هذا العامل الذي يكتسب يوميا استقلاليته الروحية وحريته في تنظيم الافكار ، مناضلا ضد التعب وضد رتابة الحركة التي تعمل على دفع حياتهالداخلية نحو الالية ثم نحو قتلها ، هذه المعجزة تنتظم ضمن اطار الحزب الشيوعي بارادة النضال والابداع الثوري الذي يعبر عن نفسه بالحزب الشيوعي .

ان للعامل في المصنع مهمات تنفيذية بحتة . وهو لا يتابع السلسلة الكاملة للعمل وللانتاج ، انه ليس نقطة تتحرك لترسم خطا ، بل هو دبوس مغروس في مكان محدد بينما يتشكل الخط من تتابع الدبابيس التي حددت لها ارادة خارجية اوضاعها خدمة لاهدافها . ويميل العامل الى نقل طريقته هذه في الوجود الى كافة أجواء حياته ، ويتحول بسهولة — في اي مكان — الى مهمة المنفذ الفعلي ، الى « جمهور » تقوده ارادة خارجة عن ارادته . وهو كسول فكريا ، لا يعرف توقع ما بعد الشيء الآني ، ولذلك فهو خال من اي مبدأ في اختيار رؤسائه ، ويقتنع بسهولة بالوعود التي تعطى له ، ويريد ان يعتقد بامكانية الحصول على الاشياء دون جهد كبير يبذله ، ودون ان يضطر الى التفكير كثيرا . ان الحزب الشيوعي هو الاداة والشكل التاريخي لعملية التحرر الذاتي التي ينتقل فيها العامل من منفذ الى قائم بالمبادرة ، ومن جمهور الى رئيس وقائد ، ومن ساعد الى دماغ وارادة . وفي تشكيل الحزب الشيوعي يجب التقاط جرثوم الحرية الذي ينمو ليأخذ حجمه الكامل عندما تكون الدولة العمالية قد قامت بتنظيم الشروط المادية الضرورية .

ان العبد او الحرفي في العالم الكلاسيكي كان « يعرف نفسه » ، وكان يمارس تحرير نفسه بدخوله ليصبح عضوا في جماعة مسيحية ، حيث كان يشعر بالمساواة والاخوة لانه ابن الاب نفسه . وهكذا الامر بالنسبة للعامل حين يدخل الحزب الشيوعي حيث يشترك في « اكتشاف » و« اختراع» طرق اصيلة فريدة للحياة ، وحيث يشارك « طوعا » في نشاط العالم ، وحيث يفكر ويتوقع ، وحيث تكون له مسؤوليته ، وحيث يكون منظما (اسم فاعل) بالاضافة الى كونه منظما (اسم مفعول) ، وحيث يشعر بكونه طليعة تعدو الى الامام وتجر خلفها كافة الجماهير الشعبية .

وكذلك فقد ظهر الحزب الشيوعي ، حتى كتنظيم بحت، كشكل خاص للثورة البروليتارية ، فثورات الماضي لم تعرف الاحزاب ، اذ ان الاحزاب نشأت بعد الثورة البورجوازية ثم تحللت على ارض الديمقراطية البرلمانية . وفي هذا المجال ايضا تحققت الفكرة الماركسية القائلة بان الرأسمالية تخلق قوى لا تستطيع فيما بعد السيطرة عليها (٩) . وكانت مهمة الاحزاب الديموقراطية تخريج رجالات سياسة قيمين ودفعهم الى الانتصار في مجال التنافس السياسي ، اما اليوم فان المصارف هي التي تفرض رجال الحكم ، وكذلك تفعل الصحف الكبرى والجمعيات الصناعية ، فقد تحللت الاحزاب وانقسمت الى عدد كبير من التجمعات الشخصية . ان الحزب الشيوعي الناشيء من رماد الاحزاب الاشتراكية

---

(٩) انه احد مجالات النقد الماركسي للنظام الرأسمالي . ويجدر هنا التذكير بان « البيان الشيوعي » كان اول ما اكد بان البورجوازية بسبب احتياجاتها ، هي التي اوجدت « العمال الحديثين ، البروليتاريين » الذين سيقودونها الى نهايتها . وهنالك في مواقع اخرى من الإدبيات الشيوعية مقارنات اخرى للبورجوازية بالساحر الذي استحضر الشيطان ثم عجز عن السيطرة عليه .

يرفض اصوله الديموقراطية والبرلمانية ، ويكشف عن خصائصه الاساسية الفريدة في التاريخ . ان الثورةالروسية هي ثورة قام بها رجال منظمون في الحزب الشيوعي كونوا داخل اطار الحزب شخصية جديدةواكتسبوا مشاعرجديدة، وحققوا حياة وجدانية تتجه الى ان تصبح وعيا عالميا، هدفا للجنس البشري باجمعه .

***

ان الاحزاب السياسية هي انعكاس للطبقات الاجتماعية وتسمية لها (١٠) . وهي تولد وتنمو وتتحلل وتتجدد حسب التحولات ذات القيمة التاريخية الحقيقية التي تطرأ على مختلف شرائح الطبقات الاجتماعية ، وتواجه هذه الاحزاب تحولا جذريا في شروط وجودها ونموها ، وتكتسب معرفة اوسع واوضح بنفسها وبمصالحها الحيوية الخاصة. في هذه المرحلة التاريخية ، ونتيجة للحرب الامبريالية التي غيرت بعمق بنية جهاز الانتاج والتبادل الوطني والدولي ، صارت الصفة المميزة هي السرعة التي تتم فيها عملية تحلل الاحزاب السياسية التقليدية التي كانت قد نشأت علىارضية الديموقراطية البرلمانية . وعملية نشوء منظمات سياسية جديدة . ويخضع هذا التطور العام الى منطق داخلي عنيد يقدمه تصدع الطبقات القديمة والمراتب القديمة والانتقال المفاجىء لشرائح كاملة من السكان من حالة الى اخرى في كل انحاء اراضي الدولة ، وكثيرا ما يتم هذا الانتقال في مجموع اراضي السيادة الرأسمالية .

---

(١٠) أي انها تعبر ، في الميدان السياسي ، عن الوجود الحقيقي للطبقات ، وبهذا المعنى ، وان كانت البورجوازية اعتادت تمثيل نفسها باحزاب متعددة ، فان هذه الاحزاب تعبر دوما عن العداء لطبقة البروليتاريا .

حتى الطبقات الاجتماعية التي هي الاكسل تاريخيا والاكثر تأخرا في تحركها وتميزها ، مثل طبقة الفلاحين ، لا تبقى بعيدة عن تأثير العوامل التي تعمل على تحلل الجسم الاجتماعي . بل يبدو ان هذه الطبقات كلما كانت اكثر كسلا وتأخرا في الماضي كلما تريد اليوم ان تسرع في الوصول الى النتائج الديالكتيكية القصوى لصراع الطبقات ، والى الحرب الاهلية ، والى وضع اليد على العلاقات الاقتصادية. رأينا في ايطاليا خلال العامين الماضيين نشوء حزب لطبقة الفلاحين من شبه اللاشيء ، هو « الحزب الشعبي » (١١) الذي كان يدعي عند نشوئه تمثيل المصالح الاقتصادية والطموحات السياسية لكل الشرائح الريفية ، من البارون الاقطاعي الى الملاك المتوسط للارض ، ومن الملاك الصغير الى مستأجر الارض ، ومن المناصف الى الفلاح الفقير . ورأينا « الحزب الشعبي » يحصل على حوالي مئة مقعد في البرلمان عبر اللوائح الموحدة التي كانت تسيطر عليها نوعية البارون الاقطاعي والملاك الكبير للاراضي المشجرة والملاك الكبير والمتوسط للاراضي الزراعية ، بينما كانت هنالك اقلية

---

(١١) كان « الحزب الشعبي » حزبا ذو اتجاه كاثوليكي ، انشيء في منتصف عام ١٩١٩ بدعم من الفاتيكان ومبادرة من لويجي ستورزو . ويعتبره غرامشي حزب الفلاحين لان هدفه الرئيسي كان تنظيم الفلاحين واخراجهم عن سيطرة الحزب الاشتراكي . وكان لغرامشي موقف متفائل جدا من هذا الحزب في البداية ، حتى انه اشاد به باعتباره خروجا عن الفكر الديني وجزءا من التجديد الروحي الوجداني للشعب الايطالي يمكنه ان يوجد « ثقافة مبنية على عمله التاريخي وعلى اساس من الدوافع الانسانية » (« النظام الجديد » بتاريخ ١ تشرين الثاني — نوفمبر ١٩١٩) . ولكن المقال ينتهي الى حكم اقل تفاؤلا ، ويلتقي مع حكم روجيرو غريكو القائم على التجربة ، الذي يقول ان الهدف هو تجنب وقف الصراع الفلاحي حول ملكية الارض ، بل المغالاة فيه ، لان في ذلك موقفا يزيد في الانتاجية بدلا من الموقف المعادي جهرا ، والذي يوقف الانتاجية ..

ضئيلة جدا من السكان الفلاحين . ورأينا فورا ، وبسرعة هائلة ، تفجر الصراعات الداخلية في « الحزب الشعبي » ، التي هي انعكاس للتباين القائم في الجمهور الانتخابي البدائي . فالجماهير الواسعة لصغار الملاك والفلاحين الفقراء ما عادت تريد البقاء جماهيرا سلبية للمناورة في سبيل تحقيق مصالح كبار ومتوسطي الملاك . امام ضغط هذه الجماهير انقسم « الحزب الشعبي » الى جناح يميني . وجناح وسط ، وجناح يساري ، ورأينا عندئذ ، وامام ضغط الفلاحين الفقراء ، ان اقصى اليسار صار يتخذ مواقف ثورية . وصار يدخل في منافسة حقيقية مع الحزب الاشتراكي الذي اصبح هو ايضا ممثلا لجماهير فلاحية واسعة جدا . وقد بتنا نرى منذ الان تحلل « الحزب الشعبي » الذي ما عاد نوابه ولجنته المركزية يمثلون مصالح ووعي جماهيره الانتخابية والقوة المنظمة في النقابات البيضاء ، والتي صار يمثلها المتطرفون الذين لا يريدون فقدان الاشراف عليها ، ولا يستطيعون خداعها بعمل قانوني في البرلمان ، مما يجعلهم مضطرين الى اللجوء الى النضال العنيف والى الطموح لقيام مؤسسات سياسية جديدة للحكم . وقد ظهرت نفس العملية للتنظيم السريع في التيار السياسي الاخر الذي اراد تمثيل مصالح الفلاحين ، وهي جمعية المحاربين القدماء . فقد كان هذا التيار هو الانعكاس الواضح للازمة الداخلية الحادة التي تحيق بالارياف الايطالية والتي تبرز في الاضرابات العملاقة في ايطاليا الشمالية والوسطى ، وفي غزو وتقسيم الاقطاعات الكبيرة في منطقة بولبي ، وفي الهجوم على قلاع الاقطاعية في صقلية وفي ظهور المئات والالوف من الفلاحين المسلحين في مدن الجزيرة .

ان هذا التحرك العميق في الطبقات الفلاحية يهز اسس هيكل الدولة البرلمانية الديموقراطية من جذورها . وصارت الراسمالية ، كقوة سياسية ، تقتصر على

الجمعيات النقابيـة لاصحاب المصانع ، ولـم يعـد هنالك للرأسمالية حزب سياسي تجتذب ايديولوجيته اليها ايضـا شرائح البورجوازية الصغيرة في المدن والارياف . ويسمـح بالتالي باستمرار وجود دولة شرعية ذات قواعد واسعة . وتجد الرأسمالية نفسها وقد انحدرت الى الا يكون لها تمثيل سياسي الا في الصحف الكبيرة (٤٠٠ نسخة يوميا ، الـف ناخب) وفي مجلس الشيوخ المنيع (١٢) ـ كتكوين ـ امام اعمال وردود فعل الجماهير الشعبية الكبرى ، ولكن دونما سلطة وهيبة في البلاد . ولذلك ، صارت الرأسمالية تتجه الى ان تتعرف على نفسها من خـلال كبار العسكريين ، والحرس الملكي ، ومختلف المغامرين الذين تكاثروا بعد وقف القتال والمرشح كل منهم ضد الاخر ليصبح كورنيلوف (١٣) او بونابارت (١٤) الايطالي . ولهذا فان القـوة السياسية للرأسمالية الايطالية لا يمكن ان تجد لها منفذا اليوم الا من خلال انقلاب عسكري ومن خلال محاولة فرض ديكتاتورية قومية حديدية تدفع بالجماهير الايطالية الهائجة نحو اعـادة بناء الاقتصاد عبر تدمير البلدان المجاورة بواسطة القـوة المسلحة (١٥) .

---

(١٢) اعضاء مجلس الشيوخ يسميهم الملك وليسوا منتخبين .

(١٣) هو الجنرال الروسي كورنيلوف الذي زحف في ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ الى بتروغراد ، مقر الحكومة المؤقتة التي شكلت بعد ثورة شباط ، وذلك لاعادة سيطرة القيصرية عليها .

(١٤) لا يشير غرامشي هنا الى نابليون الاول بل الى نابليون الثالث الذي انتزع السلطة عبر انقلاب جرى في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ وكان ماركس نفسه قد اشار في مؤلفه « الثامن عشر من برومير للويس بونابارت » الى ان الظروف « جعلت من الممكن لشخص اعتيادي وشاذ ان يقوم بدور البطل » .

(١٥) تحديد مسبق للطبيعة الامبريالية للنظام الفاشي الذي جاء بعد ذلك بسنوات .

لقد استهلكت البورجوازية وأنهكت كطبقة حاكمة باستهلاك الرأسمالية كطريقة للانتاج والتبادل . ونظرا لعدم تواجد قوة سياسية منسجمة وقادرة على خلق دولة لدى الطبقة الحاكمة . ان البروليتاريا هي الوحيدة القادرة على خلق دولة قوية وصارمة لان لديها برنامجا لاعادة الاعمار الاقتصادي ، هو الشيوعية ، وهو برنامج يجد مقوماته الضرورية وشروطه في مرحلة النمو التي وصلت اليها الرأسمالية بالحرب الامبريالية ١٩١٤ــ١٩١٨ . البروليتاريا فقط يمكنها ــ بايجاد جهاز جديد للحقوق العامة هو نظام السوفياتات ــ ان تعطي شكلا ديناميكيا للجماهير الاجتماعية السائلة المتوهجة ، وهي وحدها يمكنها ترميم النظام في فترة الفوضى العامة للقوى المنتجة . انه لمن الطبيعي ، والمبرر تاريخيا ، ان تطرح في فترة كهذه مشكلة تشكيل الحزب الشيوعي ، التعبير عن الطليعة البروليتارية ذات الوعي الدقيق لمهمتها التاريخية ، والتي تؤسس الانظمة الجديدة ، وتكون هي المبادرة وذات الدور الاول في الفترة التاريخية الجديدة الاصيلة .

حتى الحزب السياسي التقليدي للطبقة العمالية الايطالية ، الحزب الاشتراكي ، لم ينج من عملية التحلل لكل الاشكال التجمعية ، وهي العملية المميزة للفترة التي نمر بها . لقد كان الاعتقاد بامكانية انقاذ الصورة القديمة للحزب من تحلله الداخلي هو الخطأ التاريخي الكبير للرجال الذين اشرفوا على جهاز تجمعنا (الحزب) منذ اندلاع الحرب العالمية وحتى اليوم . في الحقيقة ، ان الحزب الاشتراكي الايطالي ، بسبب تقاليده ، والاصول التاريخية لمختلف التيارات التي يتألف منها ، وبسبب اتفاق التحالف ، المضمر او المكشوف ، مع الاتحاد العام للعمل (وهو الاتفاق الذي يخدم في كافة المؤتمرات والمجالس وفي كافة الاجتماعات التداولية باعطاء سلطة غير ذات قيمة للمسؤولين

النقابيين) ، هذا الحزب الاشتراكي الايطالي لا يختلف في شيء عن « حزب العمال » البريطاني (١٦) ، وهو ثوري فقط بموجب الاقرارات العامة في برنامجه . انه تجمع أحزاب ، يتحرك بكسل وتأخر دوما ، ولا يستطيع غير ذلك . وهو معرض دوما لان يصبح الارضية السهلة الغزو من قبل المغامرين والطامعين في المراكز والطموحين دونما جدية أو قدرة سياسية . ونظرا لعدم تجانسه وللانقسامات اللامتناهية في تركيبته التي كثيرا ما يعرقل نشاطها «خدم الاسياد » ، فانه لا يستطيع أبدا حمل مسؤولية وثقل المبادرات والاعمال الثورية التي تطرحها عليه باستمرار الاحداث المتوالية بسرعة . وهذا يشرح التعارض التاريخي الذي يؤدي في ايطاليا الى أن تكون الجماهير هي التي تدفع حزب الطبقة العاملة و « تثقفه » وليس الحزب هو الذي يقود الجماهير ويثقفها .

يقال أن الحزب الاشتراكي هو المدافع عن العقيدة الماركسية ، وبذلك فان على الحزب أن يجد في هذه العقيدة البوصلة التي توجهه في تشابك وتعقد الاحداث ، وعليه أن يتمتع بتلك القدرة على التوقع التاريخي الذي يميز الاتباع

---

(١٦) « حزب العمال « البريطاني هو حزب اشتراكي ديمقراطي ، ورغم ان تاريخ تاسيسه قديم فانه لم يبرز وينهض الا في عام ١٩٠٠ نتيجة لنشاط عدد من المنظمات السياسية والنقابية والثقافية . وفي فترة لاحقة انضمت اليه الحركة التعاونية البريطانية القوية . وضع اول برنامج للحزب في عام ١٩١٨ ، وكان واضح التدريجية . وتشكلت عام ١٩٢٤ اول حكومة عمالية بدعم من حزب الاحرار ولكنها بقيت اشهرا قليلة في الحكم فقط . وفي عام ١٩٢٩ تشكلت حكومة عمالية — ليبرالية اخرى ، ثم لم يعد الحزب الى سدة الحكم حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ . وحزب العمال البريطاني اشبه باتحاد لعدد من التنظيمات منه بحزب بالمعنى الكلاسيكي للكلمة (من هنا اشارة غرامشي اليه) ، وهو اقوى احزاب الاممية الاشتراكية الديموقراطية .

الاذكياء للديالكتيكية الماركسية ، أن يمتلك مخططا عاما للعمل يستند الى ذلك التوقع التاريخي ، وأن يكون باستطاعته أن يمنح الطبقة العمالية اثناء نضالاتها شعارات واضحة ودقيقة . ولكن الحزب الاشتراكي ، الحزب المدافع عن الماركسية في ايطاليا ، على العكس من هذا كله ، مثله مثل « الحزب الشعبي » ، مثل حزب الطبقات الاكثر تخلفا في الشعب الايطالي ، معرض لكافة ضغوط الجماهير ، ولا يتحرك ، ولا يتميز عن تلك الاحزاب الا عندما تكون الجماهير قد تحركت وتميزت قبله . في الحقيقة ان هذا الحزب الاشتراكي الذي يعلن نفسه قائدا ومعلما للجماهير ليس سوى « كاتب بالعدل » (أو مسجل عقود) مسكين يسجل العمليات التي تنفذها الجماهير عفويا . هذا الحزب الاشتراكي المسكين الذي يعلن نفسه زعيما للطبقة العاملة ليس سوى عقبة في طريق الجيش البروليتاري .

اذا كان هذا الخط الغريب لسير الحزب الاشتراكي، وهذه الحالة الشاذة للحزب السياسي للطبقة العمالية ، لم يؤديا حتى الان الى كارثة عظمى ، فلان هنالك وسط الطبقة العمالية في الفروع المدينية للحزب وفي النقابات وفي المصانع وفي القرى مجموعات حيوية من الشيوعيين الواعين لدورهم التاريخي ، انها مجموعات حية وواعية للعمل ، قادرة على قيادة وتثقيف الجماهير المحلية للبروليتاريا ، ولان هنالك داخل الحزب الاشتراكي ـ كامكانية ـ حزب شيوعي لا ينقصه الا التنظيم المكشوف والمركزة والانضباط الخاص به لكي ينمو بسرعة ويحتل ويجدد صورة حزب الطبقة العمالية ، ويعطي الاتحاد العام للعمل والحركة التعاونية اتجاها جديدا .

ان المشكلة الفورية في هذه المرحلة التي تلي نضال عمال الصناعات المعدنية وتسبق المؤتمر الذي يتوجب على الحزب خلاله أن يتخذ موقفا جديا ودقيقا من الاممية

الشيوعية (١٧) ، هي بالتحديد مشكلة تنظيم ومركزة . تلك القوى الشيوعية الموجودة فعلا والعاملة منذ الان . ان الحزب الاشتراكي راح يوما بعد يوم ، وبسرعة فائقة ، يتحلل وينتهي الى الدمار . وقد اتخذت الاتجاهات ـ خلال فترة زمنية قصيرة جدا ـ شكلا جديدا ، فقد اختلط الرجال ، واختلطت المجموعات وتفرقت ، عندما وضعت أمام مسؤولية العمل التاريخي والالتزام المتخذ بالاشتراك في الاممية الشيوعية . وربح تيار الوسط المتذبذب والانتهازي جزءا من قيادة الحزب وبث الفوضى والبلبلة في الفروع . وصار من واجب الشيوعيين في هذا الغياب العام للوعي والضمير والايمان والارادة ، وفي احتدام هذه الموجة من السفالات والجبن والتخريب ، ان يتماسكوا بشدة ضمن مجموعات ، وان يكونوا مستعدين لتلقي التعليمات التي ستطرح قريبا . ان على الشيوعيين المخلصين ، وغير ذوي المصلحة الخاصة ، المؤمنين بالاطروحات التي تحت الموافقة عليها في المؤتمر الثاني للاممية الثالثة ، والمؤمنين بالانضباط المخلص للسلطة العليا للحركة العمالية العالمية ، على هؤلاء الشيوعيين أن يقوموا خلال أقل زمن ممكن بالعمل اللازم لتشكيل الفرع الشيوعي في الحزب الاشتراكي الايطالي

---

(١٧) الاممية الشيوعية ، أو الاممية الثالثة ، أسست في اذار (مارس) ١٩١٩ بناء على اقتراح من لينين ، وفي شهري تموز ـ آب (يوليو ـ اغسطس) ١٩٢٠ عقدت مؤتمرها الثاني في موسكو . وكان من المواضيع الرئيسية التي طرحت في المؤتمر الثاني المسالة القومية والمسالة الإستعمارية والمسالة الزراعية .. الخ . واقر المؤتمر كذلك شروط انتماء الاحزاب الاشتراكية الى الاممية الشيوعية ، ومن هذه الشروط أن تطرد الاحزاب من صفوفها كافة الاصلاحيين . ورغم انضمام الحزب الاشتراكي الإيطالي الى الاممية الثالثة فانه لم ينفذ هذا الشرط . وقد حلت الاممية الثالثة في عام ١٩٤٣ ،

الذي يجب ان يصبح اسمه في مؤتمر فلورنس (١٨) الحزب الشيوعي الايطالي ـ فرع الاممية الشيوعية الثالثة ، بما يتفق مع السمعة الحسنة للبروليتاريا الايطالية ، ولكي يتشكل الفرع الشيوعي بجهاز قيادي عضوي ممركز بقوة وتفرعات خاصة به منضبطة ضمن كل المجالات التي تعمل وتجتمع وتناضل فيها الطبقة العمالية ، وبمجموعة من الخدمات وادوات المراقبة والاشراف على العمل وعلى الدعاية التي تفرضها شروط العمل والنمو منذ اليوم على حزب حقيقي .

ان على الشيوعيين ، الذين انقذوا الطبقة العمالية من كارثة محتمة خلال نضالات عمال الصناعات المعدنية بحيويتهم وبروحية المبادرة لديهم ، أن يصلوا الى نتائج مواقفهم واعمالهم . عليهم أن ينقذوا الصورة الاساسية لحزب الطبقة العمالية (باعادة بنائه) واعطاء البروليتاريا الايطالية الحزب الشيوعي القادر على تنظيم الدولة العمالية والشروط اللازمة لتحقيق المجتمع الشيوعي .

---

(١٨) عقد هذا المؤتمر في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ ، وفي مدينة ليفورنو بدلا من فلورنس .

عامل المصنع (*)

كل مجتمع يعيش ويتطور باتباع طريقة انتاج محددة تاريخيا ، وحيث لا يوجد انتاج ، ولا يوجد عمل منظم (ولو بشكل بدائي) ليس هنالك مجتمع وليست هنالك حياة تاريخية . وقد عاش المجتمع الحديث وتطور الى المرحلة الحالية لانه انتمى الى نظام انتاج معين ، الى ذلك النظام الانتاجي المحدد تاريخيا بوجود طبقتين هما : الطبقة الرأسمالية ، المالكة لوسائل الانتاج ، والطبقة العاملة ، التي هي في خدمة الطبقة الاولى ، والتي تعتمد عليها عبر قيد الاجر وقيد الخطر الذي يهددها بالموت جوعا .

ان الطبقة الرأسمالية ممثلة ـ في هذه المرحلة ـ بفئة منها .. طليعية ، هي البلوتوقراطية (١) . وقد كان خط

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ٢١ شباط (فبراير) ١٩٢٠ .

(١) Plutocrazia وتعني حرفيا « سلطة الاثرياء » ، وتعني في هذه الحالة رأس المال المصرفي التمويلي . ويحدد لينين ان من السمات المميزة للامبريالية « انصهار رأس المال المصرفي برأس المال الصناعي وتشكل الاوليغارشية التمويلية على اساس هذا الراسمال التمويلي » .

التطور التاريخي للطبقة الرأسمالية عبارة عن عملية فساد وعملية تحلل . لقد انتهت المهمات التقليدية للطبقة الرأسمالية في ميدان الانتاج الى أيدي فئة متوسطة غير مسؤولة ، بلا روابط لا مصلحية ولا نفسانية تربطها بالانتاج نفسه ، انهم بيروقراطيون من نوع « موظفي الدولة » ، مرتشون ، شرهون ، فاسدون ، عملاء بورصة ، سياسيون بلا فن أو دور ، أناس يعيشون يوما بيوم ، ويشبعون رغبات منحطة ، ويطرحون على أنفسهم مثلا عليا تتلاءم مع نفسية الجشع ، مثل امتلاك نساء كثيرات ، وأموال طائلة تنفق في مواخير عاهرات الطبقات العليا وفي البارات وفي مظاهر الاسراف والفخفخة ، وامتلاك بعض السلطة لتعذيب وايلام رجال اخرين مخضعين .

أما الطبقة العاملة فقد تطورت باتجاه نوع من الانسانية الاصيلة تاريخيا والجديدة ، انها انسانية عامل المصنع ، البروليتاري الذي فقد كل البقايا النفسية لاصوله الفلاحية أو الحرفية ، البروليتاري الذي يعيش حياة المصنع وحياة الانتاج الكثيف والمنظم . انه يعيش حياة الفوضى والتشويش في العلاقات الاجتماعية خارج المصنع ، وفي العلاقات السياسية لتوزيع الثروات ، ولكنه يعيش داخل المصنع حياة منظمة ، دقيقة ، منضبطة حسب ايقاع الالات الكبيرة ، وحسب ايقاع تقسيم دقيق وصحيح للعمل ، الذي هو أكبر آلات الانتاج الصناعي .

لقد ابتعدت الطبقة المالكة لرأس المال عن العمل والانتاج ، وتفككت وأضاعت ضمير وحدتها البدائية التي كانت وحدة ديالكتيكية ، وحدة في النضال الفردي للتنافس

على الربح (٢) . وكانت وحدة الطبقة الرأسمالية قد عبرت عن نفسها بمؤسسة للدولة ، هي الحكومة . وتنازل الفرد عن وظائفه في النضال والاكتساب الى عصابة من المغامرين وممارسي السياسة المرتزقة ، للعودة الى الوقوع في الوحشية البدائية البربرية التي تغذي أخس غرائز الجشع.

أما الطبقة العمالية فقد عرفت عن نفسها بالمصنع وبالانتاج ، فالبروليتاري لا يستطيع ان يعيش دون ان يعمل ، ودون ان يعمل بشكل منظم ومنسق . لقد أوجد تقسيم العمل الوحدة النفسية للطبقة البروليتارية ، وأوجد في العالم البروليتاري ذلك الجسم من العواطف والغرائز والافكار والعادات والتقاليد والمحبة ، مما يمكن اختصاره بتعبير واحد هو : تآزر الطبقة . في المصنع ، يضطر كل بروليتاري الى اعتبار نفسه جزءا لا يتجزأ من رفاقه في العمل ، اذ هل يمكن للمادة غير ذات الشكل ، المخزونة في المستودعات ، أن تنتقل الى العالم كشيء مفيد لحياة الانسان في المجتمع ، اذا نقصت حلقة واحدة في نظام عمل الانتاج الصناعي ؟ كلما ازداد تخصص البروليتاري بحركة مهنية معينة ، شعر أن لا غنى له عن رفاقه ، وازداد شعوره بانه خلية في جسم منظم ، في جسم موحد ومتلاحم . وكلما ازداد شعور البروليتاري بضرورة النظام والمنهجية والدقة ، شعر بالحاجة الى أن يصبح العالم أشبه بمصنع واحد هائل الحجم ، منظم بنفس الدقة ، ونفس المنهجية ، ونفس الترتيب الذي يعرف انه حيوي في

---

(٢) « الوحدة الديالكتيكية » التي يتكلم عنها غرامشي هي ضمير المنتج الذي يدعم الرأسمالي في مرحلة ما قبل الاحتكار من التطور الرأسمالي . هذا الضمير بدأ يختفي في المرحلة الاحتكارية عندما تنازل الرأسمالي عن وظائفه الى البيروقراطيين ، سواء بيروقراطيي الدولة أم بيروقراطيي الاحتكارات الكبرى .

المصنع الذي يعمل فيه ، وازداد شعوره بضرورة انعكاس النظام والدقة والمنهجية ، التي هي أسس حياة المصنع ، على نظام العلاقات التي تربط مصنعا باخر ، ومدينة بأخرى، وأمة بأمة اخرى .

ان عامل المصنع ، بروليتاري الصناعة الكبرى في المدينة ، نتيجة لنفسيته الفريدة هذه ، ولفهمه الخاص هذا للعالم ، هو نموذج الشيوعية ، هو القوة الثورية التي تجسد مهمة توليد المجتمع الانساني ، هو مؤسس الدول الجديدة . بهذا المعنى (وليس بالمعنى الغبي المزيف الذي زوره محررو صحيفة « ستامبا ») أكدنا كون تورينو هي مصهر أو أتون الثورة الشيوعية ، لان اكثرية الطبقة العاملة في تورينو هي من البروليتاريين ، من عمال المصانع ، من الثوريين من النوع الذي تنبأ به كارل ماركس وليس من الثوريين البورجوازيين الصغار ، الثمان وأربعين (٣) ، من النوع العزيز على الديمقراطية وعلى طالبي الفوضوية . بهذا المعنى ايضا قلنا ان الاتحاد العام للعمل مؤلف من جماهير عمالية أكثر « ثورية » من الجماهير المنتظمة في الاتحاد النقابي (٤) ، لان الاتحاد العام للعمل يضم عمال الصناعات الاكثر تنظيما ، الصناعات « الاكثر ثورية » والطليعية ، في حين أن الاتحاد النقابي هو اللاتنظيم الذي لا ينجح في الخروج من المرحلة الجيلاتينية وغير المميزة ، ومن مرحلة فهم للعالم خاص بالبورجوازيين الصغار الذين لم يصبحوا رأسماليين ، وخاص بالحرفيين أو الفلاحين الذين لم يصبحوا بروليتاريين .

كل مجتمع يعيش ويتطور نتيجة لوجود الانتاج ، ولان

---

(٣) اشارة الى الثورات الديموقراطية البورجوازية لعام ١٨٤٨ .

(٤) التنظيم النقابي الخاص بالفوضويين ــ النقابيويين الذي شكل بعد طرد النقابيويين من الحزب الاشتراكي عام ١٩٠٨ .

الانتاج يفوق الاستهلاك ، وان كان التوزيع للاستهلاك والتوفير يتم بطريقة جائرة ، فالمجتمع يعيش ويتطور في الجور ، ولكنه يموت اذا لم ينتج ، حتى ولو كانت هنالك مملكة العدل ذاتها . والمجتمع البورجوازي لانه لا ينتج ، لان عمل المنتجين ، بعلاقات التوزيع الجديدة التي أوجدتها الحرب وبالمرحلة البلوتوبيروقراطية للرأسمالية التي تلت الحرب ، لم يعد كافيا حتى للاستهلاك ، بالاضافة الى انه ما عاد يسمح بأي تراكم . ويجري القضاء على الثروات المادية تدريجيا ، ولكن يزداد تراكم سندات تملك الثروات المادية ، أي الاوراق النقدية . لقد أصبح النظام الرأسمالي للتوزيع عبارة عن سلب مسلح يقوم به أصحاب السلطة الحكومية . لقد ابتعد الرأسمالي عن ميدان الانتاج ، وسقطت حكومة الصناعة في أيدي الحمقى وغير المسؤولين، واصبحت الطبقة العمالية وحيدة في حبها للعمل ، وحبها للالة. ان الطبقة العمالية هي التي تسيطر اليوم على الانتاج، هي سيد المجتمع لانها تستطيع ، بتوقفها عن العمل ، القضاء على الاعصاب الاخيرة للحياة فيه ، ولانه بحاجة الى جهد بطولي في الانتاج حتى يستعيد حياة جديدة وفضائل جديدة للتطور . ان الحوار بين المأجورين ، ساسة خيل الرأسمالية، اللازاريين (٥) الشرهين على موائد البورجوازية، يعتقدون ان باستطاعتهم ــ عبر انتفاضاتهم الوطنية او الانسانية الاشبه بما في القصص المسلسلة ــ ان يستحثوا هذه البطولة الانتاجية للبروليتاري ، كما نجحوا سابقا في ان يستحثوا البطولات الحربية . ولكن اللعبة لا تنجح الا مرة واحدة فقط ، ومن غير الممكن ، في هذه الحالة ، طلب

---

(٥) هو اسم للمنحطين من اهل نابولي القاطنين في حي السوق ، وكانوا قد شكلوا كذبة خلال الانتفاضة التي قادها مازانييلو عام ١٦٤٧ .

مساعدة رجال الشرطة للنجاح . لذلك ، يجب التكيف مع الاوضاع ، سواء بالحسنى او « بقليل » من الحرس الاحمر، فالبروليتاري سيزيد الانتاج من اجل الشيوعية ، ومن أجل تحقيق فهمه للعالم ، ولكي يجعل من « فلسفته » تاريخا ، وليس لايجاد كسل واسراف جديدين لدى حملة الاوراق النقدية . انه سيزيد الانتاج عندما يجتث سلاح سلطة دولته الفروع اليابسة الكثيرة في شجرة الحياة ، وهذا التشذيب يؤدي بنفسه الى زيادة الانتاج ، أي الى توزيع افضل وامكانية للتوفير .

الدولة العمالية (*)

لا يمكن تسمية جمعية ما « حزبا سياسيا » الا اذا كان لها عقيدة دستورية ، والا بمقدار ما تكون قد نجحت في وضع وبث مفهومها لفكرة الدولة ، والا بمقدار ما تكون قد نجحت في وضع برنامج خاص بها للحكومة قابل للتنظيم العملي ، أي في شروط محددة ، برجال حقيقيين وليس أشباح تجريدية للانسانية، أي في بث برنامج بين الجماهير.

لقد كان الحزب الاشتراكي الايطالي يزعم دوما انه « الحزب السياسي » للبروليتاريا الايطالية . هذا الزعم الايديولوجي كان يضع على كاهل الحزب الاشتراكي مهمات عملية وواجبات مباشرة . فقد كان على الحزب الاشتراكي أن يعي مهمته التاريخية القصوى والاكثر آنية ، وهي تأسيس الدولة ، الدولة العمالية ، واستثارة وتنظيم الشروط « السياسية » لتأسيس الدولة الجديدة . وكان يجب على الحزب الاشتراكي ان يمتلك وعيا صحيحا

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ .

لحدود واشكال مهمته في الميدان الوطني والميدان الاممي . ان النقد الموجه الى هذا الزعم الايديولوجي للحزب الاشتراكي انما ينجم من نفس تطور الاحداث التاريخية ، والاوضاع الحالية للحزب هي الاطار الحقيقي لعملية النقد والتحلل التي لا يقوم بها رجال أفراد بل عملية كاملة من التطور في تاريخ شعب .

مباشرة بعد مؤتمر بولونيا (١) ، تقدم الحزب الاشتراكي الى الشعب الايطالي كحزب كحكومة ثورية ، وكانت نتائج الانتخابات البرلمانية التي جرت في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ هي الدليل السياسي الذي كان يجب أن يمنح الحزب الطاقة والحماسة اللازمتين من اجل انتقال سريع من الدعاية الى العمل . كانت انتخابات تشرين الثاني (نوفمبر) قد أوجدت في ايطاليا الحالة السياسية التي يمكن اختصارها بتعبير واحد : كانت هنالك حكومتان. كانت الطبقة العمالية بكاملها ، وشرائح كثيرة من الطبقة الفلاحية ، قد أعلنت بوضوح وقوفها الى جانب الحزب الاشتراكي ، وأعلنت بوضوح أيضا استعدادها لان تتبع حتى النهاية حزب ديكتاتورية البروليتاريا ، الحزب الذي كان يريد ادخال الامة الايطالية ، الشعب الايطالي العامل ، في اطار الاممية الشيوعية ، في اطار الدولة العمالية العالمية التي كانت قد بدأت تتشكل بصلابة حول أول دولة عمالية وطنية ، وهي جمهورية السوفياتات الروسية ، وحول البذرة الاولى للحكومة العمالية العالمية ، وهي اللجنة التنفيذية للاممية الثالثة . ان طرح المعركة الانتخابية من قبل الاحزاب الاخرى للجماهير الايطالية ، مثل الحزب

---

(١) المؤتمر الذي عقد مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الاولى ، من ٥ الى ٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٩ .

الشعبي وجماعات المحاربين القدماء ، كان يدل على ان حتى أوسع الجماهير المتخلفة للشعب العامل كانت تؤيد حصول تغيير جذري في النظام ، الى درجة اضطرت معها هذه الاحزاب البورجوازية الصغيرة اللجوء الى أبعد ما نستطيع احمرارا ، والى لفظية ديماغوجية ، وموقع ثوري ، ظاهريا على الاقل ، كانت الايديولوجية البورجوازية قد فشلت في محاولتها تحويل انتباه الجماهير الى الرمز الويلسوني (٢)، وفشلت في ارضاء الحاجة التي كانت تشعرها الجماهير الى حل دولي للمشاكل التي طرحتها الحرب ضمن اطار الدولة البورجوازية ، ومحل الشعار الاخرق « ويلسون ، امبراطور الشعوب » حل التعاطف السياسي مع « لينين ، قائد المجتمع الاممي » . وكان الحزب الاشتراكي ، بدعايته وسمعته الحسنة التي اكتسبها أيام الحرب ، قد نجح فعلا في استثارة الشروط السياسية العامة لتأسيس الدولة العمالية ، وكان قد نجح في استثارة تأييد شعبي واسع جدا للحدث الثوري ، الى حد أن المعرفة الاكثر بدائية في النفسية السياسية كانت تدعو الى توقع وقوف أكثرية الشعب الى جانب مثل هذه الحكومة ، بحيث تصبح فعلا حكومة الاكثرية ، وذلك بعد عنف الاستيلاء على اجهزة الدولة (٣) .

ولكن الحزب لم ينجح في تنظيم الحالة التي استثارها، ولم ينجح في تثبيت وتشغيل آلة الحكومة التي تشكلت

---

(٢) اشارة الى برنامج الرئيس الاميركي ويلسون (١٨٥٦ ــ ١٩٢٤) المكثف في ١٤ نقطة والذي يعلن ضرورة قيام نظام دولي جديد يعتمد على التعاون بين الشعوب .

(٣) باعتبار ان الشرائح الوسيطة والمحايدة ، أو حتى المعادية قبل الاستيلاء على السلطة ، سوف تتجه بعد الاستيلاء عليها ، وحسب طبيعة كل منها ، نحو القوى التي استولت على مقاليد القيادة .

فورا بعد مؤتمر بولونيا ، في أول استفتاء سياسي للشعب الايطالي جرى بعد اندلاع الحرب العالمية . ان التاريخ الممتد منذ ليل ٢ ــ ٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ وحتى اليوم ، ليس سوى دليل عجز الحزب عن تنظيم الحياة السياسية للشعب الايطالي باعطائها عنوانا تسير نحوه ، وبتوجيه طلائع الثورة الشعبية بحيث يتم تشريبها بوعي دقيق لمهامها الخاصة ومسؤولياتها المحددة . لقد برهن الحزب الاشتراكي عن عدم امتلاكه لمفهوم خاص به عن الدولة ، وعن عدم امتلاكه لبرنامج لحكومة ثورية ، وبرهن عن عدم كونه « حزبا سياسيا » قادرا على تحمل المسؤولية وتأمين الرغيف والسقف للعشرات والعشرات من ملايين الشعب الايطالي ، بل جمعية من الرجال ذوي النوايا الحسنة والارادة الجيدة الذين يجتمعون للنقاش ، بأصالة ضئيلة وجهل كبير ، حول المعنى المعجمي الذي يجب اعطاءه للتعابير السياسية الجديدة التي اخترعها الخيال الناشط للبلاشفة الروس ، مثل : ديكتاتورية ، سوفيات ، سيطرة ، مجلس المصنع ، شبه البروليتاري ، الرعب .. الخ .

لقد تجاهل الحزب الاشتراكي وأغفل ، بشكل منتظم ، كل حركة للجماهير الشعبية ، سواء كانت هذه جماهير عمال صناعيين أم جماهير فلاحين فقراء متخلفين سياسيا . ولم يكتسب الحزب أي فهم لفكرة « مرتبية السلطة » Hierachy ، ففي نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ترك الحركة التورينية لمجالس المصانع تسحق سحقا ، وفي ايلول (سبتمبر) ترك الحركة العملاقة لعمال الصناعات المعدنية (٤) تنتهي ببؤس الى تسوية مهينة وبعملية احتيال

---

(٤) انها الحركة الشهيرة لاحتلال المصانع والتي انتهت بلا مخرج ثوري .

للاشراف النقابي ، تماما كما كان قد هجر كليا الجماهير الفلاحية المناضلة للاستيلاء على الارض . الحزب الاشتراكي عاجز عن وضع عقيدة للدولة العمالية الوطنية وعن رسم منهج عمل ملائم للوصول الى الهدف الاني من وجوده ، وهو تأسيس هذه الدولة . ولم يكن باستطاعة الحزب فهم عقيدة الدولة العمالية العالمية ، عقيدة الاممية الشيوعية ، وهذا ما جعل من المؤكد الوصول الى الانقسام الحالي بين اكثرية الحزب واللجنة التنفيذية . ان مجرى الاحداث هو الحكم النقدي النهائي على المواقف السياسية وعلى الايديولوجيات ، وقد دل مجرى الاحداث على الواقع الحقيقي للحزب الاشتراكي ، وأعطى تفسيرا لتصرفاته السابقة ، ولاخطائه السابقة . الحزب الاشتراكي الايطالي ، الذي لم يدرك ضرورة الاعتماد في عمله فقط على الطبقة العمالية المدينية ، بل أراد أن يكون حزب « كل العاملين » ، أصبح حزب « لا أحد » ، حزبا برلمانيا يمكنه ان يقترح على نفسه « تصحيح » أو تخريب الدولة البورجوازية ، ولكنه لا يمكنه اقتراح تأسيس دولة جديدة . لقد برهن الحزب الاشتراكي عمليا عن عدم نجاحه في فهم الموقع المرتبي الذي يجب ان تشغله ، على المستوى الوطني ، الطليعة الثورية (البروليتارية المدينية) بالنسبة لاوسع شرائح الشعب العامل ، وذلك لانه بأكثريته (يبدو ان الامر يتعلق بالاكثرية) أكد ارادة رفض طاعة أعلى سلطة للحركة العمالية العالمية ، اي المؤتمر الاممي واللجنة التنفيذية التي هي التعبير الشرعي عنه وجهازه الحكومي . ان غياب « المواطنية » ، وغياب « الاخلاص » في الحزب نحو الدولة العمالية العالمية ، يدلان على عجزه الداخلي حتى عن ادراك عضوي لدولة عمالية وطنية .

في ايطاليا، التوالد الدائم والسريع لاشباه دانونزيو(٥) (ودانونزيو يتمثل في كل مسافر يتهرب من دفع ثمن تذكرة القطار ، وكل صناعي يخفي أرباحه ، وكل تاجر يتلاعب بسجلاته للاحتيال على دائرة الضرائب) ، وغياب كل شعور بالمواطنية والاخلاص عند البورجوازية تجاه المؤسسات ، منعا دوما وجود دولة برلمانية جيدة الترتيب والتنظيم (كما في انكلترا ، مثلا) . هذه العادات البورجوازية انتقلت الى الحركة العمالية ، وبرزت بشكل صارخ خلال الاشهر الاخيرة ، وأكدت كونها قادرة على تفكيك الاممية ، بعد أن نجحت في شل الطاقات المتفجرة للطبقة العمالية الوطنية لمدة تكاد تصل الى عام كامل . ان الشيوعيين ، بمواقفهم النقية والدقيقة ، وبتصلبهم الذي لا يتزحزح ، يريدون الدفاع عن الدولة العمالية العالمية التي ما زالت هشة ضد الفساد الايطالي ، وضد التشكيك الايطالي بكل شيء ، وضد التقاليد السيئة للحياة السياسية الايطالية ، لان الشيوعيين يعتقدون انهم بالدفاع عن الاممية الشيوعية انما يدافعون بفعالية ايضا عن مستقبل الثورة البروليتارية الايطالية ، وعن مستقبل الشعب العامل الايطالي ، لانهم مقتنعون تماما بأنهم ، بهذه الطريقة ، بدأوا العمل الجدي في التوجيه والتثقيف السياسي الذي هو اليوم شرط أولي لتأسيس الدولة العمالية الايطالية (٦) .

---

(٥) غابرييلي دانونزيو ، شاعر ايطالي شهير انتهازي من عصر النهضة الايطالية .

(٦) هذا المقال نشر قبل اسابيع قليلة من انعقاد مؤتمر ليفورنو ، وكان اشبه بقرار اتهام صاغه غرامشي ضد اكثرية الحزب الاشتراكي الايطالي ، ويبرز نقاط الخلاف السياسي الرئيسية التي ادت الى الانشقاق وتاسيس الحزب الشيوعي .

روسيا والاممية (*)

لقد وجدت روسيا السوفياتية فعلا ، وفي كل يوم يمر تكتسب هذه الروسيا تعاطفا أكبر في صفوف الطبقة العمالية في كل أنحاء العالم . وهو أمر طبيعي ، فالثورة البروليتارية الروسية تقسم العالم كله الى ميدانين ، فهناك في جهة أولئك الذين هم معها ، الذين هم مع تطورها ونموها وانتصارها في العالم كله ، وهناك في الجهة الاخرى أولاء الذين هم ضدها ، الذين يريدون لها أن تختنق غارقة في دماء الشعب الروسي الثوري ، لانهم يرون بذلك سحق الثورة العالمية الشاملة . وتتواجد في الجهة الاولى الطبقة العمالية والطبقات شبه العمالية ، أي طبقات صغار الفلاحين في كل البلدان ، ويتواجد في الجهة الاخرى الرأسماليون والمصرفيون وكبار ملاك الاراضي والمضاربون في كل أنحاء العالم .

---

* نشر هذا المقال بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ .

ان التعاطف الذي كسبته روسيا السوفياتية في صفوف البروليتاريا العالمية كبير الى الحد الذي ما عادت تجرؤ معه حتى الحكومات الرأسمالية التي تفرض الحصار الاقتصادي ضدها أن تحارب حكومتها علنا ، وصارت مجبرة على الاعتراف بها وعلى اقامة علاقات وروابط تجارية معها .

ولكن هنالك حقيقة هامة يجب تسليط الضوء عليها ، وهي أن ما من حزب عمالي ، وما من تنظيم عمالي ، ولا حتى تلك الاحزاب والتنظيمات التي تطرح نفسها على أرضية الانتهازية والاصلاحية ، عاد يجرؤ على معارضة روسيا السوفياتية جهرا ، وان كانت هذه الاحزاب تدعم ، عمليا ، في بلادها ، سلطة البورجوازية .

لماذا تضطر الاحزاب والتنظيمات الاصلاحية والانتهازية الى اخفاء معارضتها الحقيقية والمبدئية ضد روسيا السوفياتات بهذه الطريقة وخلف قناع الصداقة المنافقة ؟ لانها اذا لم تفعل هكذا لفقدت بوقت قصير دعم الجماهير العمالية . اذن ، فالسبب الذي يدفع هذه الاحزاب والتنظيمات الى اعلان تأييدها لروسيا هو المنفعة . وبنفس الطريقة يتصرف الوسطيون وشبه الاصلاحيون الذين ، رغم قولهم أنهم ضد الاممية الشيوعية، وضد مبادئها وتكتيكها وتنظيمها المركز ، فانهم يقدمون انفسهم الى الطبقة العماليةكمدافعين عن الثورة البروليتارية الروسية . واذا لم يفعلوا ذلك ضاعوا وانفصلت الجماهير عنهم . انهم يتبعون نفاقا سياسيا للصداقة والتعاطف مع روسيا حتى يتمكنوا من الاستمرار في عملهم التشويشي ، ومن منع اندلاع ثورة البروليتاريا .

هذا صحيح بالنسبة لكل البلدان ، وبشكل أخص بالنسبة لايطاليا . لا نود الكلام عن الاصلاحيين ، لان العمال الواعين صاروا يعرفون كيف يحكمون على سياستهم ،

ويعرفون أنهم أعداء الثورة البروليتارية الروسية ، رغم **أنهم لا يجرأون على ادانتها علنا .**

ولكننا سنتكلم عن الوسطيين وشبه الاصلاحيين ، عن **أولئك الذين يخفون** خيانتهم خلف قناع المحافظة على وحدة الحزب ، والذين سموا أنفسهم الشيوعيين ـ الوحديين. انهم يصرحون بأعلى أصواتهم أنهم حماة مستميتون لروسيا السوفياتات ، ومؤيدون مستميتون للاممية الشيوعية ، بعد أن أعلنوا ضدهما حربا مكشوفة ! لماذا يعبر الرفيق سيراتي (١) ومؤيدوه عن تأييدهم لروسيا بكل هذا الضجيج ؟ لان روسيا ، وثورتها ، ومبادئها وطرقها في النضال تستحوذ على شعبية هائلة بين الجماهير البروليتارية الايطالية ، ولان البروليتاريا الايطالية معجبة بروسيا السوفياتات وتهلل لها ، ولان البروليتاريا الايطالية تؤازر كليا روسيا السوفياتات ، ولانها مصرة على دعم روسيا السوفياتات بكل الوسائل وحتى النهاية . لهذا ، فان الرفيق سيراتي ، ومعه الشيوعيون ـ الوحديون، يتكيفون مع الظروف حتى لا يفقدوا تأثيرهم على البروليتاريا .

ولكن هؤلاء لا يظهرون صداقة وتعاطفا تجاه روسيا **وثورتها فقط ، بل ايضا تجاه الاممية الشيوعية .** والواقع أن الثورة الروسية ترتبط ، في ضمير البروليتاريا **الايطالية** ، وبشكل صلب ومتماسك ، بالاممية الشيوعية . **ان البروليتاريا الايطالية ، بتوجيه من ضميرها وحدسها** البروليتاري ، لا تفرق بين الثورة الروسية والاممية

---

(١) جاشينتو مينوتي سيراتي ، مدير صحيفة « آفانتي » الاشتراكية منذ ١٩١٥ وحتى ١٩٢٣ ، كان احد ابرز زعماء الجناح التطرفي في الحزب الاشتراكي الايطالي . في عام ١٩٢٤ انضم سيراتي الى الحزب الشيوعي مع مجموعة مؤيدي الاممية الثالثة داخل الحزب الاشتراكي .

الشيوعية ، بل انهما تجعل منهما كلا واحدا كما هما في الحياة الواقعية . ولذلك ، فان الرفيق سيراتي ومؤيديه يجدون انفسهم مضطرين ، في هذا ايضا ، الى التكيف مع الحالة النفسية للبروليتاريا حتى لا يفقدوا نفوذهم . وليست لديهم الشجاعة الكافية للاعلان بوضوح انهم ، باعتبارهم يعارضون الشروط الـ ٢١ ، ويعارضون اطروحات المسألة الاستعمارية والمسألة القومية ، ويعارضون الاطروحات حول المسألة الزراعية ، وحتى حول نفس مبدأ مركزية الاممية الشيوعية ، فهم ضد الاممية نفسها .

الاصلاحيون والانتهازيون لديهم الشجاعة للتصريح علنا ، الوسطيون وشبه الوسطيون لا يجرأون على القول علنا انهم ضد الاممية الشيوعية ولكنهم يرفضون قراراتها الاساسية ويعملون ضدها ، في الجوهر ، هؤلاء واولئك جعلوا من انفسهم اعداء لروسيا السوفياتات وللثورة البروليتارية الروسية ، لان من يعلن ، بشكل خفي أو مبهم ، وقوفه ضد التنظيم الاممي الشيوعي للعمال ، فهو أيضا عدو لروسيا ولثورتها .

ما هي الاممية الشيوعية في الواقع ؟ انها التحقيق الاممي لمباديء ومناهج الثورة الروسية .

ان الثورة البروليتارية الروسية هي أول ثورة بروليتارية كبرى انتهت الى الانتصار باستيلاء البروليتاريا أكبر بلد رأسمالي في العالم على السلطة وباقامة ديكتاتورية البروليتاريا للمرة الاولى في التاريخ . هذه التجربة التاريخية للطبقة الثورية الروسية تتخذ اهمية ضخمة بالنسبة لكل البروليتاريا العالمية ونضالها من اجل التحرر. ومن ناحية اخرى ، ان الثورة الروسية ليست فقط نتاجا لشروط معينة وخاصة قائمة في ذلك البلد ، بل هي نتاج للحرب الامبريالية العالمية ايضا . واليوم ، بعد الحرب ، وفي كل البلدان الرأسمالية ، نجد أن الازمة الاقتصادية ،

والبطالة ، وغلاء المعيشه ، وانخفاض قيمه العمله ، هي المظاهر العامة التي تجعل شروط أي بلد مشابهة للشروط التي كانت موجودة في روسيا قبل عام ١٩١٧ . ولكن ليس اندلاع الثورة الروسية فقط ، بل ايضا نموها وتطورها ، مرتبط بالازمة الاقتصادية والسياسة العالمية ، وهي الازمة التي تزداد اتساعا وعمقا بمرور الوقت . ان شروط الثورة العالمية تنضج بسرعة ، وانتصار الثورة الشاملة هو الذي يؤمن الانتصار النهائي للثورة الروسية (٢) .

حسنا ، والان : الاممية الشيوعية تفعل كل ما في وسعها لتنظيم البروليتاريا العالمية مستفيدة بذلك من التجربة العملاقة النادرة للثورة الروسية في تحضير الثورة الشاملة .

ان سحق الثورة الروسية يعني ، بالتالي ، سحق الثورة العالمية . والحكومات الرأسمالية تعرف ذلك ، وهذا ما يدعوها الى محاربة روسيا السوفياتات حتى النهاية . ولكن هذا ما بدأت تفهمه أيضا البروليتاريا العالمية ، اذ بدأ يختفي من ضميرها كل شك في أن الخدمة التي يراد تقديمها للثورة الروسية هي نفسها الانتماء الى الاممية الشيوعية .

اذن ، فأولئك الذين يناضلون علنا أو بشكل مقنع ضد الاممية الشيوعية انما يفعلون ، في الواقع ، ضد روسيا السوفياتات ، انهم أعداؤها ، وهم أعداء أشد خطورة لانهم موجودون في صفوف الطبقة العمالية ، والذنب ذنبهم اذا كانت البورجوازية ما زالت تنجح في المحافظة بعد على جزء من العمال تحت تأثيرها .

---

(٢) هذه الاطروحة أعيد النظر بها داخل الحركة العمالية العالمية بعد بضع سنوات ، عندما بدا واضحا انحسار المد الثوري في كل اوروبا ، وطرحت مشكلة بناء الاشتراكية في بلد واحد ، أي في الاتحاد السوفياتي .

ان الواجب الاعلى أمام الشيوعيين الايطاليين هو كشف الاقنعة ومحاربة هذه السياسة الخطرة للوسطيين . لنصرخ في وجه أصدقاء روسيا والاممية المنافقون : « انزعوا أقنعتكم ، فأنتم تعملون وتناضلون ضد الاممية ، اذن فأنتم أعداء أول ثورة بروليتارية كبرى ، وعندما تفهم البروليتاريا الايطالية هذه الحقيقة ، لا بد لها من ادانتكم » .

مؤتمر ليفورنو (*)

ان مؤتمر ليفورنو مؤهل لان يصبح أحد الاحداث التاريخية الاكثر أهمية في الحياة الايطالية المعاصرة . ففي ليفورنو سيجري التأكيد اخيرا مما اذا كانت الطبقة العمالية الايطالية قادرة على أن تعطي من بين صفوفها حزبا مستقلا للطبقة ، والتأكد أخيرا مما اذا كانت تجارب أربع سنوات من الحرب الامبريالية وسنتين من الاقتراب من النزع الاخير للقوى الانتاجية العالمية قد أفادت في جعل الطبقة العمالية الايطالية تعي مهمتها التاريخية .

ان الطبقة العمالية هي الطبقة الوطنية والاممية في آن . فهي يجب أن تكون على رأس الشعب العامل المناضل في سبيل التحرر من عبودية رأس المال الصناعي والتمويلي على المستويين الوطني والعالمي . ان المهمة الوطنية للطبقة العمالية محددة بعملية تطور ونمو الرأسمالية الإيطالية

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ . وكما هو معروف فان مؤتمر ليفورنو للحزب الاشتراكي وصل يوم ٢١ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ الى انشقاق الجناح الشيوعي للحزب وتأسيس الحزب الشيوعي الإيطالي .

والدولة البورجوازية التي هي تعبيرها الرسمي . لقد وصلت الرأسمالية الايطالية الى الاستيلاء على السلطة باتباع خط التطور التالي : أخضعت الارياف الى المدينة الصناعية ، وأخضعت وسط وجنوب ايطاليا الى شمالها . ان مسألة العلاقات بين المدينة والريف لا تبرز في الدولة البورجوازية الايطالية كمسألة علاقات بين المدن الصناعية الكبرى والارياف المرتبطة مباشرة بها داخل الاقليم الواحد فحسب ، بل ايضا كمسألة للعلاقات بين جزء من التراب الوطني واخر متميز عنه تماما ويتسم بصفات خاصة . وتمارس الرأسمالية استغلالها وسيطرتها بالطريقة التالية : في المصنع مباشرة على الطبقة العمالية ، وفي الدولة على أوسع شرائح الشعب الايطالي العامل المكون من الفلاحين الفقراء وأشباه البروليتاريين . من المؤكد ان الطبقة العمالية وحدها ، بانتزاعها السلطة السياسية والاقتصادية من أيدي الرأسماليين والمصرفيين ، تستطيع ان تحل المشكلة المركزية للحياة الوطنية الايطالية ، أي مشكلة الجنوب. ومن المؤكد ان الطبقة العمالية وحدها يمكنها ان تقود حتى النهاية الجهد الكبير للوحدة الذي بدأ في عصر النهضة . لقد وحدت البورجوازية الشعب الايطالي أرضا ، ويقع على عاتق الطبقة العمالية توحيد الشعب الايطالي اقتصاديا وروحيا . ولا يمكن ان يتم ذلك الا بتحطيم الالة الحالية للدولة البورجوازية المبنية على أساس التفوق المرتبي للرأسمالية الصناعية والمصرفية على بقية القوى المنتجة للامة . ولا يمكن أن تتم عملية القلب هذه الا بالجهد الثوري للطبقة العمالية الخاضعة مباشرة للرأسمالية ، ولا يمكنها ان تتم الا في ميلانو وتورينو وبولونيا ، أي في المدن الكبرى التي تنطلق منها ملايين الخيوط التي تؤلف شبكة سيطرة الرأسمالية الصناعية والمصرفية على كل القوى المنتجة في البلد . في ايطاليا ، وبسبب الشكل الخاص لبنيتها

الاقتصادية والسياسية ، ليس صحيحا فقط ان الطبقة العمالية ، بتحررها ، تحرر كل الطبقات الاخرى المضطهدة والمستغلة ، بل صحيح ايضا ان هذه الطبقات الاخرى لن تنجح أبدا في التحرر اذا لم تتحالف بقوة ، حتى من خلال المصاعب والالام الكبرى والتجارب القاسية . ان التباعد الذي سيحصل في ليفورنو ، بين الشيوعيين والاصلاحيين، سيحمل هذا المعنى بشكل خاص : ان الطبقة العمالية سوف تنفصل عن تلك التيارات المتفسخة للاشتراكية ، التي تعفنت في التطفل الحكومي ، سوف تنفصل عن تلك التيارات التي تحاول استغلال حالة تفوق الشمال على الجنوب لخلق ارستقراطية بروليتارية ، بأن تخلق ، بالاضافة الى سياسة الحماية الجمركية البورجوازية (وهي شكل قانوني لسيطرة الرأسمالية الصناعية والمصرفية على بقية القوى المنتجة الوطنية) ، سياسة حماية تعاونية ، وتعتقد بامكانية تحرر الطبقة العمالية على كتف اكثرية الشعب العامل (١) . ويقدم الاصلاحيون الاشتراكية في ريجو ايميليا (٢) على أنها « مثالية » . ويريدونا ان نعتقد

---

(١) يتبنى غرامشي هنا بعض الموضوعات الرئيسية في نقاشات المسألة الجنوبية لايطاليا ، ويوسعها فيما بعد . مثل الوقوف ضد الحماية الجمركية للمنتجات الصناعية للشمال ، وهي الحماية التي كان يدفع ثمنها فلاحو الجنوب المضطرين الى شراء تلك المنتجات بأسعار باهظة ، والوقوف ضد التسهيلات التي كانت البورجوازية تحصل على قيمة هذه التسهيلات من عرق الفلاحين . ومن هنا تنبع الشكوك التي كان يشعر بها الجنوبيون تجاه الحزب الاشتراكي الايطالي المعتبر ممثلا لمصالح الطبقة العمالية التي لا تنطبق على مصالح جماهير الجنوب . والمنظور الاوسع الذي يقدمه غرامشي هو ضرورة التحالف العمالي — الفلاحي لتحطيم سلاسل الاستغلال لكلتا الطبقتين .

(٢) مقاطعة ايطالية في الشمال كانت تحكمها اغلبية اشتراكية ، وتعرف حاليا بكونها « المقاطعة الحمراء » في ايطاليا لانها معقل من معاقل الحزب الشيوعي .

بأن كل ايطاليا ، وكل العالم ، يمكنهما ان يصبحا ريجو ايميليا كبيرة . ان الطبقة العمالية الثورية تؤكد رفض هذه الصيغ السفاح من الاشتراكية ، فتحرر الشغيلة لا يمكن أن يأتي عبر الامتيازات المنتزعة لصالح الارستقراطية العمالية من خلال التسويات البرلمانية والابتزازات الوزارية . ان تحرر الشغيلة يمكنه ان يتحقق فقط عبر التحالف بين العمال الصناعيين للشمال والفلاحين الفقراء للجنوب من أجل اسقاط الدولة البورجوازية وتأسيس دولة العمال والفلاحين ، ومن أجل بناء آلة جديدة للانتاج الصناعي تخدم احتياجات الزراعة ، وتخدم في تصنيع الزراعة الايطالية المتخلفة ، ورفع مستوى الرفاهية الوطنية لحساب الطبقات العاملة .

ان الثورة العمالية الايطالية ، ومساهمة الشعب الايطالي العامل في حياة العالم ، لا يمكنهما ان يتحققا الا ضمن اطارات الثورة العالمية . وهنالك فعلا منذ الان نواة للحكومة العمالية العالمية ، هي اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية المنبثقة عن المؤتمر الثاني . ان طليعة الطبقة العمالية الايطالية ، الجزء الشيوعي من الحزب الاشتراكي، سوف تؤكد في ليفورنو على ضرورة وحتمية الانضباط والاخلاص للحكومة العالمية الاولى للطبقة العمالية . بل أكثر من ذلك ، انها ستجعل هذه النقطة هي النقطة المركزية لنقاشات المؤتمر (٣) . ان الطبقة العمالية الايطالية تقبل بأقصى حدود الانضباط ، لانها تريد من كافة الطبقات العمالية الوطنية الاخرى ان تقبل أقصى حدود الانضباط وتلتزم بها .

---

(٣) يومها ، كاليوم ، كانت مشكلة العلاقات مع الحركة العمالية الثورية الاممية ، وبشكل اخص مع الدولة الاشتراكية الاولى ، هي مركز النقاشات بين الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين .

وتعرف الطبقة العمالية الايطاليـة أنها لا تستطيـع التحرر ، ولا تستطيع تحرير كل الطبقات الاخرى المضطهدة والمستغلة للرأسمالية الوطنية ، ما لم يكن هنالك نظام لقوى ثورية عالمية متفقة على نفس الغاية . ان الطبقـة العماليـة الايطالية على استعداد لمساعدة الطبقات العمالية الاخرى في جهودها من أجل التحرير ، ولكنها تريد ضمانة معينة بتلقي مساعدة تلك الطبقات لجهودها. ولا يمكن الحصول على هذه الضمانة الا بوجود سلطة أمميـة ممركزة بقـوة ، تحظى بالثقة الكاملة لكل المشاركين بهـا ، وتستطيـع أن تحـرك القوى التي هي تحت تصرفها بنفس السرعة والدقـة اللتين تستطيعهما السلطة العالمية للرأسمالية ، لحسابها ومصالح البورجوازيـة .

ويبدو واضحا هكذا ان المسائل التي تثير قلق الحزب الاشتراكي اليوم ، والتي ستحل في مؤتمر ليفورنو ، ليست مسائل داخلية حزبية بحتة ، وليست نزاعات شخصية بين أفراد . ففي ليفورنو سيناقش مصـير الشعـب العامـل الايطالي ، وفي ليفورنو ستبدأ فترة جديدة من تاريخ الامة الايطاليـة .

القوة والهيبة (*)

التقرير الذي تتقدم به القيادة الحالية للحزب الاشتراكي الايطالي الى مؤتمر ليفورنو عن نشاطها ونشاط الحزب خلال الاشهر الخمس عشرة الاخيرة ، يتفق ، في الواقع ، وفي تقريبيته البيروقراطية الجافة ، مع ما كانت عليه حياة الحزب خلال هذه الاشهر ، ويبدو وكأن هذا كان أمرا مقصودا لانهاء فترة قد لا تذكر في المستقبل ، لانه نضج فيها لدى الطليعة الثورية للبروليتاريا الايطالية الوعي اللازم لتحطيم الوحدة الشكلية البيروقراطية للحزب الاشتراكي والوصول الى الوحدة الجوهرية للعمل والفكر في الحزب الشيوعي ، ولانهاء هذه الفترة دونما تغيير في الاسلوب .

واذا كان الدليل مازال ينقصنا ، فان هذا التقرير يعطينا البرهان الكافي على هذه الضرورة ، ويقنعنا مرة اخرى بمغادرة ما أصبح عبئا ثقيلا وفراغا لا فائدة منه ، دون ندم .

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ .

واذا كان ما زال هنـــالك ، ساعة الانفصـــال وبدء الطريق الجديدة ، من يتباكى على ذكرى وحدة ما عادت موجودة ، ويشيد الى جانب الوحدة بهيبة الماضي « المجيد » ، فـــان هذا التقرير قد وضع من أجله . لم يسبق أن ظهرت بهـــذا الوضوح ، كما في هـــذا التقرير ، امكانيـــة مرور حركـــة جماهيرية عبر أجهزة حزب يفترض فيه خدمة هذه الجمـــاهير واعطائها شكلا عضويا منظما طبيعيا وجعلها في نفس الوقت أكثر قوة ودفعا ، فلا تنجح هـــذه الحركة الجماهيرية الا في فقدان أصالتها وعفويتها وحماستها ، وفي أن يصيبها الانهاك نتيجة للممارسات البيروقراطية والعلاقات المرتبية الهرميـــة والنقاشات الفارغة التي لا تصل الى نتائج . في الواقع ، ان قراءة الصفحات الباردة لهذا التقرير ، حيث أدرجت الهيجانات الشعبية والعمالية واحدة بعد الاخرى ، وحيث يقال الى جانب أحدها أن القيادة لم تستحسن تطويرها لان اللحظة لم تكن ناضجة ، والى جانب الاخرى ان هنالك اعتراض من القيادة لانها اضطرت الى تحمـــل المسؤولية دون ان تكون صاحبة المبادرة ولكنها رأتها تتشكل بشكل عفوي في وسط الجماهير المدفوعة الى العمل نتيجة لايمانها بالكلمات التي قيلت لهـــا ... قراءة هذه الصفحات تجعل المرء يتساءل عما اذا لـــم يكن الحزب ، ولم تكن الثقة العفويـــة وشبه العميـــاء التي وضعتها فيه الجماهير ، هما العقبة في وجه نمو وتطور فكر وعمل هذه الجماهير بشكل عضوي وقادر على تحقيق أشياء جوهرية وجدية . ومع ذلك ، فقـــد شكلت هيبـــة الحزب وسمعته الحسنة ، وخاصة في السنوات الاخيرة بعـــد فترة الحرب ، عنصرا أساسيا في نفسية الجمـــاهير الايطاليـــة ، وربمـــا مـــا زالت تشكـــل نقطة ميتـــة حتى الان يجب على الشيوعيين تجاوزها بجهد بطيء من التنوير ، بجهد موجـــه الى تثقيف الجماهير بروح نقد ودراسة أكثر يقظة .

في الواقـــع ، ان الدراسة الدقيقـــة لعمـــل الحزب ودعايته خلال الحرب ،أي لاصل هـــذه الهيبة ، تبرز نفس السمات السلبية التي تستثير اليوم نقد الشيوعيين لتصرفات الحزب خلال السنتين الاخيرتين . فقد كان هنـــالك ، كمـــا اليوم ، برنامجه للمعارضة ، بل لقلب كل شيء رأســـا على عقب ، وكان هذا البرنامج منشورا في الصحف ومدعومـــا منها ، وموزعا بين الجماهير ، ومتبنى بلا تحفظات ولا قيود. وكان العمال ، الذين اجتذبهم البرنامج حدسيا ، وجرتهم اليه واقعيته الواضحة وتجاوبه الكامل مع طموحاتهم ومع طريقتهم العميقة في الحكم على الاحداث والاشخاص ، كانوا ينتظرون واثقين أن الكلمات ستتأكد بالاقتراحـــات والمشاريع وخطط العمل . وكانت المعارضة المطلقة للحرب تقـــدم للجماهير على انها الاستمرار المنطقي للنضـــال الطبقي . وكانت كذلـــك في المبدأ ، وكانت ما يجب ان يكون الواقع أيضـــا ، الواقـــع الصغير لحياة الحزب وللتنظيمات التابعة له ولسياسته ، والواقع اليومي لحياة كل الجماهير . في الحقيقة ، ان نضال الجمـــاهير الذي كان يجري الاعـــلان عـــن استمراره بجرأة وصلابة، كان قد انطفأ عمليا في الوقائع المتعلقة مباشرة،وعن قرب ، بالعمال ، وفي الوقائع التي كان النضال يتخذ فيهـــا بالنسبة للعمال شكلا ملموسا . العمال ، الذين استمر وجود روحية وضرورة النضال فيهم كحاجة لا غنى عنها للحياة ، كانوا مضطرين للعمل موازية ، وخارج نطاق اشراف كوادر الحزب والمنظمات ، وبطريقة مضادة للتكتيك المعترف به من قبلهم بشكل رسمي و شبه رسمي . وهنـــاك بين عمـــال الصناعات المعدنية في تورينو من يذكر أنه ذهب ، كممثل لهيئة جنينية في الورشة ، للتفاوض مع أجهزة حكومية حول السيطرة والاشراف على الصناعة ، وأنه وجد الى جـــانب أعضاء وفد أرباب العمل ، وجالسين على قـــدم المســـاواة

للمناقشة ، رفاق الحزب ، أولئك الذيـــن كانوا ينـــادون في الخارج باستحالة وقف النضال، الطبقي من أجل الحرب ، ويتنازلون في ممارستهم النقابية حتى عن أبسط مباديء العمل الطبيقي . وهكذا فقد انهار البرنامج لدى ملامسته الممارسة، وبرز منذئذ عجز الحزب عن الحفاظ على الانسجام مع مبادئه حتى في أصغر التطورات في العمل اليومي الذي كان يقوم به أو يوصي به ، وبرز ، باختصار ، عجزه عن ايجـــاد وحدة واقعية حول برنامجه ، وعن، الشعور بغير النشوة باشباح الكلمة . منذ ذلك الحين بدأت قوة الحزب تنحدر الى ما آلت اليه خـــلال السنتين الاخيرتين ، أي الى « هيبة » ، مجرد « هيبة » بسيطة ، أي الى نتيجة لحـــالة نفسيـــة للمؤيدين والمعارضين ، وليس لقدرة منظمة على العمـــل . ولكـــن « الهيبة » المكتسبة بمعارضة الحرب سقطت للمرة الاولى في عام ١٩١٧ ، بعد كابورتيو ، عندما بـــدأ حزب الهزيمة عاجزا عن استثمار الهزيمة وتحويلها الى نصر ، وعندمـــا انتحرت معارضته بشكل محزن أمـــام مونتي غرابا بخطاب القاه فيليبو توراتي (١) .

بعد الحرب مرت سنتان من الدعاية ، ومن القرارات التي أصرت على التطرف ، ومن الانتظار ومن الوعود . ثم ، بعد سنتين ، عادت القوة لتظهر أنها مجرد هيبة بسيطة ، مجرد حالة نفسية جمـــاعية بدأت مجموع الظروف الداخلية والخارجية المعقدة تدفعهـــا الى الزوال . ان التقرير الذي تقدمه القيادة الى مؤتمر ليفورنو يمكن اعتباره وثيقة سقوط هذه الهيبة ، عـــبر التحركات التي يعتبرهـــا البيروقراطيون

---

(١) يتهم غرامشي هنا الحزب الاشتراكي الايطالي لانه لم يستثمـــر هزيمة موقعة كابوريتو للاستيلاء على السلطة ، ولانه سحب في تلك المناسبة بالذات معارضته اللفظية للحرب التي كان قد اعلنها حتى تلك اللحظة .

انتصارات لانها أوصلت الى البرلمان ١٥٠ اشتراكيا يفعلون عكس ما كانوا قد وعدوا ، وذلك من خلال الهيجانات التي أطفيء وهجهـــا لان « اللحظة لم تكن ملائمة » ، وتلك التي تحمل الحزب مسؤولية ... دفنها ، لانهـــا لم تكن قد أتت بمبادرة مكتبية ومن الموظف المختص . اننا نقدم ، اذن ، هذا التقرير هدية لاولئك الرفـــاق الذين ما زالوا يحكمون على الاشياء من خلال « هيبة » الوحدة ، ويتباكون بحزن ضد من لم يعد يعرف ما يفعل باسم فارغ ، ونقدمه هدية لمن يعيش في الظل ، وعلى الشيوعيين استبدال الظل بقوة فعلية .

كايوريتو وفيتوريو فينيتو (*)

ان الفترة التي نمر بها يمكن اعتبارها «كايوريتو»(١) التطرف الايطالي . والحزب الشيوعي الذي يولد ، وعليه أن ينظم نفسه ، في الضيق وفي أخطار هذه اللحظة الصعبة بشكل خاص ، عليه ان يكون التعبير عن الارادة الدقيقة والصلبة للطبقة العمالية في أن تكون لها معركتها المماثلة لمعركة « بيافي » ومعركتها المماثلة لمعركة « فيتوريو فينيتو » (٢) . ولذلك ، فان كلمتنا لا يمكنها أن تكون أكثر من واحدة ، وهي : التنظيم . يجب بذل الجهد الاقصى في التنظيم ، والسرعة القصوى في ترتيب وتنظيم ملامح الحزب الجديد .

من المؤكد انه كان من الضروري اليوم وجود حزب

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ .

(١) معركة الهزيمة الايطالية في الحرب العالمية الاولى .

(٢) معركتان انتصرت فيهما ايطاليا في بداية تلك الحرب .

سياسي قوي للطبقة العمالية . ومن المؤكد انه كان من الضروري أن يكون باستطاعتنا اليوم الحديث عن العمل وليس عن التحضير له . ولكن نشأة الحزب الشيوعي مرتبطة ، لذلك ، بالقناعة التي تجذرت عند الطليعة الاكثر ذكاء للبروليتاريا بحتمية الوصول الى هذه الحالة نتيجة لعجز الحزب الاشتراكي عن القيام بمهمته التاريخية ، مما جعل من الضروري تغيير اتجاه الدفة وبدء عمل ايجابي ومحدد للتحضير . فالحالة الحاضرة اذن لا تثير أية دهشة وأي تثبيط للعزيمة لدى الشيوعيين ، ولا تحطم ارادتهم ، ولا تجعلهم يندمون على التكتيك المتبع في مؤتمر ليفورنو (٣).

ان التطرف الذي هو اليوم في تراجع وفي قمة التحلل، استخدم في الحرب الاهلية نفس التكتيك الذي استخدمه الجنراليسيمو كادورنا في الحرب الوطنية ، فأنهك القوات البروليتارية في عدد كبير من النشاطات والتحركات المشوشة وغير المنظمة ، وفك لحمة الجماهير وأضعفها ، وخيب أملها في سهولة وسرعة النصر . ولقد كان للمتطرفين الايطاليين والجنراليسيمو كادورنا أسلاف مشابهون هم الـ « بوكسرز » الصينيون (٤) الذي اعتقدوا بامكانية طرد الانكليز والالمان من قلاعهم اذا تقدم الصينيون بجموع هائلة متحركة ضد الرشاشات ، تسبقهم رايات ورقية رسمت عليها صور وحوش مخيفة ومرعبة .

---

(٣) كما رأينا ، كان غرامشي يتمتع بنظرة واضحة حول الاختيار الحتمي الذي كان يفرض على ايطاليا بين الثورة والرجعية ، وكان يشعر بحدة بضرورة الاسراع في بناء حزب ثوري مستقل للطبقة العمالية . بعد هذا التاريخ تصبح النقطة الاساسية الاكثر اهمية عند غرامشي هي الفارق القائم بين متطلبات الحالة الموضوعية وامكانات الحزب .

(٤) انتفاضة الـ « بوكسرز » بدأت في بكين في الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٠٠ ، وكانت تستهدف طرد الاجانب (والاوربيين بشكل خاص) من الصين .

الفكرة الرئيسية للتطرف لم تكن هي فكرة الاممية الشيوعية ، فهذه تقول بأن كل أعمال وجهود البروليتاريا يجب أن تتجه الى الاستيلاء على السلطة السياسية ، وتأسيس الدولة العمالية ، وأن كل المشاكل الخاصة للطبقة العمالية يمكنها ان تجد حلولا فعالة في حل المشكلة الاولى والاهم ، وهي مشكلة الاستيلاء على السلطة وانتقال القوة المسلحة الى أيديها . الفكرة الرئيسية للتطرف أعطاها الاصلاحيون ، وهي : الحكم دون تحمل المسؤولية المباشرة للحكومة ، والبقاء بشكل قوة فعالة في ظل الحكومة البورجوازية ، واجبار الحكومة البورجوازية ، بالارهاب (وحوش الـ « بوكسرز » الصينيين) وبقوة المنظمات والمجموعة البرلمانية ، على ان تقوم هي بتحقيق **ذلك القدر من الاشتراكية الذي يمكن تحقيقه في ايطاليا حسب الشروط الاقتصادية للبلاد وامكانية الكتلة** . هذه المكيافيلية السيئة الخليطة كانت هي البرنامج الفعلي للتطرف الايطالي، وهي التي أوصلت الى الوضع الحاضر ، وهي التي أوصلت الى كابوريتو الطبقة العمالية . وكان يكفي التنظيم السريع لالاف قليلة من الفاشيين لاسقاط القلعة المشيدة باللفظية الثورية في مؤتمر بولونيا . ولقد تجدد في ايطاليا القرن العشرين ، بعد التجارب القاسية للحرب ، وبعد ثورات روسيا والمجر وبافييرا والمانيا ، الواقع الذي لم يكن أكثر من مقبول في القرن ... السابع عشر ، عندما نجح ٤٥ جنديا من الخيالة المجر في السيطرة مدة ستة أشهر على كل الفياندر فقط لان السكان لم ينجحوا في التسلح واقامة منظمة للدفاع والهجوم تقف في وجه تنظيم مؤلف من ٤٥ رجلا .

في هذه الحالة من التفكك والفوضى يولد الحزب الشيوعي . وعلى أعضاء هذا الحزب أن يبرهنوا عن كونهم قادرين فعلا على السيطرة على الاحداث ، وعن كونهم

قادرين فعلا على معرفة ملء كل ساعة وكل دقيقة بالعمل الذي تتطلبه تلك الساعة وتلك الدقيقة ، وعن كونهم قادرين فعلا على ربط حلقات السلسلة التاريخية التي يجب أن تنتهي بانتصار البروليتاريا .

اننا في قمة كابوريتو الثورية اللفظية ، والحلقة الاولى التي علينا أن نصنعها هي الحزب الشيوعي . واذا ما كرسنا ارادتنا بقوة لهذا العمل التنظيمي الصبور سوف نستطيع صناعة الحلقات الاخرى وربط بعضها بالبعض الاخر. وتصل الطبقة العمالية الى معركتها المماثلة لمعركة « بيافي » وتلك المماثلة لمعركة « فيتوريو فينيتو » .

الوظيفية (*)

انتهى المؤتمر الكونفدرالي في ليفورنو . ولم تصدر عن هذا المؤتمر أية كلمة جديدة ، ولم يصدر عنه أي توجه. لقد انتظرت الجماهير الايطالية عبثا ان تجد من يوجهها ، وانتظرت عبثا كلمة تنير طريقها أو تنجح في تهدئة تشنجها واعطاء شكل ما لمشاعرها . ولم يطرح المؤتمر ولم يحل حتى واحدة من المشاكل الحيوية بالنسبة للبروليتاريا في المرحلة التاريخية الحالية ، لا مشكلة الهجرة ، ولا مشكلة البطالة، ولا مشكلة العلاقات بين العمال والفلاحين ، ولا مشكلة المؤسسات التي يمكنها ان تضم تطور النضال الطبقي بشكل أفضل . وكان الاهتمام الوحيد لاكثرية اعضاء المؤتمر ينصب على انقاذ وضمان المنصب والسلطة السياسية للقادة النقابيين الحاليين ، وانقاذ وضمان المنصب والسلطة (سلطة عاجزة) للحزب الاشتراكي .

ان نضالنا ضد الوظيفية Funzionarismo النقابية ما

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ٤ اذار (مارس) ١٩٢١ .

كان يحتاج الى تبرير افضل من هذا : في العديد من أقاليم ايطاليا كانت مجموعات الشغيلة قد نزلت الى الميدان للدفاع عن حقوقها الاولية في الحياة ، وفي حرية الحركة في الشوارع ، وفي حرية الاجتماع وحرية امتلاك أمكنة خاصة للاجتماع . وسرعان ما أصبح ميدان النضال في وضع مأساوي يسيطر عليه لهيب الحرائق وقصف المدفعية ونيران الرشاشات ، وعشرات العشرات من القتلى . ولم تتأثر اكثرية أعضاء المؤتمر بهذه الاحداث، فمأساة المجموعات الشعبية التي كانت تدافع عن نفسها دفاع اليائس ضد أعداء قساة حقودين لم تكن كافية لجعل هذه الاكثرية جدية ، ولزرع الاحساس لديها بمسؤولياتها التاريخية ، وهي الاكثرية المؤلفة من رجال ذوي قلوب متحجرة وادمغة ناشفة . هؤلاء الرجال ما عادوا يعيشون من أجل نضال الطبقات ، وما عادوا يشعرون بنفس الاحاسيس ، ونفس الرغبات ، ونفس الامال الجماهيرية . وصارت بينهم وبين الجماهير هوة لا يمكن ردمها ، وصارت العلاقة الوحيدة بينهم وبين الجماهير هي علاقة سجل الحسابات وملف الاعضاء . هؤلاء الرجال ما عادوا يرون في البورجوازية عدوا ، بل يرون الشيوعيين هم الاعداء . انهم يخافون المنافسة ، فقد تحولوا من زعماء الى صيارفة رجال في نظام احتكاري ، وأقل اشارة الى المنافسة تجعلهم يجنون من الرعب واليأس .

لقد كان المؤتمر الكونفدرالي في ليفورنو بالنسبة لنا تجربة رائعة . نحن ، مجموعة « النظام الجديد » ، كنا قد رأينا دوما في المشكلة النقابية ، وفي مشكلة تنظيم الجماهير الكبرى ، وفي مشكلة اختيار قادة هذه الجماهير ، المشكلة المركزية للحركة الثورية الحديثة . ولكننا لم نشعر ابدا في السابق كما نشعر اليوم بخطورة واتساع المشكلة ، ولم نشعر ابدا في السابق بقدر ما نشعر اليوم بالقنفرينا التي

تلتهم الحركة . لقد قرئت أثناء المؤتمر مقالات صحيفة « النظام الجديد » ، ونوقشت ، وعلق عليها ، وملأت هذه المقالات جو القاعة بالصخب والشغب ، مع ان هذه المقالات لم تورد أكثر من جزء عشري من حكمنا المتشائم حول عدم ملاءمة الاشخاص والمؤسسات . ومع هذا ، فقد ازداد حكمنا سوءا بعد المؤتمر . نعم ، لانه بينما كان العمال يقاتلون في الشوارع والساحات ، وبينما كانت ألسنة لهيب الحريق تملأ قلوب الناس بالرعب وتدفعهم يائسين الى حد الحقد الفردي والى أقصى حدود الانتقام المخيف ، لم نكن نحن قد فهمنا بعد ان ممثلي هذه الجماهير الشعبية سوف يضيعون في الانحطاطات المستنقعية للنزاعات الشخصية ، وبينما كانت الجموع تقطع شرايينها في الشوارع والساحات، وكانت المدافع والرشاشات تدخل ميدان المعركة ، كان هؤلاء القادة ، هؤلاء الزعماء ، هؤلاء المسؤولين في المستقبل عن المجتمع ، يجنون ويرغون ويزبدون من أجل مقال ، أو تعليق ، أو عنوان في الصحيفة . ويريد هؤلاء اقناعنا بأننا أخطأنا ، وبأننا ارتكبنا جريمة بانفصالنا عنهم . ويريدون اقناعنا بأننا نحن الاخف ، ونحن غير المسؤولين ، ونحن « المؤمنين بالمعجزات » ، وبأننا عاجزين عن فهم وتقدير صعوبات الاوضاع التاريخية والحركات الثورية . ويريدون منا الاقتناع بأن الحكمة انما تتجسد فيهم هم ، وكذلك الكفاءة والتقنية وحسن التقدير والقدرة السياسية والادارية التي راكمتها البروليتاريا في خلال نضالاتها وتجاربها الطبقية .

دعونا من هذا كله ... فالمؤتمر الكونفدرالي يعيد الاعتبار الى البرلمان ، ويعيد الاعتبار الى الجمعيات العمومية الاسوأ للطبقات ، وهي التي ظهر في الماضي فسادها وتعفنها .

لقد ازداد تشاؤمنا ، ولكن ارادتنا لم تضعف ،

فالموظفون لا يمثلون الجماهير . والدول ذات الحكم المطلق كانت دول موظفين ، ودولا بيروقراطية ، وهذه الدول لم تكن تمثل الشعب فاستقبلت بدول برلمانية . وفي التطور التاريخي للبروليتاريا ، تمثل الكونفدرالية ما مثلته دولة الحكم المطلق في التطور التاريخي للطبقات البورجوازية ، وسوف يستبدل بمنظمة المجالس ، التي هي برلمانات العمال، والتي من مهماتها القضاء على الترسبات البيروقراطية وتغيير العلاقات التنظيمية القديمة . لقد ازداد تشاؤمنا ، ولكن البزة التي نرتدي ما زالت حية وقائمة ، وهي تمثل تشاؤم الذكاء ، وتفاؤل الارادة (١) .

---

(١) بهذه المعادلة يمكن اختصار الموقف الوجداني لغرامشي في الواقع، فهو ينفر من الخيالات المزيفة والسطحية والاحكام المسبقة في التحليل النقدي للاوضاع ، ويلتزم بحماسة ودون تحفظ بالنضال العملي من أجل تغيير هذه القيم المذكورة سابقا .

اشتراكيون وشيوعيون (*)

كل حدث يقع في هذه الايـــام يدل بشكل أفضـــل على سمات كل من الحزبين الخارجين من مؤتمر ليفورنو : الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي . واذا بدا للكثيرين ، من خلال التأكيدات العامة ، عدم جدوى البحث عـــن الفـــارق بين الاشتراكيين والشيوعيين ، فان الوقـــائع التي تجـــري في التاريخ ، باعتبارها تحتاج الى تفسير نقدي وتفرض اتخاذ موقف حاد ودقيق تجاهها ، قد أوضحت ، على العكس عن ذلك ، المنهجية المتعارضة بين الحزبين . وكان يجب أن يقع انشقاق ليفورنو على الاقل قبل عام من تاريخ وقوعه الفعلي، اذ كان ذلك سيمنح الشيوعيين الوقت الكافي لاعطاء الطبقة العمالية المنظمة الملائمة للمرحلة الثورية التي تعيشها . وعلى العموم ، فان أحداث عديدة وقعت منذ ليفورنو وحتى اليوم. وهذه الاحداث ، الخطيرة بلا شك ، كشفت بصورة واضحة

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفـــة « النظام الجديـــد » بتاريـــخ ١٢ اذار (مارس) ١٩٢١ .

الفارق الجوهري بين الشيوعيين والاشتراكيين .

الفارق هو في المنهجية وفي تفسير الوقائع التاريخية . الاشتراكيون لم يفهموا أبدا روحية المرحلة التي نمر بها في النضال الطبقي . لم يفهموا أن النضال الطبقي يمكنه ، بفعل أي محرض ، وفي أي وقت ، أن ينقلب الى حرب مكشوفة لا تنتهي الا باستيلاء البروليتاريا على السلطة . ونتيجة لعدم فهم روحية هذه المرحلة التاريخية يبرز عند الاشتراكيين غياب المنهجية التي تخدم في توجيه الطبقة العمالية والفلاحية الى الاشكال الجديدة للحكم . الاشتراكيون يعتقدون أن حدود الصراع بين الطبقتين ما زالت على ما كانت عليه قبل الحرب . الحرب والثورة الروسية ليست لهما أية قيمة، بالنسبة للاشتراكيين . ولهذا فانهم يستمرون في ثقتهم بمنهجيتهم القديمة وبالنظر الى الاشتراكية على أنها هدف بعيد .

ولكن هنالك داخل الحزب الاشتراكي الشيوعيون أيضا ، وهنالك كذلك كما يقال ، أولئك الذين يؤكدون أننا نعيش في مرحلة ثورية . الشيوعيون — الذين كانوا متطرفين ثوريين فيما قبل — يريدون أن يكونوا أكثرية الحزب الاشتراكي . ولكن الامر لا يتعلق بالكلمات . في الواقع، لقد اثبتوا أنهم مساوون للاخرين ، والواقع أنه ليست لديهم منهجية خاصة بهم مختلفة عن الاشتراكيين غير الشيوعيين. لقد استمر الحزب الاشتراكي في الاتجاه نحو اليمين أكثر فأكثر ، بالرغم من كل البيانات الثورية العمومية التي يدفع النفاق بعضا منهم الى اعلانها أمام الجماهير . الشيوعيون الذين بقوا داخل الحزب الاشتراكي تبعوا تيار اليمين . ولا يمكن ، بالتالي ، اعتبار وجود أي تمايز داخل الحزب الاشتراكي . ان المنهجيات المتصارعة اليوم تتلخص في اثنتين فقط ، هما منهجية الشيوعيين الملتزمين بالاممية الثالثة ،

ومنهجية الاشتراكيين .

والان ، لقد أكد الاشتراكيون ، الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة التاريخ ، عجزهم عن تنظيم الطبقة العمالية كطبقة سائدة . ان وقائع مقاطعات ايميليا ويوليي وتوسكانا، وتلك الاحدث في كازاليزي ، تقول ن الاشتراكيين فقدوا كل رؤية لمشاكل وحاجات العمال . انهم يثبتون أن لديهم رعب من الحرب الاهلية ، كما لو كان من الممكن الوصول الى الاشتراكية بلا حرب أهلية(١) . انهم ما زالوا يعتقدون أن باستطاعتهم الوقوف في وجه الطبقة البورجوازية ، التي تنظم وتفجر العنف في كل مكان ، بالاحتجاجات البرلمانية وقرارات استنكار البربرية الفاشية . وليس في هذا الميدان فقط يقف الاشتراكيون بعيدا عن الطبقة العمالية ، ففي حياة المصنع والنقابات يقع الشيء نفسه .

أيضا المشكلة الخطيرة للازمة الصناعية التي تهدد بايقاف العمل في كافة المصانع ينظر اليها الاشتراكيون بعقلية ما قبل الحرب ، أي بالعقلية القائلة بامكانية الاستمرار في سياسة التسويات والحلول الوسطية . وسواء في مواجهة مشكلة السلطة أم في مواجهة مشكلة الانتاج لا يملك الاشتراكيون لا المنهجية ولا الفكرة الواضحة . ولهذا ، حيث مازال للاشتراكيين سيطرة على الجماهير تجد هذه الجماهير نفسها ضائعة وتتأخر في العثور على طريق الثورة . ولكنها مسؤوليات لا بد من دفع ثمنها يوما ما . هناك مشاكل لا يمكن تأجيلها باستمرار . والتاريخ ينتهي دوما الى حكم عادل على التفاهات والاخطار المرتكبة . ان الجماهير التي تطاردها

---

(١) من الجدير بالذكر ان غرامشي قال هذا الكلام في عام ١٩٢١ ، اي عندما لم تكن قد نضجت الشروط التي تطلق اليوم زمام الحديث عن « الطريق الديموقراطية الى الاشتراكية » .

الاحداث سوف تنتبه يوما ما الى من خانها ، وسوف تتجه الى الحزب التاريخي ، الحزب الشيوعي . هذا ، اذا لـم يكن الوقت قد أصبح متأخرا جدا منذ الان ...(٢)

---

(٢) نلاحظ هنا العودة الى التساؤلات الدراماتيكية التي ورد الحديث عنها في هامش سابق ، فالصراع ضد الزمن ، وتنظيم حزب شيوعي قوي وفعال قبل أن تسدد البورجوازية ضربة قاضية الى الطبقة العمالية ، هذه هي النقاط الاهم في هذه التساؤلات التي تعبر عن مخاوف فرامشي في مدى امكانية الشيوعيين الرد في الوقت المناسب وبالشكل المناسب ..

الاشراف العمالي في مجلس العمل (*)

بدأ منذ أيام ، في المجلس الاعلى للعمل ، النقاش حول مشروع قانون الاشراف العمالي ، ومازال هـذا النقـاش مستمرا ، ويعتبر نقاشا تمهيديـا لذلك الذي سيجري في البرلمان لاحقا ، والذي سيختزل المناقشات الجارية في البلاد، في غرف التجارة ، ومنظمات أرباب العمـل ، والمؤسسات الاخرى للطبقة البورجوازية . منذ بضعة أيام يستمر بهدوء العرض الانيق المتناوب بين ممثلي المنظمات الصناعية وممثلي المنظمات العمالية . وتتبع الخطابات خطابات أخرى ، ونقارع المواضيـع . او ليفيتـي يتكلـم ، وداراغونـا يـرد . بالديسي يعرض ودي بينيديتي يعترض. ويقول رينا وجولييتي فيجيبهما ياراش . وهكذا يتحقق حلم زعماء الاتحاد العـام للعمل بالجلوس بمرتبة مماثلة وسلطات شبـه تشريعية الى جانب جانب زعماء الحكومة الصناعية لايطاليا ، وقريبا مـا

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفـة « النظام الجديـد » بتاريـخ ١٣ اذار (مارس) ١٩٢١ .

سيتحقق على ما يبدو الحلم الاخر ، وهو الحصول أخيرا على سلطة شبه تشريعية (١) . في الواقع ، يقال ان مشروع الاشراف ، كما سيخرج معالجا من الاكاديمية المجتمعة في هذه الايام ، سيعرض على المجلس البرلماني بصورة شكلية فقط. وهكذا ، يتم الانتقال في السلطة بشكل نادر من وجهة النظر الدستورية ، باعتباره ليس كثير الشيوع في الجوهر ، خاصة وأن أكاديمية تشابه أكاديمية أخرى ، حتى وان سيطرت على الواحدة نسبة أكبر من الادب والتهذيب ، وسيطر على الاخرى تبادل متواتر للكلمات والشتائم .

وواضح ، كان وما زال ، هنالك من يعتقد بأن نظام مثل هذه المناقشات ، أمام هيئات تسمى — في استعارة تجميلية — هيئات اختصاصية ، يجب تعميمه واحلاله لا محل النقاشات في المجالات السياسية فحسب ، بل أيضا في القضاء على الخلافات والصراعات التي جرت ، حتى الان ، في الميدان المكشوف لمعارك العمل . انه برلمان العمل ، الناشط . ولكننا نشكر الصدفة التي جعلت التجربة الاولى تأتي في شروط تنير بطريقة فظة هذه النظرية الخيالية الغريبة .

اذن ، بينما تجد الطبقة العمالية نفسها اليوم في ميدان مكشوف ، في أحد أقسى نضالاتها التي يذكرها التاريخ ، وبينما يسقط مقاتلوها في الساحات ، وترتفع في السماء السنة اللهب ، وتتوهج الومضات المشؤومة لاحراق غرف العمل ومكاتب تحرير الصحف البروليتارية .. اذن ، بينما يرى الشغيلة أرباب العمل ينكرون عليهم حقهم البدائي بالعمل ، وبينما تزداد بين يوم واخر الاعداد الهائلة للعاطلين عن العمل والجائعين ، وبينما ما عاد لاحد أمل بالمستقبل ..

---

(١) يهدف هذا المقال كشف القناع عن الاصلاحيين بقسوة وفاعلية كانتا نادرتين في الادبيات الاشتراكية الايطالية حتى ذلك الحين .

اذن ، وفي لحظات مماثلة ، يقولون ان القوة الطبيعية ، العقلانية ، الصحيحة لمشاركة البروليتاريين في الحياة السياسية للطبقة وللبلاد هي هذه : ارسال موظفين من التنظيمات الى مبارزة حبية أنيقة مع موظفي تنظيمات العدو ؟؟ عاشت الاختصاصية التي تسمح لهؤلاء الموظفين ، لهؤلاء الاختصاصيين بحياة الطبقة أن يشعروا ، بهذه الطريقة ، بالحاجات والضرورات الحياتية للطبقة التي يمثلون ، وعاشت الاختصاصية التي تسمح لهم بتبادل خطابات وخطابات مضادة ، وبطرح المواضيع والتفكير بها والرد عليها ، بينما يستمر القتل في الشوارع والارياف ، وبينما تعاني البيوت من آلام الجوع . من يريد ، بعد هذا كله ، أن ينكر ، أمام هذا الاستعراض الرائع ، أن برلمان العمل هو الصيغة الجدية ، المطابقة للواقع ، والملائمة تماما للضرورات التاريخية للنضال الطبقي في اللحظة الحالية ؟؟

وهكذا ، وبعد المناقشة لمدة أسبوع ، وبعد أن يتكلم النواب والشيوخ في البرلمان لاسبوع اخر أو اثنين ، سوف يمر قانون الاشراف ، بطريقة أو بأخرى . أيعني هذا أن الكلمة أصبحت حقيقة ، وأن الشغيلة أصبحوا يشرفون على الصناعة ويسيطرون عليها ؟ اذا كان هذا صحيحا ، فليس لنا الا ان نهنيء أنفسنا . والواقع ان اللحظة الحاضرة في الميدان الصناعي هي اللحظة الملائمة تماما للاشراف والسيطرة ، لانها لحظة تخريب الانتاج الذي يمارسه أرباب العمل . وفي حالة مماثلة في روسيا وصل العمال ، من خلال مطالبتهم بالاشراف والسيطرة ، الى الانتفاضة المسلحة والى الانتصار الثوري . ولكن الاشراف لم يكن يعني بالنسبة للعمال الروس ولزعمائهم الا زيادة سلطة أجهزة الحكومة الصناعية التي اقامها العمال في المصانع ، وتوحيد النضال في الميدان الاقتصادي ، اذ يشكل كلا واحدا مع النضال

السياسي الثوري المستمر تحت شعار « كل السلطة لمجالس العمال والفلاحين » .

في ايطاليا ، يفهم موظفو التنظيمات المهنية النضال من أجل الاشراف على الصناعة على انه اكاديمية من الكلمات والابحاث الجارية في مقر مجلس العمل على اساس التفاوضية والمساواة(٢) ، انهم ينوون الاشراف عن طريق اقامة بضع لجان يناقش فيها موظفو الجهتين المختلفتين الامور المطروحة، ويبقى العمال بعيدين عن الاهتمام بكل ذلك . وتبقى بعيدة عن الاهتمام بذلك ايضا تلك الانوية التي بدأت ، هي نفسها قبل غيرها ، باعطاء حياة مزدهرة لاجهزة المصنع ، والتي فعلت ذلك بدون موافقة الموظفين ، وكانت بذلك **غير منضبطة!** ويبقى بعيدا عن الاهتمام أيضا أرباب العمل الذين يتابعون التخريب بمهارة واستمرارية بينما يرسلون موظفيهم للنقاش والتفاوض . أن أرباب العمل يعرفون لعبتهم ويلعبونها بالشكل المضمون . أما العمال الذين يشعرون بضرورة النضال الطبقي فيشعرون ، هم أيضا ، بأن ليس من مبارزة حبية ولا من مشروع مدروس يدافع ، أحدهما أو الاخر ، عنهم ، بل انه ما من شيء يفيدهم ،سوى النضال المستمر الذي يقوده العمال في المصانع للحصول على الحرية والسلطة لاجهزتهم للحكم . ولكن ، كلما اتسع نطاق هذا الصراع أكثر حدة ، لا هدنة فيه ولا هوادة ، وازداد بروز غرور الاكاديميات « التفاوضية من خلال المساواة » Paritatica والزهو الخيالي الغريب لطموحات ومحاولات التعاون مع

---

(٢) In Sede Parite تعبير حقوقي لم تتوفر لنا ترجمة دقيقة له باللغة العربية ، ويعني : « لجنة ذات سلطة تشريعية محددة في القضاء على الخلافات او اجراء المصالحة ذات الطبيعة الاقتصادية او النقابية بشكل أخص ، ويتمثل فيها الطرفان المتنازعان على قدم المساواة » .

العدو . ان الطبقة العمالية ، الجيش الكبير من عمال المصانع والفلاحين ، راحت تكتسب نفسية يزداد تباينها ، يوما بعد يوم ، عن نفسية الزعماء الذين ما زال مثل هذا الغرور والزهو يداعب مشاعرهم . في اللحظة التي يقترب فيها الصراع من لحظته الحاسمة يجب على هذا الجيش ان يفكر في أن يخلق ، من بين صفوفه ، قادة المؤسسات التي تنظم هذه الصفوف استعدادا للمعركة الكبرى .

اعراض (*)

تتجه الاوضاع الداخلية الايطالية بسرعة نحو بداية مرحلة جديدة . لندرس بانتباه العناصر التي تساهم في المظهر الجديد للصراعات بين الاحزاب :

١ ــ الفاشية ، التي تريد ان « تأخذ لنفسها فقط » شرف فرض توضيح في منهجية الصراع بين الاحزاب واعادة النظر في برامج الاحزاب ، تشعر بالاهانة نتيجة لاعتبارها قوة متفسخة ومنحلة للطبقة البورجوازية ، وبؤرة للمجرمين .. الخ .

يجب ألا يتوجه الفاشيون الينا بامتعاضهم من مثل هذه التفسيرات لجوهر الفاشية. لقد كتبنا وقلنا أن الفاشيةهي الضمانة المسلحة للدولة الطبقية ، والفاشية ــ بامعان النظر في عمق البنية التاريخية للطبقات ــ لا يمكنها الا أن تشعر بنفسها مرتبطة بقوة بالدفاع عن مصالح الطبقة البورجوازية.

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ٢ نيسان (ابريل) ١٩٢١ .

بالنسبة لنا ، ليست الفاشية ظاهرة من ظواهر ما بعد الحرب الا من حيث أن الحرب سارعت في عملية تطور الرأسمالية ، وبالتالي في تطوير الازمة الاقتصادية للبروليتاريا . كنا قد قلنا في مرات سابقة أنه لو لم تقع الحرب لكنا عرفنا ، في زمن أبعد بالتأكيد ، الظاهرة نفسها من رد الفعل البورجوازي ، ربما تحت اسم اخر ، ولكن بشكل يرمي الى نفس أهداف الفاشية الحالية ، وبنفس مناهجها في الصراع(١) .

ولهذا فاننا ننظر الى الفاشية كقوة رجعية للطبقة وللدولة ضد الطبقة الاخرى .

ولذلك ، فانه من الطبيعي ان ترص البورجوازية صفوفها أمام تضخم وزيادة قوة الكتائب البروليتارية . وربما لم تشعر البورجوازية بوجود الطبقة الا اليوم . حتى البارحة ، كانت الديمقراطية قد حاولت خلط حدود النزاع . والديمقراطية اليوم ، أمام ازدياد حدة الخوف الطبقي ، وبعد أن فشلت في بديهياتها الاخلاقية والسياسية ، تسعى الى ان تحل محلها الاشتراكية الديمقراطية التي يمكنها ان تحمل في ثناياها الفاشية أيضا ، بل انها ستكون غدا بحاجة الى الفاشية لكي تدافع عن الدولة .

وهذا هو التطور الجديد الذي يبدو أن الاوضاع الايطالية تسير باتجاهه . أي باتجاه استقطاب اشتراكي ديمقراطي للاحزاب ، وربما باتجاه تجربة اشتراكية ديمقراطية . نقول « ربما » لان هذه التجربة ان تتم بالضرورة . ولكن هناك دلائل كثيرة تدعونا الى توقع هذا

---

(١) كما يلاحظ ، ان تحليل ظاهرة الفاشية ، كظاهرة رجعية لدى الراسمالية الايطالية ، وكظاهرة نابعة من قلب البورجوازية الايطالية منذ تشكل الدولة الوحدوية (١٨٦٠) ، كان واضحا ومحددا منذ ما قبل سيطرة الفاشية على ايطاليا .

النضج ، الذي ما عاد بطيئا ، للبرامج السياسية المحتملة باتجاه المصالحة الظاهرية للاحزاب(٢) .

منذ أيام ، كتبت صحيفة صادرة في نابولي تقول : « من الطبيعي ان لا يصيبنا الهلع الذي لا حد له اذا أراد الاشتراكيون ، أو استطاعوا ، التحول الى وزراء ملكيين أو جمهوريين لكي يتابعوا حتى النهاية تجربة اجتماعية أو تدربا اداريا واسعا ومعقدا . انه احتمال يجب الا يؤدي الى ارتعاش شرايين و رسغ أحد لان مصيره سيكون ، بالتأكيد ، وبين الاشياء الاخرى ، الفشل النهائي والارخص . ومن ناحية أخرى ، في الدول الاخرى التي انتصرت فيها الاشتراكية الديمقراطية ، سواء نتيجة للهزيمة العسكرية أم للثورة ، وحضرت نفسها لتصبح الطبقة السائدة ، استولى على الحكم بعض الاشتراكيين ، وبقيت الاشتراكية ، مرة اخرى ، خارج الباب » .

واذا كانت أجهزة الفاشية تبدي معارضتها اليوم لمثل هذا الاحتمال ، كما صرح بذلك موسوليني مؤخرا ، فان السبب في ذلك يعود الى ان الاشتراكيين ما زال عليهم ان يوضحوا مواقفهم بشكل أفضل ، وعليهم التخلي عن كل ماضيهم « الثوري » ، وعليهم النزول الى المستوى العمومي

---

(٢) قد يبدو تحليل غرامشي خاطئا في هذه النقطة ، وهو ـ بالتاكيد ـ اختزالي . وعلى العموم ، فانه ليس من شك في ان الحل الاشتراكي الديموقراطي ، أي مشاركة الحزب الاشتراكي في ائتلاف حكومي بورجوازي ، هو المخرج الوحيد البديل عن الفاشية امام البورجوازية . ولكن الحزب الاشتراكي الذي لم يجرؤ على القيام بالثورة يومها ، لم يجد لديه الجراة والانسجام مع نفسه للمشاركة في العملية الاصلاحية . ونلاحظ كذلك ان الحزب الاشتراكي قد تصرف بموجب ما توقعه غرامشي في مرحلة متأخرة ، أي بعد الحرب العالمية الثانية ، رغم اختلاف جزئي في الشروط التاريخية .

و « الحضاري » للمنافسة السياسية .

٢ ــ ولكن الاشتراكيين بدأوا في التراجع عن دعايتهم اللفظية لهذه السنوات الاخيرة . ان الحادث المحزن وقع في مسرح ديانا في ميلانو(٣) أثار تصريحات تخرج عن اطار الحاجة الى تمييز منهجية عن أخرى لرسم موقف جديد لحزب بكامله . لماذا سخرت الصحافة البورجوازية في الامس من تهديدات موديلياني ؟ بالتأكيد لم تكن هذه السخرية كلها محبة خالصة للملك . فموديلياني ما زال منتسبا الى الحزب الاشتراكي ، وله ماض عريق في التصلب الثوري، ولكن عليه التخلي عن ذلك كله اذا لم يكن قادرا على القيام بمهمته التاريخية المحددة . ان حرب العناصر البورجوازية الاكثر شراسة ضد الحزب الاشتراكي الايطالي هي الحرب ضد كل الاشتراكية الايطالية المقنعة بالشيوعية . واذا لم يعلن الحزب كله ، صراحة ، رغبة في محاربة العقائد الشيوعية والمنهج الثوري سوف يجد نفسه يحارب ضد البورجوازية وضد البروليتاريا الشيوعية .

وهناك أعراض كثيرة تجعلنا نتوقع ان يعود الحزب الاشتراكي الايطالي خطوات الى الوراء ، وتكون البورجوازية ــ راعية الفاشية ــ قد حققت نصرا هاما بالتأكيد .

٣ ــ فقط عندما تكون الاشتراكية الايطالية قد اعلنت بشكل قاطع عن اشمئزازها من المنهجية الشيوعية ، وعندما تكون قد قطعت اخيرا حبل المراوغة الذي تهتز فوقه بشكل سيء ، عندئذ فقط يتضح الصراع بين الطبقات بشكل نهائي . نحن الشيوعيون ، لدينا الكثير نربحه من مثل هذا التوضيح ، لاننا نأخذ على عاتقنا، عندئذ ، مهمة كوننا الحزب السياسي

---

(٣) في هذا المسرح فجّر ثلاثة من الفوضويين قنبلة تسببت في عدد من القتلى والجرحى .

الوحيد للطبقة العاملة . صحيح أننا ، في هذه الحالة ، سنفقد الكثير من المنتسبين والكثير جدا من المتعاطفين معنا ، في البداية . وسنرى تناقص عدد الكوادر الحزبية، وقد نضطر أيضا للعمل بدون حرية نسبية . اننا نتوقع كل هذا ، ونعرفه. قلنا لرفاقنا ، ونقول الان للجماهير : ((**من شاء أن يكون معنا عليه الزام نفسه بكافة التضحيات**)) . واذا كان أحدنا، في صفوفنا ، مترددا وشكوكا ، فان من واجبه الابتعاد عنا . ستكون هنالك مغادرات مؤلمة ، وستكون هنالك استئصالات ضرورية . ولكنه ضروري لنا أن نمايز خط تصرفنا .

٤ — وبالوصول الى هدف تحييد الاشتراكية ، تسارع البورجوازية الايطالية الى تحطيم الفاشية والقضاء عليها(٤). الفاشيون ، الذين لا يعرفون لماذا هم فاشيون ، وليست لهم القدرة العقلية على دراسة الوقائع الاجتماعية، لانهم يفتقرون الى ثقافة نقدية ، يرددون أن مطالبهم ستبقى حية الى الابد. انهم لا يعرفون أن الاحزاب وبعض تجمعات لا تولد اصطناعيا. الليبرالية التي أعطت ايطاليا وحدتها القومية ، وكانت حزبا ثوريا ، تنازلت عن السلطة للديمقراطية ، الايديولوجية السياسية للتسويات والمحافظة . والديمقراطية ، نتيجة للتجاوزات التاريخية الحتمية ، تبلغ كمالها بالاشتراكية الديمقراطية . ولكن الفاشية تتجه الى تحطيم الاشتراكية المتصلبة لتحييدها وتحويلها الى اشتراكية حكم ، لا تخشاها الفاشية ولا البورجوازية كثيرا ، كما أثبتنا في الفقرات السابقة . الخطر يبقى في الشيوعية . ولمحاربة الشيوعية تشحذ الاشتراكية الديمقراطية أسلحتها . على الفاشية ألا

---

(٤) لو نجحت عملية فصل الحزب الاشتراكي نهائيا عن جذوره الثورية، وجعله يشكل جزءا أساسيا من كتلة حكومية بورجوازية ، لاختفت الحركة الفاشية بسرعة .

تخدع نفسها بالظن بأنها تمسك لوحدها مقاليد السلطة . الفاشية ليست حزبا . انها قوة لاواعية لها منطقها عند من يستخدمها .

اننا نقترب بخطوات واسعة من اللحظة التي ستتم فيها المواجهة بين الديمقراطية الاجتماعية والشيوعية في ميدان مكشوف .

وتتزايد المسؤوليات ، بالنسبة لنا ، الى حدود عملاقة. اذ يجب أن نترجم التاريخ ونعيشه . والشيوعية لم تولد في موسكو(٥) .

---

(٥) هذا التاكيد يبرز الوعي الواضح ، منذ ١٩٢١ ، بضرورة ملاءمة تكتيك واستراتيجية الثورة مع الشروط الملموسة ، التاريخية والاجتماعية ، لكل من البلدان على حدة .

الشيوعيون والانتخابات (*)

الحزب الشيوعي هو الحزب السياسي المحدد تاريخيا بالطبقة العمالية الثورية . الطبقة العمالية ولدت وتنظمت على أرضية الديمقراطية البورجوازية ، في كوادر النظام الدستوري والبرلماني . والطبقة العمالية ، المرتبطة بمقدرات الصناعة الكبرى الحديثة ، بمصانعها الضخمة ، ومدنها الهائلة الاتساع والمزدحمة بحشود متباينة ومشوشة، توصلت الى وعي وحدتها ومصيرها كطبقة ببطء كبير ومن خلال التجارب القاسية وخيبات الامل المرة .

لهذا ، كانت الطبقة العمالية ، في المراحل المختلفة لتطورها ونموها ، تدعم الاحزاب السياسية الاكثر تباينا . بدأت بدعمها أولا للاحزاب الليبرالية ، أي أنها انضمت الى البورجوازية المدينية وناضلت في سبيل القضاء النهائي على بقايا الاقطاع الاقتصادي في الريف . وهكذا نجحت

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٢١ .

البورجوازية الصناعية في تحطيم احتكار الاغذية ، وفي ادخال بعض الليبرالية الاقتصادية الى الريف لخفض تكاليف المعيشة ، ولكن ظهر ان كل هذه الاعمال كانت كارثية بالنسبة للطبقة العمالية التي شهدت خفض متوسط أجورها . وفي مرحلة لاحقة دعمت الطبقة العمالية الاحزاب الديمقراطية البورجوازية الصغيرة ، وناضلت في سبيل توسيع كوادر الدولة البورجوازية ، ولادخال مؤسسات جديدة ، وتنشيط وتنمية المؤسسات القائمة ، وخدعت مرة ثانية ، فكل أولئك المسؤولين الجدد ، الذين تكونوا خلال هذا النضال ، انتقلوا بسلاحهم وعتادهم الى جبهة البورجوازية ، فجددوا الطبقة السائدة القديمة ، وأعطوا وزراء جددا وموظفين كبارا جددا للدولة البرلمانية البيروقراطية . ولم تكن الدولة حتى قد تغيرت ، بل استمرت تعيش في حدود التشريع الالبرتي ، دون ان ينتزع الشعب لنفسه أية حرية حقيقية ، فاستمر التاج في كونه السلطة الوحيدة الحقيقية في المجتمع الايطالي ، لانه تابع ، من خلال الحكومة ، اخضاع القضاء والبرلمان والقوات المسلحة لارادته المطلقة .

بولادة الحزب الشيوعي ، تكسر الطبقة العمالية كافة التقاليد وتؤكد نضوجها السياسي . فالطبقة العمالية ما عادت تريد التعاون مع الطبقات الاخرى لتنمية وتطوير او لتغيير الدولة البرلمانية البيروقراطية ، انها تريد العمل ايجابيا في سبيل تطورها الطبقي ونموها المستقل ، وهي تطرح ترشيح نفسها كطبقة قائدة وتؤكد انها تستطيع ممارسة هذه الوظيفة التاريخية فقط في محيط دستوري مختلف عن ذلك القائم حاليا ، في نظام دولة جديدة، وليس بعد في كوادر الدولة البرلمانية البيروقراطية .

بولادة الحزب الشيوعي تتقدم الطبقة العمالية الى المعركة السياسية كمبادرة ، وكقائدة ، ليس بعد كجمهور

مناورة تقوده وتوجهه هيئة أركان طبقة اجتماعية اخرى . الطبقة العمالية تريد ان تحكم البلاد ، وتؤكد كونها الطبقة الوحيدة القادرة ، بوسائلها وبمؤسساتها الوطنية والدولية، على حل المشاكل التي تطرحها الحالة التاريخية العامة . ما هي القوى الحقيقية للطبقة العمالية ؟ كم هو عدد البروليتاريين الذين اكتسبوا ، في ايطاليا ، وعيا صحيحا للمهمة التاريخية الواقعة على عاتق طبقتهم ؟ ما هي القاعدة التي يتمتع بها الحزب الشيوعي في المجتمع الايطالي ؟ في حالة الفوضى والتشويش القائمة ، هل توجد الخطوط العريضة للصيغة التاريخية الجديدة ؟ في هذا الاستمرار للتفكك واعادة التركيب ، للتحلل والعودة للتماسك في القوى الاجتماعية ، وفي طبقات وشرائح الشعب الايطالي، هل تشكلت بذرة أولية ، مرصوصة وصلبة ، مخلصة على الدوام لافكار وبرامج الاممية الشيوعية والثورة العالمية ، يمكن ان تقوم حولها المنظمة الجديدة والنهائية لحكم الطبقة العمالية ؟

هذه هي الاسئلة التي ستجد جوابها في الانتخابات . وللحصول على اجابة ايجابية ، جدية ، قابلة للتدقيق والتوثيق تاريخيا ، يتقدم الحزب الشيوعي للانتخابات . ان الحزب الشيوعي ، ضمن اطار حشود القوى الاجتماعية الذي سيتحدد من خلال البرامج الانتخابية ، يريد تمييز حشده ، ويريد عد قوته العاملة . وهذه مرحلة ضرورية في العملية التاريخية التي يجب ان تقود الى ديكتاتورية البروليتاريا ، والى تأسيس الدولة العمالية . ان الانتخابات، بالنسبة للشيوعيين ، هي شكل من أشكال التنظيم السياسي الخاصة بالمجتمع الحديث (١) . الحزب هو الشكل

---

(١) واضح الجهد المبذول هنا لاستخدام موضوعات اقناع انتخابي تستميل اليها أيضا مجموعات المستنكفين عن التصويت ، داخل الطبقة العاملة .

التنظيمي الارقى ، النقابة ومجلس المصنع هما الشكل التنظيمي المتوسط الذي ينتمي اليه البروليتاريون الاكثر وعيا للنضال اليومي ضد رأس المال ، والذي يتم الانتماء اليه على أسس ذات سمة نقابية . في الانتخابات تصوت الجماهير للهدف السياسي الاسمى ، ولشكل الدولة ، ولتثبيت الطبقة العمالية كطبقة قائدة . ان الحزب الشيوعي هو ، في الجوهر ، حزب البروليتاريا الثورية ، أي العمال العاملين في الصناعة المدينية ، ولكنه لا يستطيع الوصول الى هدفه بدون دعم وتأييد الشرائح الاخرى من الفلاحين الفقراء والبروليتاريا الفكرية . والمسألة المبدئية هي : ما هي القوة التوسعية اليوم للبروليتاريا الثورية ؟ كم هي العناصر من الطبقات العاملة الاخرى التي تجد في البروليتاريا الطبقة القائدة للمستقبل ، والتي هي على استعداد لدعمها في جهدها التنظمي ، رغم الاوضاع المشوشة ، ورغم خيبات الامل المزمنة ، ورغم الارهاب الذي تمارسه الرجعية ؟ ان الحزب الشيوعي لا يبني آمالا خيالية على النتائج ، حتى أنه أعلن منذ الان رغبته في التخلي عن الطرق الديماغوجية الاستعراضية التي كان الحزب الاشتراكي بواسطتها « يلم رجالا » في الماضي . ولكن ، كلما غرق الشعب الايطالي في الفوضى والارتباك ، وكلما عملت ، واستمرت في العمل ، القوى المميعة للحشد السابق للقوى الثورية ، ظهرت بوضوح الحاجة الى تشكيل حشد جديد من المناضلين المخلصين والمؤمنين بالثورة العالمية والشيوعية . ان القيمة الديناميكية والتوسعية للحزب الشيوعي تبدو أكبر واكبر كلما كانت الاوضاع عكرة وكلما كانت ضعيفة وسائل الحزب الجديد الذي يتقدم الى ساحة السياسة العامة الايطالية .

بيان الاشتراكيين (*)

البيان الذي طلع به الحزب الاشتراكي على الجماهير الشعبية ليقنعها بتجديد ثقتها بزعمائه في الانتخابات المقبلة يدل فقط على ان اضافة الكتاب الى المطرقة والمنجل في شعار لا يمثل تقدما في الثقافة التاريخية وفي القدرة السياسية لدى من هم على شاكلة باتشي وباراتونو ، والذين سلموا الحزب المجيد الى الاصلاحيين . البيان يستشهد بالتشريع الالبرتي وبثورة عام ١٨٤٨ ، أي انه يستشهد بالورقة التي تسم ، هي بالذات ، الناخبين الشعبيين بالتدني المطلق وبالخضوع للتاج . البيان يتوسل التشريع الالبرتي ، ويستعيد الصيحة التي كان قد أطلقها سونينو(١) قبل حوالي عشرين سنة ، عندما كان يريد خلق الوضع السياسي الذي أوجده اليوم جوليتي . في هذه المناسبات

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٢١ .

(١) سونينو كان وزيرا للمالية في مطلع القرن ، وعرف عنه تمسكه بالملكية الرجعية ، وجولتي وزير اشتراكي .

تبرز الطبيعة الحقيقية للعلاقات القائمة اليوم بين القوى الموجودة في المجتمع الايطالي . جوليتي كان يمثل قبل عشرين سنة الليبرالية ، أما اليوم فقد جاء يحتل الموقع الذي كان يحتله آنئذ سونينو والملكيون المحافظون . قبل عشرين سنة ، عندما كانت الطاقات الصناعية في توسع ، وكان يبدو ان البرلمان قد يصبح مجمعا للنوابغ وللقدرات الجديدة المؤهلة للحلول محل المجموعات البلاطية والعسكرية والبيروقراطية القديمة ، عندئذ ، كان جوليتي من فرسان الدعوة الى النظام البرلماني وضد التشريع (٢) . واليوم ، جوليتي هو الذي يريد « العودة الى التشريع » ، واليوم ، جوليتي هو الذي يتبنى برنامج سونينو وبرنامج « الفكرة القومية » ، ويقول : التاج هو كل شيء والبرلمان لا شيء ، التاج هو الحكومة، هو القضاء ، هو سلطة اصدار المراسيم، هو قيادة القوات المسلحة ، هو الادارة البيروقراطية ، أما البرلمان ، الجمعية المنتخبة ، فليس اكثر من «قوة معنوية»، أي أنه ليس سوى سوق للكلمات .

ليست لدى الحزب الاشتراكي جرأة تبني الدفاع عن النظام البرلماني عموما ، ولذلك ، وبالجهل التاريخي الذي يميزه ، فأنه يتمسك بالتشريع ويصل حتى الى التأكيد بأن ثورة ١٨٤٨ السياسية ضمنت للشغيلة حرمة المسكن ، والحرية الشخصية ، وحرية الجمعيات والصحافة . كله كذب . ليس في ايطاليا ، ولم يكن فيها ابدا أية ضمانة من هذا النوع لاحد ، وبشكل أخص للشغيلة . ان ثورة عام ١٨٤٨ السياسية لم تكن ثورة شعبية ، بل لم تكن ثورة على الاطلاق ، وكل ما هنالك ان دولة الحكم المطلق . وسعت كوادرها محافظة كليا على كافة امتيازات التاج دون المساس

---

(٢) التشريع يعني بها هنا ايضا التشريع الالبرني ، وهو الدستور الذي كان يجعل الملك حاكما مطلقا للبلاد .

بها . في ايطاليا لم تكن هنالك حتى اشارة من بعيد للنضال من أجل الـ Habcas Corpus (٣) ، ومن اجل الحريات الفردية . ونظرا لان القوات المسلحة تتبع الحكومة ولا تتبع القضاء (غير الموجود في ايطاليا كسلطة مستقلة بل فقط كجزء من النظام البيروقراطي) فانه يمكن اعتقال اي مواطن وايداعه السجن بشكل اختياري، وبأمر من السلطةالحاكمة، كما يمكن اقتحام أي مسكن وتفتيشه ونهبه دون عقوبة للفاعل . ان ضمانات البورجوازية لا تأتي من القانون ، غير الموجود أساسا ، ولا من مكتسبات ثورة لم تقع ، بل من كونها هي السائدة ، ومن كون الوزراء والقضاة والجنرالات والمحافظون والمحققون ومفوضو الشرطة وكل موظفي المراتب العليا في الدولة جاءوا من قلب هذه البورجوازية ، وهم الممثلون الحقيقيون والشرعيون للسلطة (٤) .

في السنوات العشرة السابقة للحرب قدمت دولة السلطة المطلقة بعض التنازلات أمام المظاهر الليبرالية والراي العام ، اي أمام البورجوازية الصغيرة . اما اليوم فقد تغير الرأي العام حقا ، وتغيرت كل المواقع الطبقية ، وهنالك جهد عام يبذل لابراز مرتبية جديدة ونخبة جديدة. لا شك في أن الفاشية عبارة عن تنظيم عسكري أكثر منها حزبا سياسيا . ولكن ، لماذا لا « يدين الرأي العام» عملياتها العسكرية بشدة ؟ لقد ظهر تقليد جديد ورأي عامجديد ، فالجماهير الكبيرة للبورجوازية الصغيرة وقفت باصرار الى

---

(٣) Habcas Corpus هو ما يشكل في القانون الانكليزي اكبر ضمان للحرية الشخصية ، وهو الذي يفرض ابلاغ القضاء المختص فورا بتاريخ وسبب اعتقال اي مواطن باي تهمة كانت .

(٤) لا بد هنا من ملاحظة دقة ووضوح التحليل التاريخي الذي يتم من خلاله تقييم حدود « النهضة » الايطالية ، وامكانية الوظائف المختلفة التي يمكن للاشخاص انفسهم القيام بها في لحظات متباينة تاريخيا (جوليتي الليبرالي والتقدمي في مطلع القرن ، ثم الرجعي بعد الحرب) .

جانب الدولة البورجوازية ، الى جانب الطبقة المالكة . هنالك اتجاه نحو التقسيم الواضح للطبقات التي لا تقتصر على اثنتين كما أعتقد دوما الحزب الاشتراكي ، وما زال ، بمعنى أن هنالك في جانب جيش الشغلة الذي لا ينتهي ، وفي الجانب الاخر الاقلية المالكة . ان هنالك طبقات متعددة تتداخل ببعضها بعضا وتتشابك سياسيا . ان الحزب الاشتراكي لم يمتلك أبدا ، في الماضي ، ضميرا « بروليتاريا » ، ولم يفهم ابدا الوظيفة التاريخية للطبقة العمالية المدينية وفكرة ديكتاتورية البروليتاريا (٥) . بالنسبة للحزب الاشتراكي ، لم تكن الطبقة العمالية ، ببساطة ، أكثر من طبقة للمناورة الانتخابية ، لم تكن الطبقة الثورية المتميزة . ولم يعد الحزب يهتم بالبروليتاريا ، لم يعد يدرس المشاكل الصناعية ، وما عاد يشعر بايديولوجية البروليتاريا ، بل كان هم الحزب الاول هو البورجوازية الصغيرة ، والحاق البروليتاريا بالبورجوازية الصغيرة . هذا هو السبب في انشقاق ليفورنو وفي تأسيس الحزب الشيوعي ، لان البروليتاريا ما عادت تريد ان تكون تابعة ، ولان الطبقة العمالية تشعر بأنها لا يمكنها بعد البقاء طبقة سلبية في خدمة مناورات البورجوازية الصغيرة ، بل هي تريد بدء تنظيمها المستقل كطبقة قائدة . وهذا ايضا أحد أسباب وجود الفاشية .

لماذا يجب ان تخضع « الطبقة العاملة » لقيادة بورجوازي صغير اشتراكي وليس لقيادة بورجوازي صغير فاشي ؟ لقد انتزع الاشتراكيون قيادة الجماهير بالوسائل البيروقراطية في الميدان النقابي وبواسطة الاقناع البطيء في

---

(٥) الواقع ان الحزب الاشتراكي لم يفهم ابدا مهمة القيادة والسيطرة التي هي من وظائف الطبقة العمالية (التي هي الطبقة الوحيدة التي تقف مباشرة في مواجهة الطبقة الرأسمالية) والتي عليها ان تمارسها تجاه بقية الطبقات العاملة .

الميدان الانتخابي . ويحاول الفاشيون الحلول محلهم في هذه الوظيفة بالعنف المسلح والارهاب ، وينجحون في ذلك باعتراف صحيفة « أفانتي » نفسها ، لان كثيرا من التجمعات الفلاحية تنتقل الى الفاشية . اذن ، فالازمة الحالية هي ، جوهرا ، أزمة طبقة البورجوازية الصغيرة التي تجد في الريف تربة خصبة جدا لتجديد مكاسبها ولاستعادة مركزها البرلماني . ويشارك الحزب الاشتراكي في هذه الازمة ، باعتباره أصبح بعد الانشقاق حزبا بورجوازيا صغيرا بشكل أساسي واكثر مما كانه في السابق ، ولانه يريد ان يضع نفسه فوق البروليتاريا ، ويريد اخضاع البروليتاريا « للكفاءة » ، ويهتم بالرأي العام ، أي بمواقف الشرائح الاجتماعية المتوسطة ، أكثر من اهتمامه بأي شيء اخر . لهذا أدخل الحزب الاشتراكي في شعاره الانتخابي رسم الكتاب لكي يحيط به المطرقة والمنجل. الثقافة البروليتارية، بالنسبة للشيوعيين ، يجب أن تنبع من التوسع الروحي للبروليتاري المتحرر من مختلف انواع الاضطهاد ومن سلاسل الرأسمالية . بالنسبة للاشتراكية ، هنالك ميدان ثقافة « بروليتارية » قائم فعلا ، في رأيهم ، وهو مؤلف من البورجوازية الصغيرة العاملة . وبالنسبة اليهم ، هنالك فعلا حضارة خاصة بعالم العمل ، سماتها ايديولوجية ومشاعر وطموحات الموظف البورجوازي الصغير واحلامه الجيلاتينية. هذا ما يعنيه الكتاب الذي وضع رسمه في شعار الحزب الاشتراكي محيطا بالمطرقة والمنجل ، انه يعني ان جهل وغرور موظف نقابة أو حزب ، ويعني أن جهل وغرور برلماني يجهل حتى دستور الدولة الايطالية ، ينبغي أن يسيطران على [الاندفاع الثوري، وعلى طموح الحرية لدى بروليتاري المصنع ، الذي يحتوي على امكانية حضارة جديدة اصيلة ، والذي يمثل نظاما جديدا في العلاقات الاجتماعية وفي تطور التاريخ الانساني .

خطة امستردام (*)

العمل الذي قام به اتحاد الصناعات المعدنية ، بطلبه من الحكومة وحصوله على امتياز خمسة منشآت صناعية كبرى لمجمع التعاونيات التابع له ، هو كما قلنا ، جزء من خطة عامة للعمل تشمل كل النقابات التابعة لاممية امستردام (١) والملتزمة بتوجيهاتها . ان اممية امستردام النقابية تقف موقف الحذر منذ مدة من الزمن في مواجهة الهجوم الذي يشنه ضدها مؤسسو الاممية النقابية الحمراء الملتزمين بالتوجيهات الشيوعية . وعقدت مؤتمرات ، وتقرر

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ٨ حزيران (يونيو) ١٩٢١ .

(١) اممية امستردام هو الاسم الذي كان يطلق على الاتحاد النقابي الدولي الذي أسس عام ١٩٠١ وكان مقره العام في امستردام . وقد سار هذا الاتحاد في سياسة اصلاحية بحتة، ووقف ضد الاممية النقابية الحمراء (بروبنترن) ، مما جعله يحمل ايضا اسم « الاممية الصفراء » .

اتباع تكتيك عام يجب أن تسير عليه كافة المنظمات التي تنوي الوقوف في وجه التقدم الشيوعي . أن امستردام تعرف أن موسكو تحارب علنا ، وحتى النهاية ، لسحب العمال وتنظيماتهم من دائرة تأثيرها القاتلة ، وهذا ما يجعلها تدافع عن نفسها بكل الوسائل .

ان عملية الدفاع ضد الشيوعيين جرى اقرارها وتنسيقها في مؤتمرات دولية عقدها القادة البيروقراطيون للنقابات . في البلدان التي للشيوعيين فيها قوة أكبر ، والتي هي أقرب الى الوصول بشكل منظم وواسع الى السيطرة على التنظيمات ، كان تأثير الاتفاقات واضحا . فقد قررت أمستردام أنه بدلا عن التخلي عن مراكز القيادة للشيوعيين يجب شق النقابات ، ويجب التخلي عن وحدة البروليتاريا بدلا من التخلي عن المناصب التي يحتلها حاليا اصلاحيو التنظيمات . وبموجب هذه المبادىء يعمل القادة النقابيون في ألمانيا وفرنسا . وقد انشقت حديثا نقابة عمال السكك الحديدية الفرنسية لان الاقلية رفضت الخضوع لاصوات وارادة الاكثرية الشيوعية .

ان تكتيك الانشقاق الذي يستخدم ضد الشيوعيين ما زال ، مع ذلك ، لا يفيد في التوصل الى ما هو ، في اللحظة الحالية ، الهدف الاساسي للاممية الصفراء ، وهو استعادة كسب ثقة الجماهير . لقد هجرت الجماهير صفر أمستردام واتجهت نحو موسكو لاقتناعها بالبرنامج الشيوعي ، برنامج الاستيلاء على السلطة ، وهو البرنامج الوحيد الملائم للحاجات الحالية الطبقة العاملة . ومن هنا تأتي حاجة أمستردام الى استنباط برنامج اخر ، قادر على ابعاد الجماهير عن البرنامج الثوري ، وقادر على تنويمها ، بأمل الوصول السريع الى فوائد فورية ، وقادر في الوقت نفسه على ابعاد الازمة الثورية عن مجالي السلطة والانتاج . في المؤتمرات الدولية للقادة الاصلاحيين للتنظيمات وجد

انه ، بهدف الوصول الفوري الى هذه المرامي ، ليس هنالك ما هو أفضل من وضع النقابات والجماهير المنتمية اليها على أرضية التعاون الفعلي ، بحيث يتم تحويل أجهزة المقاومة الى أجهزة ضبط للانتاج في نفس النظام البورجوازي ، على أن يتم ذلك ببطء ، ولكن على نطاق واسع ومنظم .

ليس هنالك من برنامج مضاد للثورة اكثر حكمة من هذا البرنامج . أليس الثوريون هم القائلون بأن المقاومة البحتة ليست هي كل مهمات الطبقة ، وانه من الضروري الخروج من حدودها واعطاء صفة بناءة لعمل كل جهاز عمالي ؟ ألم تثبت الثورة الروسية ، عمليا ، القيمة الكبرى للنقابات كوسيلة للبناء الاقتصادي وليس للدفاع فقط ؟ المضادون للثورة ، بتظاهرهم بالكلام الى العمال بنفس اللغة. وبتظاهرهم بتقديم نفس الامثلة التي قدمها الشيوعيون ، يتحدثون هم أيضا عن تحويل أجهزة المقاومة وعن مشاركة لها اوسع في العملية الانتاجية ، ولكن الجوهر مختلف تماما ، اذ أن المقدمات مختلفة بشكل أساسي : فأحد الجهتين يقول بانه يجب التفكير ، قبل كل شيء ، بالاستيلاء على السلطة والعمل من أجل ذلك ، ثم فيما بعد ، عندما تكون السلطة قد انتقلت الى أيدي الشغيلة ، فقط عندئذ يجب على العمال والفلاحين ان يأخذوا في اعتبارهم مشكلة الانتاج كمشكلة أساسية في حياتهم ومركزية لعمل أجهزتهم . أما الجهة الاخرى فتريد ، على العكس من ذلك، أن تتجه الطاقات العمالية منذ الان الى اعادة بناء العالم الاقتصادي الذي دمرته ارادة الرأسماليين ، والذي لا يمكن بناءه من جديد الا بمساعدة الشغيلة. يقول الثوريون للعمال أن اعادة البناء يجب ان تتم لمصلحتهم ، وأنها لا يمكن ان تتم اذا لم يستولوا على السلطة ليفرضوا على الجميع ، بالديكتاتورية ، انضباطا في العمل . ويقول الصفر انه يستحسن بدء العمل منذ الان ، ومساعدة البورجوازيين

لرؤية ما اذا كان يمكن تدعيم بناءهم الذي راح يتساقط من كافة جوانبه ، وما اذا كان يمكن ترميم هذا السجن الذي يكاد يخرج منه الناس ، بجهد كبير من الارادة التي يجب أن تحررهم .

ماذا ستفعل النقابات لمساعدة البورجوازيين في عملية الانقاذ هذه ؟ انها ستحاول تحويل نفسها ، منذ الان ، الى مؤسسات للانتاج ، مقتربة من التعاونيات ، ومحاولة اعطاء التعاونيات الانتاجية نموا اوسع باستمرار ، مع بذل كل الجهد لتوسيع نشاطاتها ، ولتكليفها بفروع إنتاجية جديدة، وادخال شرائح جديدة من الشغيلة في كوادرها . كل هذا بهدف ما عرضنا سابقا ، وبنتائج سنبحثها بشكل أفضل فيما بعد : بهدف ونتيجة تشغيل هؤلاء التعاونيين الجدد في المحافظة على الاوضاع الحالية ، وتغيير نفسيتهم من بروليتاريين ومقاتلين للثورة ، الى نفسية عمال مزيفين، عمال يظنون أنهم قد تحرروا من العبودية الرأسمالية ، لانهم بدلا من خدمة رب العمل صاروا في خدمة الدولة والمصرف ، في خدمة الدولة التي تعطيهم المصنع والعمل ، والمصرف الذي يمولهم .

في ايطاليا ، يمكن قراءة الموافقة على هذا البرنامج بين سطور الخطابات التي ألقاها لودوفيكو دارانغونا في ليفورنو وميلانو ، عندما تحدث عن تقارب التعاونيات من المقاومة ، وعن ضرورة اقامة روابط أوثق بين أجهزة هذين الفرعين من النشاط الطبقي . ان برنامج أمستردام ظهر شبه مموه ، ومغطى بحجاب من النفاق الذي هو من سمات الزعماء النقابيين لبلادنا ، ولكنه بدا بصورة اكثر انكشافا في مشاريع المركزة المعروضة من قبل سكرتارية الاتحاد العام للعمل والمدعومة من قبلها . ولكن الاتحاد يلتزم فعلا ببرنامج أمستردام ، بكامله . والمثال يثبت ذلك .

لقد بدأ الامر في اتحاد عمال البناء ، الذي يقوم منذ

مدة من الزمن بتحويل المجموعات المشتركة فيه الى مكاتب تشغيل مهمتها البحث عن عمل لاعضائها في هذه المؤسسة الحكومية أو تلك .

والان جاء دور اتحاد عمال الصناعة المعدنية للسير في نفس الطريق ، وبينما يقوم سكرتير الاتحاد كولومبينو ، رئيس مجمع التعاونيات ، والذي سعد مؤخرا بمقابلة جوليتي ، بالاعلان عن حصوله على امتياز خمس دورصناعية تملكها الدولة ، تعلق الصحف البورجوازية على الموضوع بسخرية قائلة : « ها هو التعاون الحقيقي يتم عمليا بينما يناقش الاخرون التصلب » .

ولكن المظاهر أنقذت ... فقد صوت الاتحاد في ليفورنو على الانتساب أفلاطونيا الى أممية موسكو . ولكنه بقي في الوقت نفسه مع امستردام ، وهو يجعل العمال ، الذين هم ثوريون وشيوعيون بطموحاتهم ، يطبقون برنامج الصفر . وغدا ، عندما تكون روحية القتال قد تحطمت عند الجماهير من خلال هذه التجارب الاساسية ، يرفع الزعماء القناع عن وجوههم ويصيحون بانه لا يمكن القيام بالثورة لان العمال لا يريدونها وليسوا جاهزين لها . ولهذا يجب كشف هؤلاء الزعماء منذ الان ، وتحذير العمال منهم .

الجماهير والزعماء (*)

ان النضال الذي يخوضه الحزب الشيوعي لتحقيق قيام جبهة نقابية واحدة ضد الهجمة الرأسمالية أثر في قيام جبهة واحدة لكافة القادة الموظفين النقابيين ضد «ديكتاتورية» الحزب الشيوعي وضد اللجنة التنفيذية في موسكو . ووجد آرماندو بورغي نفسه متفقا مع لودوفيكو داراغونا ، ووجد اريكو مالاتستا نفسه متفقا مع جاشينتو مينوتي سيراتي ، ووجد كل من سبرانا وكاستروتشي نفسيهما مع غوارنييري وكولومبينو . والمسألة لا تثير الدهشة عندنا نحن الشيوعيين. والرفاق العمال الذين تابعوا في صحيفة « النظام الجديد » الاسبوعية قراءة الحملة المنظمة من أجل حركة مجالس المصانع يتذكرون بلا شك كيف توقعنا أن تبرز في ايطاليا أيضا هذه الظاهرة التي كانت قد ظهرت في بلدان أخرى ، ويمكن

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ٣٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٢١ .

اعتبارها ـــ بالتالي ـــ عالمية شاملة ، كاحدى المظاهر الاكثر تمييزا للمرحلة التاريخية الحالية .

ان التنظيم النقابي ، سواء كان ذو طبيعة اصلاحية أم فوضوية أم نقابوية ، أفسح مجالا لطلوع مرتبية من صغار وكبار الزعماء الذين من أهم صفاتهم : الغرور ، وهوس ممارسة سلطة غير محدودة، وعدم الكفاءة ، والديماغوجية التي بلا حدود . وكان الفوضويون يمثلون الجزء الاكثر سخافة ومنافاة للعقل في كل هذه الكوميديا ، اذ أنهم يبدون في غاية السلطوية يصيحون أكثر وأكثر ضد السلطوية ، وكانوا يزيدون من التضحية بالارادة الحقيقية للجماهير الواسعة وبالازدهار العفوي لاتجاهاتها التحررية كلما صاحوا مطالبين بالحرية والاستقلالية وعفوية المبادرة . وفي ايطاليا بشكل أخص ، انحطت الحركة النقابية الى الحضيض وأصبحت أشبه بضجيج الاسواق الشعبية ، كل يريد اقامة «حركته» ، و « تنظيمه » ، و « اتحاده الصحيح » للشغيلة. فصار بورغي يمثل شركة مسجلة ، ودي آمبريس يمثل شركة أخرى مسجلة ، وداراغونا يمثل شركة ثالثة مسجلة ، وسبرانا وكاستروتشي يمثلان شركة رابعة مسجلة، والكابتين جولييتي يمثل شركة خامسة مسجلة . كل هؤلاء الناس ، كما هو طبيعي ، كانوا يعارضون تدخل الاحزاب السياسية في الحركة النقابية ، وكانوا يؤكدون ان النقابة تكفي بحد ذاتها ، وأن النقابة هي النواة « الحقيقية » لمجتمع المستقبل، وانه توجد في النقابة العناصر البنوية للنظام الاقتصادي والسياسي البروليتاري الجديد .

في صحيفة « النظام الجديد » الاسبوعية كنا قد بحثنا، بلا تحيز ، وبمنهجية متحررة ، أي دون أن نتقيد بمفاهيم ايديولوجية مسبقة (وبالتالي جرى البحث بمنهجية ماركسية، لان ماركس هو أعظم تحرري ظهر في تاريخ الجنس

البشري) ، في الطبيعة الحقيقية والبنية الحقيقية للنقابات . وبدانا بالتدييل كيف أنه من المنافي للمنطق ومن الطفولية القول بأن النقابة تحمل في نفسها قوة رمزية تجاوز الرأسمالية . ان النقابة ، **موضوعيا** ، ليست أكثر من شركة تجارية، من نوع رأسمالي بحت، تعمل في مصلحة البروليتاريا لتحقيق الثمن الاقصى لبضاعة العمل ولتحقيق احتكار هذه البضاعة في الميدان القومي والدولي . ولا تختلف النقابة عن المركنتيلية الرأسمالية الا **ذاتيا** من حيث انها تضم ، ولايمكن ان تضم الا ، الشغيلة ، وبالتالي فهي تتجه الى خلق الوعي لدى الشغيلة بأنه من المستحيل ، في محيط النقابة ، الوصول الى الاستقلالية الصناعية للمنتجين ، وأنه من الضروري — للوصول الى ذلك — الاستيلاء على الدولة (أي تجريد البورجوازية من سلطة الدولة) واستخدام سلطة الدولة لتنظيم كل آلة الانتاج والمبادلة . ثم أبرزنا كيف أن النقابة لا يمكنها ان تكون ، ولا ان تصبح ، خلية مجتمع المستقبل للمنتجين . فالنقابة — في الواقع — تعبر عن نفسها بشكلين اثنين : في الجمعية العمومية للاعضاء ، وفي البيروقراطية القائدة . ان الجمعية العمومية للاعضاء لا تدعى ابدا لمناقشة مشاكل الانتاج والمبادلة واتخاذ قرارات بشأنها أو بشأن المشاكل التقنية الصناعية . انها تدعى عادة لمناقشة وتقرير مسائل العلاقات بين أرباب العمل واليد العاملة ، أي المشاكل التي هي من صميم المجتمع الرأسمالي والتي ستتغير جذريا بفعل الثورة البروليتارية . ان اختيار الموظفين النقابيين المسؤولين لا يتم ، حتى هذا ، على أرضية التقنية الصناعية ، فنقابة عمال الصناعات المعدنية لا تسأل المرشح للوظيفة النقابية اذا كان على معرفة جيدة بالصناعات المعدنية ، أو اذا كان قادرا على ادارة الصناعة المعدنية في مدينة ما ، او أقليم ما ، أو في الوطن كله . انها تسأله ،

ببساطة ، عما اذا كان قادرا على الدفاع عن آراء العمال في خلافهم (مع ارباب العمل) ، وعما اذا كان قادرا على وضع مذكرة كتابية ، وعما اذا كان قادرا على الخطابة في نـدوة جماهيرية . لقد حاول النقابيون الفرنسيون مـن مجموعـة Vie Ouvrière ، قبل الحرب ، خلق الكفـاءات الصناعية بـين الموظفين النقابيين ، فبـدأوا سلسلة مـن الابحـاث والمنشورات حول التنظيم التقني للانتاج (مثل : كيف يصبح جلد الحيوان حذاء لفتاة باريسية ؟ ما هي الرحلة التي يقوم بها هذا الجلد ؟ ما هو تنظيم نقل هذه البضاعـة ؟ كم هي نفقات النقل ؟ كيف تتم صناعة « الذوق » الدولي فيما يخص الادوات الجلدية ؟... الخ) ، ولكن هذه المحاولة سقطت في الفراغ . ان الحركة النقابية ، بتوسعها ، أوجدت جهازا من الموظفين منقطعا كليا عن الصناعات الافرادية ولا يطيع سوى القوانين التجارية البحتة، الموظف النقابي في الصناعة المعدنية يمكنه الانتقال ، بلا مبالاة ، الى نقابة عمال البناء ، أو عمال صناعة الاحذية ، أو عمال النجارة . انه ليس مضطرا الى معرفة الشروط التقنية الحقيقية للصناعة ، بل فقط التشريع الخاص الذي ينظم العلاقات بين ارباب العمل واليد العاملة .

ويمكن التأكيد ، دونما خوف من ان تكذبنا أية براهين تجريبية ، انه ظهر ان النظرية النقابوية أشبه بقلعة خيالية في الهواء ، أنشأها رجال سياسيون يكرهون السياسة لانها، قبل الحرب ، ما كانت تعني سوى العمل البرلماني والتسويات الاصلاحية .

ان الحركة النقابية ليست سوى **حركة سيـاسية** ، والقادة النقابيون ليسوا الا زعمـاء سياسيين ، وهم يصلون الى مناصبهم التي يشغلون عن طريق التوظيف بدلا من طريق الانتخاب الديمقراطي . ويمثل الزعماء النقابيون ، من نواح كثيرة ، نوعية اجتماعية مشابهة للمصرفي ، مماثلة للمصرفي

الخبير الذي « له نظرة » في الاعمال ، والذي يعرف توقع تحولات البورصة والعقود بدقة معينة ، فيربح السمعة لمؤسسته ويجذب اليها أصحاب حسابات التوفير وأصحاب سندات الخصم . وكذلك أيضا هو الزعيم النقابي الذي يعرف توقع النتائج المحتملة لتناطح القوى الاجتماعية المتصارعة ، ويجتذب الجماهير الى منظمته ، فيصبح « **مصرفي الرجال** ». **من وجهة النظر هذه يكون داراغونا ، باعتباره مدعوما بالحزب الاشتراكي ، ونظرا لانه كان يعلن كونه متطرفا ،** مصرفيا أفضل من آرماندو بورغي ، المشوش الدائم ، الرجل الذي لا شخصية له ولا خط سياسي، تاجر السوق الشعبي أكثر منه المصرفي المعاصر .

ويمكن تلمس كون الاتحاد حركة سياسية بشكل جوهري من حقيقة ان توسعها الاقصى يتلازم مع التوسع الاقصى للحزب الاشتراكي . ولكن رؤساء وزعماء الاتحاد يظنون أن باستطاعتهم اللامبالاة بسياسة الاحزاب ، أي اتباع سياسة شخصية ، لا تزعجها الواجبات الانضباطية ومسؤوليات الاشراف . وهذا هو سبب الانتفاضة الضجيجة لزعماء النقابات ضد « ديكتاتورية » الحزب الشيوعي ، وضد اللجنة التنفيذية الشهيرة في موسكو . ان الجماهير تفهم حدسا كونها عاجزة عن السيطرة على الرؤساء الزعماء ، وكونها عاجزة عن أن تفرض على الزعماء احترام قرارات الجمعيات العمومية والمؤتمرات ، ولهذا فان الجماهير **تريد** اشراف الحزب على الحركة النقابية، ويريدون انتماء الزعماء النقابيين الى حزب جيد التنظيم ، ذو خط محدد ، قادر على الالتزام بانضباطه ، ويحافظ على الالتزامات المتعاقد عليها بحرية . ان « ديكتاتورية » الحزب الشيوعي لا تخيف الجماهير ، لان الجماهير تفهم أن هذه «الديكتاتورية المرعبة» هي الضمانة القصوى لحريتها ، وهي الضمانة القصوى ضد

الخيانات والخداع . ان الجبهة الواحدة التي يشكلها الموظفون النقابيون من كافة المدارس التخريبية ضد الحزب الشيوعي تدل على شيء واحد ، هو ان حزبنا أصبح ، أخيرا ، حزب الجماهير الواسعة ، وأنه يمثل فعلا المصالح الدائمة للطبقة العمالية والفلاحية . ان الجبهة الواحدة لكل الفئات البورجوازية ضد البروليتاريا الثورية ، توازيها الجبهة الواحدة لكافة الموظفين النقابيين ضد الشيوعيين ، ولكي يحقق جوليتي انتصارا على العمال، عقد صلحا مع موسوليني وأعطى الاسلحة للفاشيين . ولكي لا يضيع آرماندو بورغي منصبه كسنوسي(١) أكبر للنقابوية الثورية فانه سيقيم اتفاقا مع داراغونا ، « البونزو » (٢) الاكبر للاصلاحية البرلمانية .

أي درس رائع بالنسبة للطبقة العمالية التي عليها الا تتبع الاشخاص ، بل الاحزاب المنظمة التي تعرف كيف تفرض على الاشخاص الانضباط والجدية واحترام الالتزامات المتعاقد عليها بحرية .

---

(١) نسبة الى العائلة السنوسية التي كانت تحكم ليبيا ، ويقصد بها في اللهجة العامية الايطالية الاشارة الى الزعيم المطلق السلطات (ملاحظة المعرب) .

(٢) Bonzo لقب للراهب البوذي في الصين واليابان (ملاحظة المعرب) .

الحرية للجميع ... اذا كان هذا يحلو لكم (*)

مقدمات عامة

لقد استثار زعماء الفوضوية الايطالية فضولنا في علوم الآثار والفنون الشعبية اكثر مما استثاروا انتباهنا كنقاد وسياسيين . ولقد تساءلنا دوما أمام نشاطات الفوضويين في مجالات الصحافة والنشرات والندوات السياسية : « كيف يمكن لرجال لا شك في حسن نيتهم (ما عدا الاستثناء العام للعشر الساقط دوما) ان يتحدثوا بهذه الكثرة عن الحرية بشكليها العام والخاص ، عندما يفتقدون أي احساس للمعاملة بالمثل ، وعندما تكون روحهم ضيقة ومحدودة وقليلة الحرية الى هذا الحد ؟ » .

لقد استدعى الزعماء الفوضويون دوما الى ذهننا أدباء الاقاليم ، أولئك الكتاب أو القصاصين أو المسرحيين الذين

---

* مقال نشر بلا توقيع في صحيفة « النظام الجديد » بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١ .

لا يصيغ أحدهم قصة أو مسرحية دون ابراز « العبقري » الكبير ، أو « البطل » الكبير فيها . ولكن ، بما انه كي يكتب الانسان عن عبقري أو بطل يجب عليه ان يعرف التحدث والتصرف مثل العبقري أو مثل البطل ، وبما ان العباقرة والابطال نادرين فعلا بين أدباء الاقاليم وحتى بين أدباء المدينة ، يحصل ان نجد القليل جدا من العبقرية والبطولة في هذه الروايات والمسرحيات ، وأن نجد في الوقت نفسه الاقناع الاخرق والسخافة الطفولية ، القادة والزعماء الفوضويون يتحدثون اعتباطا عن الحرية بشكلها العام وعن الحرية بشكلها الخاص ، أما في الواقع فهم يجهلون ما تعنيه الحرية في هذه او تلك الحالة . ان ذهنهم محشو بالجمل الجاهزة الصنع ، وخيالهم السياسي يشبّه كليا خيال قصاصي الدرجة العاشرة ، فهو خيال مرعب ، كئيب ، وكالبيض الفاسد . فاذا استعملوا عقلهم ، أو حاولوا ، ساروا فورا في منهجية الفهم المعروفة لدى اللاهوتيين من مستوى كنيسة القرية . فيصبح الانسان « حرا » فرديا ببنائه لشخصيته، وبتنظيم غرائزه وطموحاته الغبية ضمن اطار للحياة « الطوعية » مع الاعتراف بحدوده، ومع الاعتراف بالضرورات الخارجية التي تحدد نشاطه ، فيصبح « مسؤولا » . أما الظاهرة المميزة للزعماء الفوضويين فهي ، بالذات ، الغياب الكامل للشخصية (دون خلط ذلك بالانسجام الشكلي) وللمسؤولية السياسية (دون خلط ذلك بروح التضحية وانكار الذات) .

١ ــ **اريكو مالاتيستا** : اريكو مالاتيستا (١) هو النموذج الحي « للطفل الصغير » قاريء الروايات البوليسية ذات

---

(١) اريكو مالاتيستا (١٨٥٢ ــ ١٩٣٢) كان واحدا من ابرز زعماء الحركة الفوضوية في ايطاليا ، قضى عشر سنوات من حياته في السجن، وقام بنشاط اعلامي ودعاوي واسع جدا .

الخيال المرعب الكئيب ، وللذهن المحشو بجمل جاهزة الصنع . انه « حر » بنفس الطريقة التي يمكن ان نقول بها حرة عن مياه بركة طينية مليئة بالضفادع النقاقة بالمقارنة مع مياه شفافة محتواة ومحدودة « اصطناعيا » بكريستال المزهرية . انه يمتلك قدرة سياسية مماثلة للقدرة السياسية لمهاجر مسكين من الجنوب يقطع نصف العالم دون ان يلتقط الفوارق المميزة للاراضي التي زارها ، وجوابا على السؤال: « ما رأيك في ما رأيت ؟ » يقول ببساطة : « كل العالم بلد واحد » . ان روحه « النقدية » تختصر كلها في دفاعه الشهير ، الذي يستنتج منه ان العلاقات بين الرأسماليين والبروليتاريين تماثل تماما العلاقات بين اثنين يرتادان مائدة واحدة في المقهى ، أحدهما يحب تدخين الغليون بينما لا يستطيع الاخر تحمل رائحة دخان الغليون . ولكن ما ينقص مالاتيستا بشكل مثل للقلق هو الاحساس بحرية الاخرين والاحساس بضرورة التعامل بالمثل . انه يعتقد انه يسمح له باطلاق أي حكم على الحزب الشيوعي وأي تعبير قاس يصف به الشيوعيين ، واذا اجابه الشيوعيون بنفس اللهجة شعر بالاهانة وراح يصرخ ويصيح ويتنهد بشكل محزن . انه يؤكد على وجوب اطلاق حرية واسعة لاجتماعات وتظاهرات الفاشيين بالرغم من أن هذه الحرية سوف تتجسد بالمجازر والارهاب فحسب ، نظرا لصفات الفاشية الزراعية التي هي تنظيم عسكري بحت معاد للبروليتاريا . واذا « تجرأ » الشيوعيون ، كما فعلنا نحن ، على الاحتجاج على النتائج المحتمة لهذا المفهوم المتفكك والقاتل للحرية عن الحرية . عندئذ تنفتح كل سدود النقمة المالاتيستية ، ولن تكفي كل مجموعة روايات « أوليس باربييري » للعثور على مصدر للتعابير المستخدمة بفخر لتحقير الشيوعيين .. وعندها يصبح الشيوعيون أناسا ينتظرون اللحظة المناسبة ليتمكنوا من تقييد ومحاكمة و ... أعدام مالاتيستا ومعجبيه ،

ويصبحون مفترين ومرشحين للمهنة النبيلة التي تتلخص في تزويد السجون ومنصات الاعدام باللحوم البشرية ، ومستبدين بلاشفة ، وأناسا موهوبين لمهنة الشرطة التي ينفذون بشكل جدي ! مالاتيستا يعترف للفاشيين بحرية واسعة للاجتماعات والتظاهرات ، ولا يعترف للشيوعيين حتى بحرية التعبير ، في مقالات لا تنفجر كالقنابل ، ولا تكسر العظام بالهراوات ، ولا تثقب الجلد بالخناجر ، عن عقيدتهم السياسية ، التي هي ليست حتما عقيدة (؟!) سياسية (؟!) فوضوية ، والتي تؤكد الضرورة (التي هي من خواص كل دولة ، وبالتالي الدولة العمالية ايضا) الى الكبح ، أي الى جيش عمالي ، ومحاكم عمالية ، والى سجون تغلق على الاعداء المعلنين للطبقة العمالية والذين يستحيل اصلاحهم ، والى فرقة اعدام لكل من يحارب الطبقة العمالية بالسلاح . ان الحرية للجميع ، أيها المحترم الفضيل مالاتيستا ، تستدعي بالضرورة حرية الشيوعيين في استخدام عقولهم للحكم على الاشياء ، وحرية الشيوعيين في نشر أحكامهم هذه ، وتستدعي بالضرورة حريتكم في الاعتقاد أننا « نزود السجون ومنصات الاعدام باللحوم البشرية » ، تماما كما تستدعي حريتنا في الا نأخذكم مأخذ الجد كقيادة روحية للبروليتارية الايطالية ، وفي ان نصنفكم بين الاشياء الاثرية والفولكلورية المثيرة للفضول في بلدنا الغني جدا بالاشياء المثيرة للفضول وبالتقاليد الشعبية الجميلة .

٢ ــ **لويجي فابري** : لويجي فابري (٢) ، معروف أيضا بالاسم الرهيب « كاتيلينا » (٣) ، وهو النموذج الحي

---

(٢) لويجي فابري (١٨٧٧ ــ ١٩٣٥) ، دعاوي فوضوي شهير .

(٣) « كاتيلينا » تعني القدح والزم ، وهي كلمة ماخوذة اصلا من كلمات « شيشيرون » في ذم « كاتيلينا » (ملاحظة المعرب) .

للإهوتي كنيسة القرية . واذا كان مالاتيستا ينهي معالجة موضوعه في عشرين سطر خيالية ، فان لويجي فابري يميع الاسطر العشرين فيجعلها عشرين مقالا ، كل منها مؤلف من مئتي سطر ، ثرثرات طويلة لا أول لها ولا اخر ، ليس فيها من « البساطة » الا النقطة التالية : الاشياء التي هي بسيطة فعلا ، والتي يمكن لفابري ان يسردها بسرعة ، تفرق عنده في طوفان الكلمات ، وفي روابط منطقية لا فائدة منها، وفي اثباتات تافهة ، أما الاشياء الصعبة والمعقدة بذاتها ، والتي لم ينجح فابري في التقاط جوهرها ، فانها تبسط اعتباطيا، أي أنها تفقر ، وانها تمزق ، وأنها تزيف . في دماغ فابري تصبح الذبابة فيلا ، ويصبح الفيل ـ بالمقابل ـ ذبابة . اذا اراد ان يشرح العمال أن أثنين زائد اثنين يساويان أربعة ، فان فابري يعود الى كل تاريخ الحساب الموجود في منشورات الجامعات الشعبية ، ثم يربط بين تاريخ الحساب وتاريخ الفوضوية العالمية بشكل عام ، وتلك الايطالية بشكل أخص، ثم يرصف كل حوادثه وذكرياته الشخصية عن الفوضوية العالمية بشكل عام ، وتلك الايطالية بشكل أخص ، ثم يصل الى الاستنتاج بانه اذا وضعنا حبة حمص مقلية الى جانب حبة حمص مقلية اخرى اصبح لدينا حبتا حمص مقليتان ، واذا اخذنا حبة بطاطا مسلوقة ووضعنا الى جانبها حبة بطاطا مسلوقة اخرى اصبح لدينا حبتا بطاطا مسلوقتان ، ثم اذا وضعنا الى جانب حبتي الحمص المقليتين الاوليتين حبة بطاطا مسلوقة واحدة أصبح لدينا ثلاثة من حبات الحمص المقلي والبطاطا المسلوقة ، ثم اذا وضعنا الى جانب حبتي الحمص المقليتين وحبة البطاطا المسلوقة الاول حبة البطاطا المسلوقة الاخرى أصبح لدينا اربع حبات من الحمص المقلي والبطاطا المسلوقة . ويمكن تسمية لويجي فابري بالمركيز فيليو كريسيولتي للفوضوية ، بكل ما يتسلح به من ذكريات شخصية ، وألاعيب منطقية ، ومضايقات زفرة .

وكثيرا ما يهتم فابري بصحيفة « النظام الجديد » ، ولكنه مدين لـ « النظام الجديد » (الاسبوعية) بجواب : في ما كتبه من « رسائل الى اشتراكي » (فلورنس ١٩١٤ ـ ص ١٣٤) يؤكد فابري عدم قبوله بمفهوم ماركس حول « الكارثة » فقط لانه « عندما تكون ثورة ما قد قامت نتيجة لاغراق في البؤس او الاضطهاد فانها تحتاج الى اقامة ديكتاتورية سلطوية ، وهذه الثورة قد توصلنا الى اشتراكية الدولة ، ولكنها لن توصلنا أبدا الى الاشتراكية الفوضوية» . هل الاوضاع الحاضرة هي « اغراق في البؤس والاضطهاد» أم لا ؟ اذا كان صحيحا ان ثورة قامت نتيجة للاغراق في البؤس والاضطهاد تتطلب اقامة ديكتاتورية سلطوية ، فلماذا يقف فابري اليوم اذن ضد ديكتاتورية البروليتاريا ؟ أليس من عمل السخفاء ومؤيدي الحرية المزيفين الوقوف ضد الحاجة ومناطحة الجدران ؟ هل ان فابري أكثر صداقة لاوثانه التجريدية و « لافكاره » ، أم انه اكثر صداقة للحقيقة ، أي للتعاليم المنبثقة من الوقائع الحقيقية ؟ اننا نستند الى التأكيد الذي أورده فابري في كتابه (« رسائل الى اشتراكي » ، فلورنس ١٩١٤ ـ ص ١٣٤) ونستنتج : ان التطريزات التحريرية للاهوتي لويجي فابري تشبه الاحاديث الشهيرة للجرذان الذين كانوا يريدون التحرر من الهر بربط الاجراس في ذيله ، وهي تشبه المبدأ الطبي للدكتور غريلو الذي كانت وصفته للمريض بالكوليرا جرعة من التمر هندي وكان يرفق ورقة وصفته بالتمني المحب « لكي ييسرها الله ! » ، وهي تشبه علم الصيد عند أولئك الاطفال الذين كانوا يضربون بحجر على الركبة لاصطياد الدوري او يعتقدون باصطياد السنونو برش الملح على الذيل.

٣ ـ **آرماندو بورغي :** ارماندو بورغي (٤) ينتمي الى

---

(٤) آرماندو بورغي (١٨٨٢ ـ ...) نقابي فوضوي اصبح فيما بعد مديرا لصحيفة « الإنسانية الجديدة » .

ذلك العشر الساقط من الفوضوية الايطالية . وهو أخ توام لجاشينتو مينوتي سيراتي ، فهو بلا شخصية ، كاذب ، ولا يعرف الاخلاص . الكل كان يعرف منذ اذار (مارس) ١٩١٩ ان الاممية الشيوعيةهي منظمة سياسية، الكل كانوا يعرفون ان النقاط الرئيسية البرنامجية للاممية الشيوعية هي : ديكتاتورية البروليتاريا ، أي تنظيم دولة عمالية ممركزة وتحت اشراف الحزب الشيوعي ، السلطة الصناعية فيها ليست بيد النقابيين (أي ليست في يد الموظفين النقابيين) بل هي للمجالس الاقتصادية الشعبية المجمعة في المجلس الاقتصادي الوطني ، انشاء جيش أحمر نظامي وليس العهدة بالدفاع عن الثورة الى مبادرة الافراد او الى عصابات لا عضوية من الانصار . آرماندو بورغي كان يعرف ، أو كان واجبه ــ على الاقل ــ أن يعرف ، هذه الاشياء . وانتسب بورغي الى الاممية الشيوعية ، وجعل « الاممية السياسية للاتحاد النقابي » ، التي يقودها بنفسه ، تنتسب الى الاممية الشيوعية . في عام ١٩٢٠ ذهب آرماندو بورغي الى روسيا للمشاركة في المؤتمر الثاني ، واستقبل هناك استقبال الاخ ، واعلن كونه نقابيا « صافيا » أصبح « شيوعيا » احتراما لتعاليم الواقع التاريخي بشكل عام ، ولتعاليم الثورة الروسية بشكل أخص ، وأكد استعداده للعمل في ايطاليا لتأسيس حزب شيوعي ، وأعلن انه اذا كانت هنالك في ايطاليا حركة عمالية يمكن مقارنتها بالحزب الشيوعي الروسي فان الفضل في ذلك يعود الى « الاتحاد النقابي » . واعتقل بورغي فور عودته الى ايطاليا . وكتب من السجن الى ممثل الاممية الشيوعية في ايطاليا يقول انه شيوعي مؤمن ، وانه ما ان يخرج من السجن حتى يضع كل طاقاته في خدمة الاممية لتأسيس حزب شيوعي في ايطاليا .

اليوم ، لا يقف آرماندو بورغي ضد الاممية الشيوعية

لانها « سياسية » و « ديكتاتورية » فحسب ، بل انه ضد الاممية الحمراء للنقابات لانها منتسبة الى الاممية السياسية. عاد آرماندو بورغي اليوم فأصبح، مجددا ، نقابيا «فوضويا» يقوم بدعايته ضد « المستبدين البلاشفة » ، وضد الديكتاتورية التي تخنق الثورة ، وضد الاحزاب الشيوعية التي لم يصبح رئيسا لها مع قرع الاجراس بقوة . آرماندو بورغي ، مثله مثل ج. م. سيراتي ، ومثله مثل يوليوس قيصر ، يفضل أن يكون المواطن الاول في بيسكاسيرولي (٥) الطوفان وفي الامتناع عن الشرب . الحرية لارماندو بورغي عن ان يكون المواطن الثاني في روما . وسوف يختترع اتحادات نقابية لا نهاية لها حتى يصبح سكرتيرا لا نهاية له. انه سيجد دوما ان كل التنظيمات التي ليس هو سكرتيرها ليست ثورية حقيقية ولا بروليتارية حقيقية . وبورغي ، مثله مثل سيراتي ، يملك الشيطان في القمقم ، وهو يعرف سر « افتح يا سمسم » لكل القصور الرائعة الجمال ، وهو يعرف فبركة كل دواء فعال لعلاج المجتمع من كل امراضه .

اننا نقول أن آرماندو بورغي جزء مهم من العشر الساقط أدبيا وفكريا للفوضوية الايطالية .

خاتمة

الحرية للجميع ، اذا كان هذا يحلو لكم !.. الحرية لاريكو مالاتيستا في الاعتقاد بأن الشيوعيين مرشحون للمهن السيئة الصيت والمخلة بالشرف كجزارين وسجانين وشرطة، والحرية للشيوعيين في الاعتقاد بأن مالاتيستا بسيط مثل زورق الرحلات الطويلة ، والحرية للويجي فابري في أن يكون صنبورا لماء الشرب ، والحرية للشيوعيين في منع طوفان وفي الامتناع عن الشرب . والحرية لارماندو بورغي في ان يكون المضحك الترفيهي والحرية للشيوعيين في أن يكتبوا عن بورغي أنه مضحك ترفيهي .

---

(٥) قرية صغيرة في الريف الايطالي .

من الرسائل (*)

من غرامشي الى تولياتي : وضع الحزب ومستقبله

١٨ أيار (مايو) ١٩٢٣

عزيزي بالميرو ،

سأجيبك مطولا على رسالتك ، وأعرض لك رأيي في هذه اللحظة حول وضع الحزب والتوقعات الممكنة لتطوره في المستقبل ومواقف المجموعات التي يتكون منها . بشكل عام أقول لك فورا أنك مبالغ في تفاؤلك ، فالمسألة أعقد بكثير مما يبدو في رسالتك . لقد كانت لي محادثات خلال المؤتمر الرابع مع آماديو (١) قادتني الى الاعتقاد بضرورة

---

(١) آماديو هو بورديغا . ويقول بالميرو تولياتي في كتابه « تشكل المجموعة القيادية للحزب الشيوعي الايطالي » ما يلي حول هذه النقطة : « هذه المحادثات مع آماديو جرت خلال المؤتمر الرابع للاممية ، واشترك فيها ايضا سكوتشيمارو . وكان غرامشي مقتنعا بان الاختلاف مع بورديغا

←

اجراء نقاش مفتوح ونهائي بيننا حول بعض المسائل التي تبدو اليوم ، أو يمكن ان تبدو ، نزاعات فكرية ، ولكني أعتقد انها يمكن أن تصبح ، في تطور ثوري للاوضاع الايطالية ، سببا في أزمة وتحلل داخلي للحزب . ان المسألة الاساسية اليوم هي هذه التي طرحتها انت نفسك : يجب أن نؤسس داخل الحزب نواة ، ليست شقا Fraction من الرفاق المتسمين بأقصى حدود الانسجام الايديولوجي، مما يمكنهم من دفع النشاط العملي بأقصى ما يمكن من وحدة القيادة . نحن ، المجموعة التورينية القديمة (٢) ، ارتكبنا الكثير من الأخطاء في هذا الميدان . فقد تجنبنا الوصول الى النتائج القصوى للخلافات الفكرية والعمليةالتي كانت قد برزت مع آنجيلو (٣) ، ولم نوضح الوضع ، وبذلك وجدنا أنفسنا اليوم عند هذه النقطة : ان عصابة صغيرة من الرفاق تستغل لحسابها التقاليد والقوى التي أثرناها ، وأصبحت تورينو وثيقة ضدنا .

في الميدان العام ، بقينا معزولين بسبب الاشمئزاز

ليس مقتصرا على مسألة العلاقات مع الاشتراكيين ، بل انه يتعلق بكافة المشاكل الاستراتيجية والتكتيكية للحركة العمالية والشيوعية . لذلك فقد اثار غرامشي نفسه هذه « المجادلات » التي اكدت له ظنونه واستحالة منع القطيعة . وكان سكوتشيمارو موافقا على موقفه . وكان من الضروري، بالتالي ، تشكيل مجموعة قيادية جديدة . بل ان نص هذه الرسالة يدل على ان غرامشي كان يعتبر هذه المجموعة موجودة فعلا ، مشيرا لا الى اتفاقات مقررة ، بل الى المواقف التي وقفها في لحظات سابقة الرفاق الذين يتجه اليهم لتشكيل هذه القيادة الجديدة » . (كتاب توليياتي المذكور ما زال لم ينشر بالعربية) .

(٢) مجموعة « النظام الجديد » .

(٣) آنجيلو تاسكا .

الذي شعرنا به عام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ تجاه تشكيل شق Fraction ، بقينا افرادا او ما يشبه ذلك ، في حين أن المجموعة الاخرى ، تلك الاستنكافية ، تركت فيها تقاليد الشق (Fraction) والعمل الجماعي آثارا عميقة ما زالت لها انعكاسات فكرية وعملية بارزة جدا في حياة الحزب . ولكني سأكتب لك مطولا وبالتفصيل . وأريد ايضا ان أكتب رسالة اكثر عمومية لرفاق مجموعتنا القديمة ، مثل ليونيتي ، ومونتانيانا وغيرهما ، أشرح لهم فيها ايضا موقفي في المؤتمر الرابع (٤) ، والذي ، اذا تذكروا ، يعكس نفس موقفي عام ١٩٢٠ في تورينو ، عندما رفضت الدخول في الشق الشيوعي الانتخابوي (٥) ، بل تمسكت بضرورة اقامة تنسيق اكبر مع الاستنكافيين (٦) .

أعتقد انه نظرا للاوضاع العامة للحركة اليوم في أوروبا صار أسهل أن نحل بما يلائمنا ، في الجوهر على الاقل ، المسائل التي طرحت . من الناحية الشكلية ، لقد ارتكبنا أخطاء كبيرة أساءت الينا كثيرا وجعلتنا نبدو طفوليين أخفاء غير منظمين . ولكن الوضع الان ملائم لنا على طول الخط . اني متفائل فيما يخص ايطاليا ، طبعا اذا عرفنا كيف نعمل ونبقى موحدين . وأعتقد أننا يجب أن ننظر الى مسألة الحزب الاشتراكي الايطالي بطريقة أكثر واقعية ، وان نفكر ، بالتالي ، في مرحلة ما بعد استلام السلطة . لقد علمتنا ثلاث سنوات من الخبرة كم هي متجذرة ، ليس

---

(٤) المؤتمر الرابع للاممية .

(٥) المؤيد لمشاركة الحزب الشيوعي في الانتخابات النيابية .

(٦) يقول تولياتي في مؤلفه المشار اليه في هامش سابق : « كان غرامشي قد انشق عن تولياتي (سكرتير الفرع الاشتراكي) ومونتانيانا وغيرهما وانشا مجموعة للتثقيف الشيوعي اقرب في اتجاهاته الى الاستنكافيين البورديغيين . ولكن هذا لم يستمر الا وقتا قصيرا جدا » .

في ايطاليا فقط ، التقاليد الاشتراكية الديمقراطية ، وكم هو صعب تدمير بقايا الماضي وترسباته عبر الجدل الايديولوجي فحسب . انه لمن الضروري القيام بعمل سياسي واسع ودقيق يفتت ، يوما بعد يوم ، هذا التقليد، وذلك بتفتيت الجهاز الذي يجسده . ان تكتيك الاممية ملائم لذلك . في روسيا ، هنالك ٥٠٠٠٠ بلشفي قديم فقط بين أعضاء الحزب البالغ عددهم ٣٥٠٠٠٠ ، أما الـ ٣٠٠٠٠٠ الاخرين فهم من المناشفة والاشتراكيين الثوريين الذين أتوا الينا نتيجة للعمل السياسي للنواة الاصلية التي لم يفرقها هذا العنصر ، بل استمرت تقود الحزب وعززت مواقعها باستمرار في التمثيل بالمؤتمرات وفي الحركة العامة للفئة القائدة .

في الحزب الالماني يحصل نفس الشيء ، حيث استطاع الـ ٥٠٠٠٠ اسبارطي تنسيب وتأطير ٣٠٠٠٠٠ مستقل . وفي المؤتمر الرابع كان هنالك ٣ مستقلين سابقين فقط من اصل وفد مؤلف من ٢٠ عضوا ، ولاحظ ان اختيار الوفد قد تم في غالبيته من قبل الاجهزة المحلية .

اني اعتقد ان هنالك الكثير من القلق من جهتنا . واذا بحثنا في الجذور النفسية لهذا القلق ، وجدنا تفسيرا واحدا هو اننا نعي كوننا ضعفاء ويمكن ان نفرق . ولاحظ ان لهذه النفسية انعكاسات عملية غاية في الاهمية . في ايطاليا زرعنا في بيت زجاجي دافىء معارضة مغذاة بكل فكر وبكل نظرة واضحة . ما هي الحالة التي نجمت عن ذلك ؟ ان جماهير الحزب والمتعاطفين معه تشكل رأيها من خلال الوثائق العلنية التي هي في خط الاممية ، وانعكاسا هي في خط المعارضة . نحن نبتعد عن الجماهير ، ان غيمة من الالتباس وسوء الفهم والنزاعات المعقدة تشكلت بيننا وبين الجماهير. وسوف نبدو ، عند نقطة معينة ، وكأننا رجال يسعون الى البقاء في أمكنتهم مهما كان الثمن ، أي أن الدور الذي هو

من المعارضة سوف ينقلب ضدنا . اني أعتقد اننا ، أي مجموعتنا ، يجب أن تبقى على رأس الحزب لاننا حقيقة في خط التطور التاريخي ، فرغم أخطائنا ، عملنا ايجابيا وخلقنا شيئا ما ، أما الاخرون فلم يفعلوا شيئا ، وهم يريدون اليوم ان يعملوا على تصفية الشيوعية في ايطاليا ، وعلى اعادة حركتنا الفتية الى المجرى التقليدي . ولكن ، اذا تابعنا اتخاذ المواقف الشكلية التي اتخذناها حتى الان (لاحظ أنها مواقف شكلية بالنسبة لي ولك ولبرونو وأومبرتو (٧) ، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لآماديو ..) فأننا سنصل الى الهدف المعاكس للهدف المراد تحقيقه ، اذ تصبح المعارضة الفعلية هي الممثلة للحزب بينما نبقى نحن معزولين خارجه ، ونواجه عندئذ هزيمة حقيقية قد لا يمكن اصلاحها ، وتصبح هذه الهزيمة ، بلا شك ، بداية تفككنا كمجموعة ، وبداية هزيمتنا الفكرية والسياسية . حسنا ، عليك الا تقلق كثيرا بسبب وظيفتنا القيادية ، وعلينا أن نتابع السير الى الامام ، وأن نوضح عملنا السياسي ، دون النظر الى أنفسنا كثيرا في المرآة . اننا موجودون في خط التيار التاريخي ، وسننجح ، شرط ان نجذف جيدا ، وأن نمسك الدفة بقوة وثبات . واذا عرفنا ان نعمل بشكل جيد، سوف نتمكن من امتصاص الحزب الاشتراكي ، وسنحل المشكلة الثورية الاولى والاساسية ، وهي مشكلة توحيد البروليتاريا الطليعية وتدمير التقليد الشعوبي الديماغوجي.

من وجهة النظر هذه ، لم يعجبني تعليقك على المؤتمر الاشتراكي . انك تبدو في هذا التعليق أشبه بالشيوعي الذي ينظر الى نفسه في المرآة . ان تعليقي يقوي الحزب الاشتراكي بدلا من تفكيكه ، اذ أنه يضع الحركة الاشتراكية

---

(٧) برونو فورتيكاري ، واومبرتو هو تيراشيني .

في تناقض معنا . (٨) بالنسبة لنيني (٩) وفيلا وأمثالهما هذا أمر لا شك فيه ، ولكن، هل هو صحيح بالنسبة لجمهور المنتسبين (للحزب) ، وهو الاهم ، وبالنسبة لمناطق النفوذ البروليتاري ؟ بالتأكيد لا ، ونحن مقتنعون تماما بأن البروليتاريا الطليعية ، بأغلبيتها العظمى ، سوف تنجذب الينا وتقف معنا . اذن ، ما العمل ؟

١ ــ عدم الاصرار على التناقض مع الكتلة ، بل التمييز بين الزعماء والجماهير .

٢ ــ البحث عن كل عناصر الخلاف بين الزعماء والجماهير وتعميق هذه العناصر وتوسيعها وتعميقها سياسيا .

٣ ــ القيام بمناقشة القضايا السياسية الحالية ، وليس دراسة الظواهر التاريخية العامة .

٤ ــ طرح اقتراحات عملية ، وبيان الاتجاهات العملية في النشاط والتنظيم أمام الجماهير .

سأوضح بالامثلة حتى تفهمني اكثر ، وسأوسع المسألة لتضم قضية المؤتمر الشعبي (مؤتمر الحزب الشعبي) الذي لم نستغله سياسيا ، رغم انه كان ، مع تطور الاوضاع داخل حزب العمل الساردیني(نسبة الى جزيرة ساردينيا)، يمنحنا ميدانا لتأكيدات جوهرية في مشكلة العلاقات بين البروليتاريا والطبقات الريفية .

كانت المشكلة الاشتراكية هي ما يلي : ابراز التناقض الحاد بين الكلمات والوقائع عند الزعماء الاشتراكيين . عندما نصحتنا الاممية بتبني شعار الاشتراكيين اليمينيين ، شعار الكتلة بين الحزبين ، فعلت ذلك لانه كان من السهل توقع

---

(٨) التعليق المذكور نشر في صحيفة « ال لافوراتوري » الصادرة في مدينة « تريسته » ، ولكن ليس هنالك ما يؤكد فعلا ان توليياتي هو صاحبه.

(٩) بيترو نيني ، زعيم الحزب الاشتراكي الايطالي .

كون الاندماج أصبح مستحيلا في الحالة القائمة ، ولانه كان يجب حبس أشباه فيلا ونيني في سياجهم نفسه ، وكان يجب ان يكون تصرفهم ديماغوجيا ، وان يكون خطهم مختلفا عن خطنا . كان هذا واضحا في الرد على اقتراحنا . في التعليق على المؤتمر كان يجب الانطلاق من هذه النقطة : ان منع « الاندماجيين » (١٠) من تنظيم أنفسهم ، واستبعادهم عن المركز القيادي ، وحل اتحاد الشباب (١١) ، كانت كلها عناصر سياسية من الدرجة الاولى يجب استغلالها ، يجب وضع الجماهير الاشتراكية امام هذا الواقع المحدد : كان يجب على هذه الجماهير ، نتيجة للفوضى في الجدل واللفظية ، القيام بفعل البحث عن الخطوط التوجيهية الجدية الملموسة ، ثم عرضها بشكل واضح وقابل للفهم .

والامر نفسه بالنسبة للمؤتمر الشعبي . انا أعتقد ان كل حركة للحزب الشعبي لها أهمية خاصة بالنسبة لنا ، نظرا للارتباطات التي لهذه المنظمة بالفاتيكان . انى أعتقد انه كان للمؤتمر الشعبي هذا المعنى : هناك استياء عام واسع بين الجماهير الفلاحية ضد سياسة الحزب ، وهذا الاستياء ناجم بشكل خاص عن الضريبة الجديدة على الآليات الزراعية . هذا الشعور بدأ ينتقل من الريف الى المدينة وينتشر في شرائح واسعة من البورجوازية الصغيرة . ان تركيب الحزب الشعبي هو كما يلي : يمين رجعي وفاشي قائم على الارستقراطية الكنسية ، ويسار قائم على الريف ، ووسط مؤلف من عناصر مثقفة مدينية ومن الكهنة . ان حملة صحيفتي « ال كوريري » و« لا ستامبا » تصب الماء في

---

(١٠) « الاندماجيون » هو التيار اليساري الذي كان موجودا يومها داخل الحزب الاشتراكي والمؤيد للانصهار مع الشيوعيين . ولكن هذا التيار هزم امام تيار «الدفاعيين» الذي كان يقوده نيني وفيلا وغيرهما .

(١١) كان اتحاد الشباب الاشتراكي ذو اتجاه « اندماجي » .

طاحونة الوسط الشعبي . وان العناصر التي تنفصل بفضل هذه الحملة المضللة عن الفاشية تتجه بالضرورة نحو الحزب الشعبي ، وهو المنظمة الوحيدة الموجودة التي تعطي الامل بكونها قادرة ، بتكتيكها المرن والانتهازي ، على موازنة الفاشية واعادة ايجاد التنافس على الحكومة في الميدان البرلماني ، أي الحرية كما يفهمها الليبراليون . ان التكتيك الفاشي تجاه الشعبيين في غاية الخطر ويؤدي بالضرورة الى جعل الحزب اكثر تخلخلا ، والى قيام انشقاقات على يساره . ان الوضع امام الشعبيين مماثل تماما لذلك الذي واجهوه خلال الحرب ، بل أكثر صعوبة وخطورة . خلال الحرب كان الكاثوليكيون يقفون موقف الحياد في الإبرشيات وفي القرى ، بينما كانت الصحافة الكاثوليكية وبقية الاوساط الكاثوليكية تدعم الحرب بشدة . ولم تحاول الحكومة آنئذ اجبار الوسط على الوقوف في وجه الريف أو على الانسجام معها . ولكن الفاشيين لا يريدون التصرف بالطريقة ذاتها ، فهم يريدون الحصول على موافقات علنية وعلى تصريحات بالمشاركة في المسؤولية ، خاصة امام الجماهير ، من الخلايا الاصلية للاحزاب الشعبية . ويستحيل الحصول على ذلك من الحزب الشعبي دون ان يطلب منه الانتحار صراحة. ومن الواضح ان علينا تكثيف وتوسيع حدود ازمة الشعبيين ، وذلك بالتوصل ، حتى في صحفنا ، الى نشر تصريحات من قبل العناصر اليسارية ، كما فعلنا ذات مرة في تورينو مع جوزيبي سبيرانزيني .

لقد جاءت رسالتي أطول وأعقد مما كنت أظن ، ونظرا لاني اريد معالجة بعض هذه المسائل بتوسع أكبر ، أتوقف عن الكتابة ... اليوم .

تحيات المحبة للرفاق ولك .

انطونيو

من غرامشي الى سكوتشيمارو : الجدل مع روديفا والنضال ضد الفئوية

فيينا ، ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٤

عزيزي نيغري ،

استلمت رسالتك المؤرخة في ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) ورسالة بالمي المؤرخة في ٢٩ من الشهر نفسه . وسأجيب على الاثنين معا . وارجو ان تطلع بالمي على مضمون هذه الرسالة ، وان تطلع عليها ايضا لانزي وفيري (١٢) .

سأقول لك ، بتركيب متكامل ، لماذا أصر على اعتبار استحالة توقيعي البيان ، حتى بعد ان قرأت صياغته الثانية. ان البيان لا يعترف بوجود اللجنة التنفيذية الموسعة التي شكلت في شباط (فبراير) ١٩٢٢ ، ولا بتلك التي شكلت في حزيران (يونيو) ١٩٢٢ ، ولا بالمؤتمر الرابع ، ولا بتنفيذية حزيران (يونيو) ١٩٢٣ (١٣) . البيان يرى ان التاريخ انتهى عند المؤتمر الثالث، وان المتابعة تستدعي العودةللبدء من المؤتمر الثالث . كل هذا يمكن قبوله كرأي شخصي لرفيق مفرد ، وكتعبير عن مجموعة صغيرة . ولكن من الجنون ، ببساطة ، الاخذ به كموجه لقسم الاغلبية الذي قاد الحزب

---

(١٢) نيغري هو سكوتشيمارو وبالمي هو بالميرو توليياتي ولانزي هو تريسو وفيري هو ليونيتي .

(١٣) يقول توليياتي في مؤلفه المشار اليه في الهوامش السابقة : « ان اجتماعات اللجان التنفيذية التي وسعت فيما بعد الى المؤتمر الثالث ، والوارد ذكرها في الرسالة ، لم تكن تقتصر على بحث المشاكل الايطالية ، بل كانت قد ركزت بشكل خاص على طرح وتطوير تكتيك الجبهة الواحدة واطلقت شعار الحكومة العمالية . وحول هذه النقاط كانت مقاومة ومعارضة بورديغا في غاية التصلب » .

منذ المؤتمر الثالث وما بعد ، وما زال يقوده . انـــه جنون ومنافاة للمنطق لان ممثلي الاغلبية أدلـــوا دومـــــا بأوسع التصريحات ، في التنفيذيات الموسعة وفي المؤتمر الرابـــع ، تأييدا للمركزية ، وللحزب الاممي الواحد .. الخ . وفـــي مؤتمر روما اعلن ان التصويت على الاطروحات التكتيكية سيكون استشاريا فقط ، وان هذه الاطروحات سوف تلغى بعد مناقشتها في المؤتمر الرابع ، دونما عودة الى الحديث فيها . وفي النصف الاول من شهر اذار (مارس) ١٩٢٣ نشرت اللجنة التنفيذية للكومنترن بلاغا خاصا جاء فيـــه ان الاطروحات حول تكتيك الحزب قد دحضت ورفضت، وهنالك مادة في دستور الاممية يقول بان اي قرار صادر عن اللجنة التنفيذية يكون ملزما لكافة الفروع . هذا ما يقال حول الناحية الشكلية والقانونية للمسألة ، وهي ناحية لها أهميتها . في الواقع ، بعد نشر البيان يمكن أن تسحب الثقة من الاغلبية نهائيا وان تطرد من الكومنترن . واذا لم تتعارض الاوضاع السياسية في ايطاليا مع ذلك فانا أعتقد ان الطرد سيتـــم حتما . وعلى اساس مفهوم الحزب المستنتج من البيان لا بد ان يكون الطرد نهائيا . ولو فعل احد فروعنا فقط نصف مـــا تريد أغلبية الحزب ان تفعله تجاه الكومنترن لحل فورا. وانا لا اريد ، بتوقيعي البيان ، ان ابدو بهلوانا .

ولكني لست موافقا كذلك على محتوى البيان ، أن لي مفهوما اخر للحزب ، ولوظيفة الحزب ، وللعلاقات التي يجب ان تقوم بينه وبين الجماهير التي بلا حزب ، وبينه وبـــين الشعب بصورة أعم . لا اعتقد بتاتا ان التكتيك الذي تطور من خلال التنفيذيات الموسعة والمؤتمر الرابع كان خاطئا ، لا من ناحية الطرح العام ولا من ناحية التفاصيل الهامة. واعتقد انك انت وبالمي من نفس رأيي هذا ، ولذلك فاني لست أفهم كيف تركبان هذا المركب الخطر بمثل هذه الحفنة . يبدو لي انكما تمران بحالة نفسية مماثلة لتلك التي مررت بها انـــا

ايضا في فترة مؤتمر روما. وربما كان السبب في ذلك ابتعادي لفترة عن العمل الحزبي الداخلي ، ولكن تلك الحالة النفسية اختفت الان ، والواقع انها اختفت لاسباب اخرى . احد اهم هذه الاسباب هي ما يلي : لا يمكن اجراء اية تسوية كانت مع اماديو ، فهو ذو شخصية قوية جدا ، ولديه قناعة عميقة بانه على حق ، ومن المستحيل اصطياده بشبكة التسوية ، اذ انه سيتابع الصراع ، وسيقدم اطروحاته كما هي ، ودون اي تعديل ، كلما حانت له فرصة لذلك .

أعتقد ان بالمي على خطأ في اعتباره ان الوقت غير ملائم للبدء في عملنا بشكل مستقل واقامة تشكيل جديد يبدو وسطا فقط « على مستوى التراب الوطني » . لا يمكننا تجاهل ان المفهوم الذي كان رسميا حتى الان حول وظيفة الحزب قد أدى الى تجمدنا فقط عند نقاشات التنظيم، وبالتالي الى سلبية سياسية حقيقية . وبدلا من الوسطية وصلنا الى ايجاد حركة أقلية مريضة ، واذا ما جرى الحديث مع الرفاق المهاجرين عن ضرورة مشاركتهم بشكل أنشط في العمل الخارجي للحزب لوحظ ان الحزب ، بالنسبة اليهم ، ليس الا امرا لا اهمية له ، وانهم على غير استعداد لاعطائه شيئا ، ان تجربة مدرسة بيتروغراد غاية في التعبير . في الواقع، صرت أعتقد ان القوة الاكبر التي تحافظ على تماسك وجه الحزب هي هيبة ومثالية الاممية ، وليس الرابط الذي نجح العمل المحدد في استثارته ، ولقد خلقنا اقلية على هذه الارضية بالتحديد . وقد ترك للاقلية ان تزين نفسها بلقب الممثلة الحقيقية للاممية في ايطاليا .

واليوم بالذات ، بعد ان تقرر طرح النقاش امام الجماهير يجب اتخاذ موقع نهائي وشكل صحيح محدد. طالما كانت النقاشات تجري في حلقة محدودة جدا ، وكانت تستهدف تنظيم خمسة او ستة او عشرة اشخاص في جهاز متجانس ، كان ما زال ممكنا ، حتى لو لم يكن صحيحا كليا،

الوصول الى بعض التسويات الفردية والتغافل عن بعض المسائل التي لم تكن ذات الحاح آني . اليوم سيتم التقدم الى الجماهير ، وسيجري النقاش ، وستتحدد التشكيلات الجماهيرية التي لن تقتصر حياتها على ساعات قليلة فقط . حسنا ، من الضروري جدا ان يتم كل ذلك دون مواربات ودون سوء تفاهم ، وان تكون هذه التشكيلات ذات عضوية تمكنها من النمو ومن ان تصبح الحزب كله . لهذا لن أوقع البيان . ولست أعرف بعد بالدقة ما سأفعل . وليست هي المرة الاولى التي أجد نفسي فيها في هذه الاوضاع ، ولا بد ان بالمي يذكر كيف كنت في آب (اغسطس) ١٩٢٠ قد انفصلت حتى عنه وعن اومبرتو (١٤) . يومها كنت انا من يريد المحافظة على علاقات أفضل مع اليسار منها مع اليمين ، بينما التحق بالمي واومبرتو يومها بتاسكا الذي كان قد انفصل عنا منذ شهر كانون الثاني (يناير) . ويبدو ان ما يحدث اليوم هو العكس تماما . ولكن الاوضاع ، في الواقع ، جد مختلفة ، وكما كان يجب يومها الاعتماد داخل الحزب الاشتراكي على الاستنكافيين اذا اريد خلق النواة الاساسية لحزب المستقبل ، فانه يجب النضال اليوم ضد المتطرفين اذا اريد للحزب ان ينمو وأن ينتهي من كونه لا شيء اكثر من شق خارجي للحزب الاشتراكي. في الواقع،ان كلا التطرفين التطرف اليميني والتطرف اليساري ، باعتبارهما أغلقا الحزب ضمن الاطار الوحيد للنقاش حول العلاقات مع الحزب الاشتراكي ، فقد انحطا بالحزب الى دور ثانوي . قد أبقى وحيدا . ولكني ، بصفتي عضوا في اللجنة المركزية للحزب وفي اللجنة التنفيذية للكومنترن ، سأكتب تقريرا أقاتل فيه ضد هؤلاء واولئك ، متهما هؤلاء واولئك بنفس الخطيئة ، ومستنبطا من العقيدة ذاتها ومن تكتيك الكومنترن برنامج

---

(١٤) راجع الهامش رقم (٦) في هذا المقال .

عمل لنشاطاتنا في المستقبل . هذا ما كنت أريد قوله، واؤكد لكم انه مهما كان منطقكم فانه لن ينجح في زحزحتي عن هذا عن هذا الموقف . طبعا ، اني اريد الاستمرار في التعاون الوثيق معكم ، واعتقد ان تجربة هذه السنوات نقصت الجميع ، على الاقل في تعليمنا انه يمكن ان تكون هنالك داخل اطار الحزب اراء مختلفة والاستمرار ، مع ذلك ، في العمل معا بأقصى ما يمكن من الثقة المتبادلة .

أطلب اليك ان تحث الرفاق الذين تستطيع ان تطالهم على الاسراع في ارسال المقالات التي طلبتها . يجب على بالمي ان يكتب لي فورا مقالا عن « معركة الافكار » لا يقل عن ثلاثة أعمدة (كل الصفحة الاخيرة) . لا اعرف ما هو الكتاب او مجموعة الكتب او المطبوعات الاخرى التي أنصحه بها ، ولكن يمكنه ان يوجه النقد الى وجهة النظر الواردة في مجلة « الثورة الليبرالية » بقلم غوبيتي (١٥) ، موضحا كيف ان واقع الفاشية طرح في ايطاليا مشكلة غاية في الفجاجة والحدة ، هي مشكلة الثورة الدائمة ، وليس استحالة تغيير مشكلة الدولة فحسب بل ايضا ، وببساطة ، استحالة تعديل اية حكومة الا بالقوة المسلحة ، ويمكنه كذلك ان يدرس التيار الجديد الذي نشأ عند المحاربين القدماء وتمركز حول « ايطاليا الحرة » . اني أعتقد ان حركة المحاربين القدماء ، بشكل عام ، وباعتبارها التشكل الفعلي لاول حزب علماني للفلاحين خصوصا في وسط وجنوب ايطاليا ، كانت لها اهمية عظمى في قلب البنية السياسية الايطالية القديمة وفي الاضعاف الكبير لهيمنة البورجوازية البرلمانية ، وبالتالي انتصار البورجوازية الصغيرة الفاشية الرجعية غير الحاسمة ، والممتلئة على العموم بطموحات واحلام طوباوية

---

(١٥) « الثورة الليبرالية » مجلة صدرت في تورينو خلال عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣ ، وكان مؤسسها ومديرها هو بيترو غوبيتي .

حول البعث بعد الاندثار . ما هـو المعنى الصحيح لولادة حركة « ايطاليا الحرة » ضمن هذا الاطار العام ؟ هذا امـر يخفى علي وسأكون في غاية السرور اذا كان بامكان بالمي تنويري حول هذه النقطة .

طبعا ، ان بالمي يجب ان يكون احد اركان المجلة ، وعليه ان يرسل مقالات عامة تجعل من الممكن ، جوهريا ، اعادة احياء صحيفة « النظام الجديد » القديمة . لقد تغافلت دوما الاشارة الى امكانية تعاون فالي (١٦) لاني اعتقد انه سيطلب حرية مطلقة في هذا المجال . ولكن اخبره اني اريد منه مقالا تركيبيا حول مسألة مشروع جنتيلي للاصـلاح المدرسي . وكلمة « تركيبي » تحمل طبعا معنـى منطقيـا وليس قياسيا بالمتر العشري . ويمكن ان يكون المقال فـي حدود خمسة اعمدة وان يصبح النواة المركزية لعدد مـن اعداد المجلة .

وماذا يفعل لانزي ؟ هو ايضا عليه تقديم تعاونه ، وخاصة في مجال المسألة النقابية . اكتب اليه واخبره اني اود ان اعرف شيئا ما عن نشاطه وعن ارائه في الاحداث الجارية .

مع التحيات . **غرامشي**

من غرامشي الى جوليا شاخت : عبادة الشخصية

(فيينا) ، ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٤

(...) لن يكون مـن الممكن أبـدا تجنب أن تتجسد الثورة عند الجماهير في بضعة أسماء تبدو معبرة عن كافـة

---

(١٦) هو آنجيلو تاسكا .

الطموحات وعن المشاعر المؤلمة للجماهير العمالية المضطهدة. لقد وقعت الحادثة التالية في احدى القرى الايطالية : بعد ثلاثة أيام من موت لينين ، مات أجير زراعي ، شيوعي ، كان قد أجبر مع رفاقه في العمل على الانتساب الى التعاونيات النقابية الفاشية . وكان قد أوصى بأن يدفن في كفن أحمر كتب على صدره : عاش لينين . وكان لينين ميتا . ولكن الاجير الزراعي أراد أن يدفن هكذا . ورافقه رفاق عمله ليلا الى المقبرة حيث غنوا عند قبره نشيد الاممية . وروى حفار القبور الحادثة ، فحل الفاشيون كل منظماتهم المحلية التي كانت مؤلفة في غالبيتها من الفلاحين الفقراء الثوريين الذين يعانون من رعب العزلورعب العصا . هذه الاسماء تصبح لدىالجزء الاكبر منالجماهير الاكثر فقرا والاكثر تخلفا اشبه برموز دينية . وهذه القوة يجب الا تحطم(١٧) . . .

غرامشي

من غرامشي الى تولياتي وتيراشيني : الخط الجديد الحزب

فيينا ، ٩ شباط (فبراير) ١٩٢٤

أيها الرفاق الاعزاء ،
تلقيت بترحيب بالغ الدعوة التي وجهها الي الرفيق

---

(١٧) يبدو مما لا شك فيه ان غرامشي يرى في « عبادة الشخصية » وظيفة ايجابية في اوضاع تاريخية معينة (مثل تخلف الجماهير .. الخ) . وعلى العموم ، فان التعمق في المفاهيم الغرامشية يوضح ان غرامشي يشترط لذلك شرطين مسبقين هما : ان يبقى الرمز خاصا بالجماهير ولا يتعداها الى الزعيم نفسه فيصبح غرورا واستبدادا ، وان يبقى معتبرا كلحظة انتقالية تفيد في توجيه الجماهير نحو الوعي العقلاني لمهماتها التاريخية وللمراحل المختلفة للثورة .

أوربانى(١٨) لكي أحـــدد ، بالخطوط العريضة على الاقـــل ، الاسباب التي تجعلني أعتقد أنه أصبح من الضروري عـــدم الاقتصار على الوصول بالنقاش الى جذوره أمام الجمـــاهير الحزبية حول أوضاعنا الداخلية بل الوصول أيضـــا الى تكتل للمجموعات التي تميل الى قيادة الحزب(١٩) . هنالك أسباب، على العموم ، تمنعني عن التعمق كثيرا في مسائل محددة . أعرف النفسية المنتشرة في حركتنا ، وأعرف ان غياب أي جدل داخلي وأي محاولة جدية للنقد الذاتي قـــد خلف ، لدينا نحن أيضا ، عقلية شديدة الحرص على الشكليات وسريعة الغضب سرعان ما تبرز من أجل لا شيء مهم .

الاوضاع الداخلية للاممية : اني غير مقتنع بتاتا بالتحليل الذي وضعه أوربانى حول الاتجاهات الجديدة التي يقال انها تكشفت في الكومنترن بعد احداث المانيا . وكما لم اصدق قبل عام أن الاممية اتجهت يمينـــا ، حسب الرأي المسيطر على لجنتنا التنفيذية، فاني لست اصدق اليوم أنها تتجه يسارا. أن نفس التسميات السياسية التي استخدمها الرفيق أوربانى تبدو لي خاطئة ، أو هي ـــ على الاقل ـــ في غاية السطحية. فيما يتعلق بروسيا ، كنت أعرف دوما ان خريطة المجموعات

---

(١٧) هو تيراشيني .

(١٩) يقول توليياتي في مؤلفه الذي سبقت الاشارة اليه : « واخيرا عرض غرامشي موقفه بشكل كامل ونهائي ، واضعا بذلك حـــدا للتـــردد والتارجح عند الرفاق الذين كان يتوجه اليهم . من بعض فقرات هـــذه الرسالة يتضح سبب انتظاره كل تلك المدة قبل القيام بالخطوة التقريرية . فقد كان يخشى ، من جهة ، ان يؤدي موقفه القاطع الى رد فعل قوي عند بورديغا وتفتيت الحزب نتيجة لذلك أو ابقاء بورديغا على هامش الحزب ، وهو ما سعى الى تجنبه في هذه اللحظة على الاقل . وكان يخشى ، من جهة ثانية ، أن تندلع في صفوف الحزب تناقضات ذات طبيعة تخلفيـــة وسمة شخصية » .

والاتجاهات تضم رادك وتروتسكي وبوخارين في خانة اليسار ، وزينوفييف وكامينييف وستالين في خانة اليمين ، بينما كان لينين في الوسط يقوم بدور الحكم في الوضع كله. هذا ، طبعا ، باللهجة السياسية الدارجة . ان النواة المسماة باللينينية ، كما هو معروف ، تقول بأن هذه المواقف « الجغرافية » هي مواقف خادعة ومضللة ، وقد بينت في جدلها دوما كيف ان المدعوين يسارا ليسوا سوى مناشفة متسترين بلفظية ثورية في حين أنهم عاجزين عن تقييم العلاقات الواقعية للقوى الحقيقية . ومن المعروف أن تروتسكي كان يقف دوما الى يسار البلاشفة ، في حين أنه كثيرا ما تكتل في المسائل التنظيمية ، أو حتى اختلط ، مع المناشفة . ومن المعروف أن تروتسكي كان يؤمن في عام ١٩٠٥ بامكانية قيام ثورة اشتراكية وعمالية في روسيا ، بينما كان البلاشفة لا يسعون الى أكثر من اقامة ديكتاتورية سياسية للبروليتاريا المتحالفة مع الفلاحين تكون اشبه بقشرة تحد من النمو الرأسمالي الذي ما كان يجب أن يمس في بنيته الاقتصادية. ومن المعروف أيضا انه في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، بينما كان لينين واكثرية الحزب قدانتقلوا الى مفهوم تروتسكي وينوون وضع يدهم لا على الحكومة السياسية فحسب بل على الحكومة الصناعية أيضا ، كان زينوفييف وكامينييف قد بقيا على الراي التقليدي للحزب ، فكانا يريدان حكومة ائتلاف ثوري مع المناشفة ومع الاشتراكيين الثوريين، ولهذا خرجا من اللجنة المركزية ، ونشرا تصريحات ومقالات في صحف غير بلشفية ولم يبق أمامهما الا القليل للوصول الى الانشقاق. ومن المؤكد انه لو فشل انقلاب تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ كما فشلت في تشرين الاول (اكتوبر) الماضي الحركة الالمانية لانشق زينوفييف وكامينييف عن الحزب البلشفي وكان يحتمل ذهابهما مع المناشفة . ومن الجدل

الذي قـــام مؤخرا في روسيا يتضـــح كيف ان تروتسكي ، والمعارضة بشكل عام ، نظرا لغياب لينين الطويل عن قيادة الحزب ، كانوا يخشون العودة الى العقلية القديمة للحزب ، وهي العقلية المؤذية للثورة . وبطلبهم مشاركة أكبر للعنصر العمالي في حياة الحزب والتخفيف من السلطات البيروقراطية كانوا يريدون ، في الواقـــع ، أن يضمنوا للثورة سمتهـــا الاشتراكية والعمالية ومنع تحولها ببطء الى تلك الديكتاتورية الديمقراطية ، القشرة للرأسمالية الناميـــة ، حسب برنامج زينوفييف ورفاقه في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ . هكذا يبدو لي وضـــع الحزب الروسي ، وهو أكثر تعقيـــدا وأكثر جوهرية عما يراه أورياني والامر الوحيد الجديد هو انتقال بوخارين الى مجموعة زينوفييف وكامينييف وستالين(٢٠) .

وأيضا فيما يتعلق بالوضع الالماني ، يبدو لي أن الامور تسير بشكل مختلف تماما عما وصفه أورياني .

ان كلتا المجموعتين اللتين تتنازعان قيادة الحزب همـــا عاجزتان وغير كافيتين . ان مجموعة ما يسمى بالاقليـــة (مجموعة فيشر — ماسلوف) تمثل بلا شك أكثرية البروليتاريا الثورية . ولكن ليس لدى هذه المجموعـــة القوة التنظيمية اللازمة لقيادة ثورة منتصرة في ألمانيا ، وليس لديها اتجاهـــا صلبا وموثوقا يضمن تجنب كوارث قد تكون أسوأ من كارثة تشرين الاول (اكتوبر) . وتتألف هذه المجموعة من عناصر شابة في النشاط الحزبي وجدت نفسها على رأس المعارضة فقط بسبب غياب القادة ، وهو أمر عـــادي في المانيا . أمـــا مجموعة براندلر — تالهايمر فهي أقوى من المجموعة الاولى

---

(٢٠) ان المواقف داخل الحزب البلشفي ، كما ذكرها غرامشي ، لم تكن دقيقة وصحيحة كليا ، وعلى العموم فان هذا لا يقلل من اهميـــة احكامـــه .

من الناحية الايديولوجية ومن ناحية التحضير الثوري . ولكن لها ، هي أيضا ، نقاط ضعفها التي هي ، في بعض النواحي، أكبر وأعظم ايذاء ممـــا عند المجموعة الاولى . لقد أصبـــح براندلر وتالهايمر تلموديا الثورة ، ومحاولتهما العثور ، بأي ثمن كان ، على حلفاء للطبقة العماليـــة ، انتهت بهمـــا الى التغاضي عن وظيفة الطبقة العمالية نفسها . وبارادتهما ربح الارستقراطية العمالية التي تسيطر عليهـــا الاشتراكيـــة الديمقراطية اعتقدا أن باستطاعتهما التوصل الى ذلك بوضع برنامج ذي طابع صنـــاعي يعتمد على مجالس المصـــانع والاشراف العمالي ، ولكنهمـــا أرادا منـــافسة الاشتراكيين الديمقراطيين في ميدان الديمقراطية ، فانحدرا نزولا بشعـــار الحكومة العماليـــة والفلاحيـــة .أي المجموعتين هي اليمين وأيهما هي اليسار ؟ ان المسألـــة تكاد تكون بيزنطية . مـــن الطبيعي أن زينوفييف ، الذي لا يستطيـــع مهـــاجمة براندلر وتالهايمر على اساس أنهما عاجزان وأنهما عدم شخصي ؛ يطرح المسألة على المستوى السياسي ، ويحاول اتهامهما ، من خلال بعض أخطائهما ، باليمينية . ولكن المسألة ، مـــن ناحية أخرى ، تتعقد بشكل شنيع . من بعض الزوايا يمكن اعتبار براندلر انقلابيا أكثر من كونه يمينيا ، كما يمكن القول أنه انقلابي لانه يميني . وكان قد أكد أنـــه في تشرين الاول (اكتوبر) الماضي سيكون من الممكن تحقيق الانقلاب في المانيا، وأكد أن الحزب كان جـــاهزا من الناحية التكنيكية لمثل هـــذا الحدث . ولكن زينوفييف كان متشائما جدا ، ولم يكن يعتقد أن الاوضاع ناضجة من الناحية السياسية. وخلال النقاشات التي جرت في المركزية الروسية وجد زينوفييف نفسه في موقع الاقلية ، ونشر مقال تروتسكي : « هل يمكن القيام بالثورة في تاريخ معين ! » . وفي مناقشة تمت في مجلس الرئاسة أعرب زينوفييف عن رأيه بوضوح كلي . والان ، أين هو لب

القضية ؟ منذ شهر تموز (يوليو) ، وبعد مؤتمر السلام في لاهاي ، وضع رادك ، بعد عودته الى موسكو من جولة قام بها ، تقريرا كارثيا عن الاوضاع الالمانية . من هذا التقرير كان يبدو أن اللجنة المركزية ، التي كان يتزعمها براندلر ، لم تعد تتمتع بثقة الحزب ، وأن الاقلية ، رغم تكونها من عناصر عاجزة وأحيانا حتى مشكوك بأمرها ، كانت تسيطر على اغلبية الحزب وكان باستطاعتها، في مؤتمر ليبيا ،الحصول على الاكثرية لو لم تمنعها عن ذلك المركزية ودعم الكومنترن، وكان يبدو من التقرير كذلك ان اللجنة المركزية كانت تطبق قرارات موسكو بصورة شكلية فقط ، وانه فيما يتعلق بالجبهة الواحدة وبالحكومة العمالية لم تكن قد تمت أية حملة منظمة ، بل أكتفي بنشر مقالات صحفية ذات طابع نظري عميق مبهم لا يقرأها العمال . ومن الواضح ان مجموعة باندلر بدأت تتحرك بعد تقرير رادك هذا ، ولتجنب انتصار الاقلية راحت تحضر لاذار (مارس) ١٩٢١ جديد . واذا كانت هنالك أخطاء فالالمان هم الذين ارتكبوا هذه الاخطاء . أما غلطة الرفاق الروس ، أي رادك وتروتسكي ، فقد كانت في انهما اعتقدا بما كان باندلر ورفاقه يبيعون من دخان ، ولكن الواقع ان موقفهما ، حتى في هذه الحالة ، لم يكن يمينيا ، بل يمكن القول أنه كان يساريا ، الى حد امكانية الوقوع في تهمة الانقلابية .

اعتقد أنه من الملائم الاستفاضة قليلا في هذا الموضوع، لانه يجب أن يكون لنا توجه واضح في هذا الميدان . ان دستور الاممية يمنح الحزب الروسي الهيمنة الفعلية على التنظيم العالمي . ومن الضروري اذن معرفة التيارات المختلفة التي تبرز في الحزب الروسي لكي نفهم الاتجاهات التي تطبع الاممية مرة بعد أخرى . ومن ناحية أخرى ، يجب ان نأخذ في اعتبارنا وضع التفوق الذي يوجد فيه الرفاق الروس ؛

الذين ، بالاضافة الى امتلاكهم مجموعة من المعلومات الاكثر صحة مما تمتلك منظمتنا ، يملكون المعلومات الاكثر والادق حول بعض المسائل التي تخص الدولة الروسية . ان اتجاهاتهم ، عموما ، تعتمد على قاعدة مادية لا نستطيع امتلاكها الا بعد الثورة ، وهذا ما يمنحهم تفوقا ذو طبيعة دائمة يصعب المساس به .

بيان اليسار الشيوعي : أصل الان الى المسائل الاكثر تعلقا مباشرا بنا . يكتب الرفيق أورباني قائلا أني بالغت كثيرا في تقريري لطبيعة البيان (٢١) . أؤكد ثانية أن البيان ليس سوى بداية معركة جذرية ضد الاممية ، وأنه يطالب باعادة النظر في كل التطور التكتيكي الذي جرى بعد المؤتمر الثالث .

هنالك ، بين النقاط الختامية للبيان ، النقطة ـ ب) التي تقول أنه يجب استثارة النقاش في الاجهزة المختصة للاممية حول شروط النضال البروليتاري في ايطاليا خلال السنوات الاخيرة ، نقاش واسع الابعاد ، وخارج حدود الترتيبات الطارئة والانتقالية التي كثيرا ما تخنق دراسة وحل المشاكل الاكثر اهمية . ماذا يعني هذا غير المطالبة بالمراجعة، وغيراعتبار أنه من الممكن اعادة النظر ليس فقط في تكتيك الكومنترن في ايطاليا بعد المؤتمر الثالث ، بل أيضا طرح النقاش حول المبادىء العامة التي هي في أساس هذا التكتيك ؟ ليس صحيحا ما ورد في الجملة الاخيرة من الفقرة (التكتيك الشيوعي في ايطاليا) من أن الاممية لم تقل ما تريد أن يجري عمله في ايطاليا بعد المؤتمر الثالث . في العدد ٢٨ من مجلة (الاممية الشيوعية) نشرت رسالة مفتوحة موجهة من اللجنة التنفيذية الاممية الى اللجنة المركزية للحزب

---

(٢١) هو البيان الذي وضعه بورديغا والذي رفض فرامشي توقيعه ، كما هو واضح من رسالته المنشورة قبل هذه .

الشيوعي الايطالي ، هذه الرسالة كتبت في حوالى منتصف اذار (مارس) ١٩٢٢ ، أي بعد التنفيذية الموسعة لشباط (فبراير) ، وهي تدحض وترفض كل مفهوم الاطروحات حول التكتيك المقدمة الى مؤتمر روما ، وتؤكد كونها متناقضة كليا مع قرارات المؤتمر الثالث . وتعالج الرسالة بشكل خاص النقاط التالية : ١) مشكلة كسب الاكثرية . ٢) الاوضاع التي تصبح فيها المعركة ضرورية وامكانيات النضال . ٣) الجبهة الواحدة . ٤) شعار الحكومة العمالية .

في النقطة الثالثة يجري تحديد اطار مسألة الجبهة الواحدة في الميدان النقابي وفي الميدان السياسي . ويقال بالتحديد ان على الحزب ان يدخل للمساهمة في اللجان المختلطة للنضال والتحرك . وفي النقطة الرابعة هناك محاولة لرسم خط التكتيك الفوري للنضال في ايطاليا ، والذي يجب أن يوصل الى الحكومة العمالية . وتنتهي الرسالة بهذه الجملة : يفضل أن يكتفي الحزب بالاطروحات التي وضعت في المؤتمر الثالث وفي اللجنة التنفيذية الموسعة لشهر شباط (فبراير) ، وان يتخلى عن اطروحاته بدلا من تقديم الاطروحات المذكورة ، وهو ما سيجبر اللجنة التنفيذية (للاممية) على محاربة مفاهيم اللجنة المركزية الايطالية علنا وبكل طاقاتها . اني لا أدري اذا كان ما زال يمكن التساؤل ، بعد هذه الرسالة للجنة التنفيذية (للاممية) ، التي لها قيمة ومعنى غاية في الدقة ، وكما ورد في البيان ، حول استعادة كل النقاش مع تجاوز الوقائع الطارئة . هذا يعني القول بصراحة أن الحزب الايطالي ، بعد المؤتمر الثالث ، كان يجد نفسه دوما وبشكل منتظم على خلاف مع اتجاه الكومنترن ، وأنه يريد بدء صراع حول المبدأ .

تقاليد الحزب : اني أنكر بشكل قاطع أن تكون تقاليد الحزب هي تلك التي تنعكس في البيان . ان الامر يتعلق

بتقاليد ، أي بمفهوم ، احدى المجموعات التي شكلت في البداية حزبا ، ولا يتعلق بتقاليد الحزب . وبنفس الطريقة فاني أنكر وجود أزمة ثقة بين الاممية والحزب بمجموعه . هذه الازمة غير موجودة الا بين الاممية وبعض قادة الحزب. ان الحزب لم يتشكل في ليفورنو على أساس مفهوم استمر فيما بعد في البقاء والتطور ، بل تأسس الحزب على أساس واضح وفوري ، وهو الانفصال عن الاصلاحيين وعن أولئك الذين كانوا يقفون الى جانب الاصلاحيين وضد الاممية . ان القاعدة الاوسع ، والتي اجتذبت الى اللجنة المؤقتة في تعاطف قسم من البروليتاريا كانت هي الاخلاص للاممية الشيوعية . لذلك يمكن التأكيد على عكس كل ما ورد في البيان ، ويمكن اتهام الموقعين عليه ، وبحق ، بأنهم لم يعرفوا تفسير تقاليد الحزب وأنهم خرجوا عليها . ولكن هذه مسألة لفظية وبيزنطينية تماما . والامر يتعلق بقضية سياسية ، فبعد أن وجد آماديو نفسه في قيادة الحزب أراد لمفهومه أن يكون هو المسيطر وأن يصبح مفهوما للحزب بأجمعه . وهذا ما يريده اليوم أيضا ، بواسطة البيان . ان نكون قد سمحنا في الماضي بنجاح هذه المحاولة شيء ، وان نتابع اليوم الرغبة فيه ، بتوقيع البيان ، والاقرار بشرعية هذه الحالة و « تعليب » الحزب ، هو شيء آخر . الواقع أننا لم ندع هذه الحالة تتعزز أبدا ، وبصورة مطلقة . وعلى الاقل قبل مؤتمر روما ، وفي الخطاب الذي القيته أنا أمام الجمعية العمومية في تورينو ، كنت قد قلت بوضوح كاف أنني كنت أقبل الاطروحات حول التكتيك فقط لسبب عارض متعلق بتنظيم الحزب ، ولكني أعلنت في الوقت نفسه تأييدي للجبهة الواحدة حتى نهايتها الطبيعية في التحول الى حكومة عمالية . وعلى العموم ، فان مجموعة الاطروحات بكاملها لم تناقش أبدا بعمق من قبل الحزب ، وكانت القضية غاية

في الوضوح اثناء مؤتمر روما ، ولو لم تصل اللجنة التنفيذية الى تسوية مع مندوبي الكومنترن تقول بتقديم الاطروحات على أساس استشاري فقط على أن يجري تعديلها بعد المؤتمر الرابع ، لما كان مستبعدا ألا تقف أكثرية أعضاء المؤتمر الى جانب التنفيذية . هذه الاكثرية ، في مواجهة تحذير من الكومنترن ، كانت لن تتردد ، وكانت تبعث تقليد الاخلاص الاممي . من المؤكد أن هذا ما كنت سأفعله أنا ، ومعي كل مندوبي مقاطعة بيمونتي الذين عقدت معهم اجتماعا بعد خطاب كولاروف ، والذين وجدتني متفقا معهم على هذه النقاط: منع الاقلية من السيطرة على الحزب بشكل مفاجيء ، مع عدم اعطاء التصويت معنى يذهب الى أبعد من المسألة التنظيمية .

مفهوم البيان : بغض النظر عن هذه المسائل القانونية الى حد ما ، أعتقد أنه قد آن الاوان لاعطاء الحزب توجها مختلفا عن ذلك الذي كان له حتى الساعة . يجب بدء مرحلة جديدة لا في تاريخ حزبنا فحسب ، بل أيضا في تاريخ بلدنا . وبالتالي فانه يجب الدخول في مرحلة أكثر وضوحا في العلاقات الداخلية للحزب وفي العلاقات بين الحزب والاممية . لا اريد الاطالة كثيرا ، وسأبحث فقط بضع نقاط بأمل ان تكفي هذه النقاط لالقاء الضوء على المسائل المتروكة جانبا ايضا .

أحد أكبر الاخطاء التي ميزت، وما زالت تميز، نشاطات حزبنا يمكن تلخيصه بنفس الكلمات الواردة في ثاني الاطروحات حول التكتيك : « هذان العاملان ، الوعي والارادة ، من الخطأ اعتبارهما مؤهلات يمكن تحققها لدى الافراد ومطلوبة منهم ، لانها لا تتحقق الا بتكامل نشاطات أفراد عديدين في جهاز جماعي وحدوي » .

هذه الفكرة صحيحة اذا كانت تشير الى الطبقة

العمالية ، ولكنها خاطئة وغاية في الخطورة اذا كانت تتعلق بالحزب . لقد كانت هذه الفكرة هي فكرة سيراتي قبل مؤتمر ليفورنو ، فقد كان يقول بأنه يمكن للحزب ، بمجموعه ، أن يكون ثوريا حتى لو تعايش داخله اشتراكيون من مختلف الالوان والاشكال . وكان المناشفة يحملون نفس هذه الفكرة في مؤتمر انشقاق الاشتراكية الديمقراطية الروسية ، وكانوا يقولون أن الحزب بأكمله هو الذي يؤخذ في الاعتبار وليس الاشخاص المفردين ، وهؤلاء لا يطلب منهم أكثر من اعلان كونهم اشتراكيين . في حزبنا لم يؤد هذا المفهوم الا جزئيا الى خطر الانتهازية ، اذ لا يمكن ، في الواقع ، انكار أن الاقلية قد وجدت وجعلت لها أنصارا بسبب غياب النقاش والجدل داخل الحزب ، أي نتيجة لعدم اعطاء أهمية للرفاق الافراد ولعدم محاولة توجيههم بشكل أكثر جدية مما يتم عبر التعاميم والقرارات النهائية . وكانت في حزبنا شكاوى من مظهر اخر للخطر ، الا وهو عقم كل نشاط للافراد ، وسلبية جمهور الحزب ، والثقة العمياء بأن هنالك ، على العموم ، من يفكر بكل شيء ويعمل كل شيء . وكان لهذا الوضع تأثيرات خطيرة جدا في الميدان التنظيمي ، فقد غابت عن الحزب امكانية اختيار العناصر الثقة ، على أساس مبادىء عقلانية ، لتكليفهم بأعمال معينة . وكان الاختيار يتم بشكل تجريبي ، وعلى أساس المعرفة الشخصية لدى الافراد القادة ، وكان الاختيار يقع في أغلب الاحيان على عناصر لا تتمتع بثقة التنظيمات المحلية ، وبالتالي كانوا يجدون أنفسهم في مواجهة عراقيل مختلفة . ولنضيف الى هذا أن العمل ما كان يخضع الا لاشراف ضئيل جدا ، وبالتالي فقد ظهر في الحزب انفصال تام بين جمهوره وقيادته . وما زالت هذه الحالة قائمة حتى اليوم ، وهي تبدو لي مليئة بأخطار لا يمكن احصاؤها . اثناء وجودي في موسكو لم أعثر على انسان

واحد بين المهاجرين السياسيين ، وهؤلاء يأتون من مختلف انحاء ايطاليا ، وهم من العناصر الاكثر نشاطـــا ، يمكنه أن يفهم موقف حزبنا ، ولم أعثر على أي واحد منهم لا ينتقـــد بحدة اللجنة المركزية بعد أن يكون قد طرح مقدمات طويلـــة حول الانضباط والطاعة . ان خطأ الحزب هو في أنه وضع مشكلة تنظيم الحزب في المرتبة الاولى وبطريقة تجريدية ، وهذا ما يعني ، بالتالي ، ايجاد آلة من الموظفين الملتزمين التزاما شديدا (ارثوذكسيا) بالمفهوم الرسمي للحزب . وكان، وما زال ، يسود الاعتقاد بأن الثورة تعتمد فقط على وجود هذه الالة ، بل ان هنالك من يعتقد بأن وجود هذه الالـــة يعني حتمية قيام الثورة .

لقد كان الحزب يفتقر الى النشاط المنسق في التحريض والدعاية ، وهو ما كان يجب أن يحظى بكل عنايتنا حتى يتشكل لدينا خبراء بحق في هذا الميدان . لم نحاول أن نستثير لدى الجماهير ، في كل مناسبة ، امكانية التعبير عن نفسها في ذات اتجاه الحزب الشيوعي . كل حدث ، وكل مناسبة ذات طابـــع محلي أو قومي أو أممي كان يجب ان تخدمنـــا لتحريك الجماهير بواسطة الخلايا الشيوعية ، مع العمل على التصويت على مقررات ، وعلى توزيع المنشورات . ولم يكن هذا كله محض صدفة . فقد كان الحزب الشيوعي قد وقف حتى ضد تشكيل خلايا المصانع . كل مشاركة للجماهير في نشاط الحزب وحياته الداخلية ، ما عـــدا تلـــك الخـــاصة بالمناسبات الكبرى والمقررة بأمر رسمي مـــن المركز ، كان ينظر اليها كخطر يهدد الوحدة ويهدد التمركز . لم يفهم الحزب على أساس انه نتيجة للعملية الديالكتيكية التي تصب فيها الحركة العفوية للجمـــاهير الثورية والارادة التنظيميـــة والموجهة للمركز ، بل فهم فقط على أساس أنه أشبه بوجود في الهواء ينمو لنفسه وبنفسه ، وأن الجماهير تنضم الـــى

هذا الوجود عندما تصبح الاوضاع ملائمة لذلك ، وعندما تصل قمة الموجة الثورية الى مستواه ، أو عندما يقرر المركز ضرورة بدء الهجوم فيتناول الى مستوى الجماهير لكي يستثيرها ويدفعها الى العمل . طبيعي أن الامور لا تسير بهذه الطريقة ، وبالتالي فقد تشكلت ، على جهل من المركز، مواقع تلوث انتهازي. وكان لهذه المواقع الانتهازية انعكاسها على المجموعة البرلمانية ، ثم ، وبشكل أكثر تنظيما ، داخل الاقلية .

وقد أثر هذا المفهوم على مسألة الاندماج . السؤال الذي كان يوجه الى الكومنترن باستمرار هو التالي : هل يعتقد أن حزبنا ما زال في مرحلته الضبابية أم أنه أصبح تشكيلا نهائيا ؟ الواقع هو أن الحزب ، تاريخيا ، ليس ابدا بالشيء المحدود نهائيا ، ولن يكون كذلك أبدا ، نظرا لانه لن يصبح محددا ونهائيا الا عندما يصبح هو الشعب كله ، أي عندما يزول كحزب . وحتى لحظة اختفائه أو زواله لكونه توصل الى الاهداف القصوى للشيوعية فانه يمر بسلسلة كاملة من المراحل الانتقالية ، ويمتص مرة بعد مرة عناصر جديدة باحدى الطريقتين المكنتين تاريخيا ، أي بالانتساب الفردي ، أو بانتساب مجموعات متباينة الاحجام . وكانت الحالة قد أصبحت أكثر صعوبة بالنسبة لحزبنا نظرا للخلافات مع الكومنترن . فاذا كانت الاممية حزبا عالميا ، حتى لو احتجنا لفهم هذه القضية الى حبات ملح كثيرة ، فانه من الواضح أن نمو الحزب وتطوره ، والاشكال التي يمكن له أن يتخذها ، كلها أمور تعتمد على عاملين اثنين وليس على عامل واحد .

اعني انها لا تعتمد فقط على اللجنة التنفيذية الوطنية، بل ايضا على اللجنة التنفيذية الاممية ، التي هي الاقوى . ولتصحيح الوضع ، ولطبع تطور حزبنا بالنزوة التي يريدها

اماديو ، من الضروري كسب اللجنة التنفيذية الاممية ، اي ان نصبح محور معارضة بكاملها . من الناحية السياسية سيتم الوصول الى هذه النتيجة ، وطبيعي عندئذ ان تعمل اللجنة التنفيذية الاممية على تقطيع اوصال اللجنة التنفيذية الايطالية .

ان لاماديو مفهومه الخاص حول هذه النقطة، وطريقته منسجمة كليا ومتتابعة ، فهو يعتقد ان الاممية تتأثر بالوضع الروسي ، اي انها ولدت على أرضية حضارة رأسمالية متخلفة وبدائية . وهو يعتقد ان هذا التكتيك ليس الا تكتيكا ارادويا ومسرحيا ، لانه فقط ببذل أقصى جهد ارادي كان يمكن الحصول من الجماهير الروسية على النشاط الثوري الذي لم يكن نتيجة لوضع تاريخي . انه يعتقد ان هذا التكتيك غير ملائم ، بل حتى غير ذي فائدة ، بالنسبة لبلدان اوروبا الوسطى والغربية الاكثر تطورا . ففي هذه البلدان تعمل الآلية التاريخية بحسب الاصول الماركسية ، ان هنالك التقريرية التي كانت تفتقر اليها روسيا ، ولهذا فان المهمة الاساسية يجب ان تقتصر على تنظيم الحزب لذاته . انا أعتقد ان الحالة مختلفة تماما عن هذا التحليل . بالدرجة الاولى ، لان المفهوم السياسي للشيوعيين الروس قد تشكل على الارضية الاممية وليس على الارضية الوطنية. وبالدرجة الثانية لان التطور الرأسمالي في اوروبا الوسطى والغربية لم يؤدي فقط الى تشكل شرائح بروليتارية واسعة بل ايضا ، ولذلك ، ادى الى خلق الشريحة العليا التي هي الارستقراطية العمالية بكل ملحقاتها من البيروقراطية النقابية والمجموعات الاشتراكية الديمقراطية . ان التقريرية ، التي كانت في روسيا مباشرة وكانت تطلق الجماهير في الشوارع صوب الانقضاض الثوري ، تتعقد في اوروبا الوسطى والغربية نتيجة لكل هذه البنى السياسية الفوقية التي خلقها التطور الاكبر للرأسمالية وتجعل عمل الجماهير أبطأ واكثر حرصا ،

وهي تتطلب ، بالتالي ، من الحزب الثوري استراتيجية كاملة وتكتيكا أكثر تعقيدا واطول نفسا من الاستراتيجية والتكتيك اللذين احتاج اليهما البلاشفة في الفترة ما بين اذار (مارس) وتشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ . ولكن ، ان يكون لاماديو مفهومه هذا وان يحاول جعله ينتصر لا على المستوى الوطني فقط بل ايضا على المستوى الاممي ، هو شيء معين ، فهو مقتنع ويناضل بمهارة وبمرونة كبيرة للوصول الى هدفه بعدم التعرض لاطروحاته وليؤجل اتخاذ قرار في الكومنترن يمنعه من الاستمرار حتى الالتحام مع المرحلة التاريخية التي تكون فيها ثورة اوروبا الغربية والوسطى قد انتزعت من روسيا سمة الهيمنة التي لها اليوم . وان نكون نحن غير مقتنعين بتاريخية هذا المفهوم ، ثم ان نتابع دعمها سياسيا واعطاءها كل قيمها اميا ، فهذا شيء اخر . اماديو يضع نفسه في جانب اقلية اممية ضئيلة . نحن علينا ان نضع انفسنا في جانب الاكثرية الوطنية . ولهذا لا يمكننا ان نريد اعطاء حكم الحزب لممثلي الاقلية لان هؤلاء متفقون مع الاممية ، حتى ولو نجم عن المناقشة المفتوحة للبيان بقاء اكثرية الحزب الى جانب القادة الحاليين . هذه — في رأيي — هي النقطة المركزية التي يجب ان تحدد موقفنا سياسيا . ثم ، لو كنا متفقين مع اطروحات اماديو ، لكان علينا طبعا ان نطرح على أنفسنا هذه المشكلة : لو كانت معنا أكثرية الحزب فهل يوافقنا البقاء في الاممية ، على ان تبقى قيادتنا الوطنية في يد الاقلية بانتظار مرور الزمن للوصول الى انقلاب في الاوضاع يعطينا حقا نظريا ، أم يوافقنا قطع هذه الصلة ؟ ولكن ، لو كنا متفقين مع الاطروحات لكان توقيع البيان يعني تحملنا المسؤولية الكاملة لهذه المواربة . ولو حصلت الاطروحات على الاكثرية فهل نقبل نحن قيادة الاقلية ، رغم عدم موافقتنا على الاطروحات ، على ان نحل الوضع دستوريا ، أم نبقى أقلية ، رغم اننا بمفاهيمنا نتفق مع الاكثرية ، ونبقى ملتفين

حول الاممية ؟ ان هـذا يعني تصفيتنا السياسية ، ويكون الانفصال عن اماديو في مثل هذه الحالة ذو طابـع مقيـت وبغيض جدا .

دلالات عمل المستقبل : لا اريد الاطالة كثيرا في هذا الجزء لان ذلك سيتطلب مجالا واسعا جدا لمعالجة الموضوع بشكل ملائم .

سأكتفي ببعض الدلالات . يجب تجديد العمل الحزبي في المستقبل في نقطتين اثنتين : التنظيمية والسياسية .

في الميدان التنظيمي أعتقد انه من الضروري تقييم اللجنة المركزية وجعلها تعمل اكثر من السابق ، ضمـن الامكانات التي تسمح بها الحالة القائمة . أعتقد انه مـن الضروري وضع تحديد أفضل للعلاقات التي يجب ان تقوم بين مختلف أجهزة الحزب ، مع تحديد أدق وأقسى لتقسيم العمل وتحديد المسؤوليات . ويجب تأسيس جهازين ونشاطين جديدين : لجنة للاشراف مؤلفة بشكل اساسي من العمال القدماء تكون لها الكلمة الاخيرة في مسائل الخلافات التي هي ليست ذات نتائج سياسية فورية ، وبالتالي فانها لا تستدعي تدخل اللجنة التنفيذية الفوري . ويجب ان تقوم هـذه اللجنة بدراسة مستمرة لاوضاع اعضاء الحزب من اجل المراجعات الدورية. ولجنة للتحريض والدعاية الحزبية ، وعلى هـذه اللجنة ان تدرس الاوضاع المحلية ، وان تقترح التحركات التحريضية، وان تقوم بصياغة البيانات والاطروحات الصغيرة لتوجيـه عمل الاجهزة المحلية . ويجب ان تستند هـذه اللجنة الـى منظمة كاملة على المستوى الوطني تكون نواتها الاساسية هي الحي في المراكز الدينية والقرية في الريف . وعلى هذه اللجنة ان تبدأ عملها باحصاء لاعضاء الحزب الذين يجـب تقسيمهم بحسب الاهداف التنظيمية وبموجـب الاقدميـة والمسؤوليات التي شغلوها ، واستنادا الى القدرة التـي اظهروها، بالاضافة طبعا الى المواهب الاخلاقية والسياسية.

ويجب اقامة تقسيم دقيق للعمل بين اللجنة التنفيذية والمكتب الاممي ، وتحديد دقيق للمسؤوليات والاختصاصات لا يمكن خرقه بدون عقوبات انضباطية قاسية . اني أعتقد ان هذه هي احدى النقاط الاكثر ضعفا في حزبنا والنقطة التي دللت على ان المركزيةالقائمة هي شكلية بيروقراطية واختلاط سخيف للمسؤوليات والاختصاصات اكثر من كونها شبكة تنظيمية صارمة .

في الميدان السياسي يجب وضع اطروحات دقيقة وصحيحة حول الاوضاع الايطالية والمراحل المحتملة لتطورها المقبل . في عامي ١٩٢١ — ١٩٢٢ كان للحزب هذا المفهوم الرسمي: انه من الممكن قيام ديكتاتورية فاشية او عسكرية. ولقد نجحت بجهد جهيد في منع تسجيل هذا المفهوم كتابة في الاطروحات ، وذلك بتعديل اساسي ادخل على الاطروحتين رقم ٥١ و٥٢ حول التكتيك . ويبدو لي اننا سنقع اليوم في خطأ اخر مرتبط أوثق الارتباط بذلك الخطأ السابق . عندئذ لم يجر تقييم المعارضة الصامتة والكامنة عند البورجوازية الصناعية ضد الفاشية ، ولم يجر التفكير باحتمال قيام حكومة اشتراكية ديمقراطية ، بل جرى استعراض هذه الحلول الثلاثة الممكنة فقط : ديكتاتورية البروليتاريا (وهو الحل الاقل احتمالا) ، ديكتاتورية رئاسة الاركان لحساب البورجوازية الصناعية والبلاط ، ديكتاتورية الفاشية . هذا المفهوم ادى يومها الى تقييد نشاطنا السياسي وقادنا الى أخطاء جمة . والان ، مجددا ، لا يحسب حساب المعارضة الوليدة للبورجوازية الصناعية ، وخاصة تلك التي تبرز في الجنوب بطابع اكثر تعلقا بالاقليمية ، وبالتالي فانها تتعلق ببعض مظاهر المسألة القومية . هنالك بعض الرأي القائل بان الانبعاث البروليتاري يمكن ويجب ان يأتي فقط في صالح حزبنا . اني أعتقد ، على العكس من ذلك ، انه في حالة الانبعاث سيكون حزبنا ما زال حزب اقلية ، وان اكثرية

الطبقة العمالية ستذهب مع الاصلاحيين ، وانه ما زال لدى البورجوازيين الديموقراطيين الليبراليين كلمات كثيرة يقولونها. اني لا أشك في كون الوضع ثوريا ناشطا، وبالتالي فان حزبنا ستكون له الاكثرية خلال مدة زمنية معينة . ولكن حتى لو لم تكن هذه المدة طويلة بالمقاييس الزمنية ، فانها ستكون ، بلا شك ، زاخرة بالمراحل التكميلية ، ولذلك فان علينا وضع التوقعات بكثير من الدقة حتى نستطيع المناورة دون الوقوع في اخطاء تطيل من تجارب البروليتاريا .

واعتقد ايضا ان على الحزب ان يطرح على نفسه ، عمليا ، بعض المشاكل التي لم تتم مواجهتها ابدا ، والتي تركت حلولها للعناصر المرتبطة بها ارتباطا وثيقا . ان مشكلة اكتساب بروليتاريا ميلانو هي مشكلة وطنية بالنسبة لحزبنا. ويجب العمل على حلها بكافة الوسائل التي هي في حوزة الحزب وليس فقط بالوسائل الميلانية . لانه اذا لم تكن الاكثرية الساحقة لبروليتاريا ميلانو الى جانبنا فانه لن يمكننا الانتصار بالثورة في كل ايطاليا والمحافظة على هذا الانتصار . ولذلك ، علينا ان نرسل الى ميلانو عناصر عمالية من مدن اخرى ، وادخالهم مجال العمل في المصانع لاغناء المنظمة العلنية وتلك السرية في ميلانو بافضل العناصر من كل ايطاليا . وبتقدير سريع اعتقد ان علينا ان نزود الجسم العمالي الميلاني بما لا يقل عن مئة من الرفاق المستعدين لبذل كل جهودهم من اجل الحزب . المشكلة الاخرى من نفس النوع هي مشكلة العاملين في البحر ، وهي مشكلة ترتبط ارتباطا وثيقا بمشكلة الاسطول العسكري . ان ايطاليا تعيش في البحر . ولذلك فان عدم الاهتمام بالمشكلة البحرية كواحدة من المشاكل الرئيسية التي يجب ان يوليها الحزب جل اهتمامه يعني عدم التفكير جديا بالثورة . وعندما أفكر بان مسؤولنا السياسي بين البحارة كان ، لمدة طويلة ، صبيا مثل ابن كاروني ، يقف شعر رأسي . مشكلة اخرى هي

مشكلة عمال السكك الحديدية التي نظرنا اليها دوما بمنظار نقابي بحت ، في انها تخرج عن هذا النطاق وتعتبر مشكلة وطنية وسياسية من الدرجة الاولى . والمشكلة الرابعة والاخيرة من هذه المشاكل هي مشكلة الجنوب ، وهي المشكلة التي جهلناها كما جهلها الاشتراكيون واعتقدنا انها قابلة للحل في الاطار العادي لنشاطاتنا السياسية العامة . لقد كنت مقتنعا باستمرار ان الجنوب يمكنه ان يصبح مقبرة للفاشية ، ولكني أعتقد كذلك انه يمكنه ان يكون المستودع الاكبر وساحة السلاح للرجعية الوطنية والاممية اذا لم نقم نحن ، قبل الثورة ، بدراسة ملائمة للمسائل واذا لم نكن محضرين لكل شيء .

أعتقداني أعطيتكم فكرة واضحة عن موقفي والاختلافات بينه وبين ما ورد في البيان . ولاعتقادي بان القسم الاكبر منكم يجد نفسه أقرب الى موقفي الذي وجدنا أنفسنا فيه معا لمدة غير قصيرة ، آمل ان تكون ما زالت لديكم امكانية التقرير بشكل يختلف عما كنتم بصدد فعله . مع تحياتي الاخوية الصادقة .

ماشي (٢٢)

من غرامشي الى سكوتشيمارو وتولياتي : تكتيك اكتساب الحزب الى جانب الخط الجديد

١ اذار (مارس) ١٩٢٤

ايها الاعزاء ،

اضراب المصرفيين الذي منعنا من قبض حوالة جعلنا غير قادرين على شراء آلة كاتبة لمكتبتنا حتى الان . ولهذا

---

(٢٢) توقيع كان غرامشي كثيرا ما يختصر به اسمه .

فاني لا أستطيع القيام بكل الاعمال التي كنت أريد القيام بها في الاوضاع الحالية لحزبنا ، لانه يستحيل علي الاحتفاظ بنسخة من المادة التي حضرتها . ولهذا فاني سأعرض عليكما باختصار رأيي في الاتجاهات العامة التي تبدو لي اكثر فائدة وملاءمة في عملنا .

رسائلكم جعلتني في غاية السرور وأنعشت قلبي . كنت شديد التشاؤم فيما يتعلق بمستقبل حركتنا ، بمعنى اننا كنا نتجه مباشرة الى سيطرة « الثالثيين » (٢٣) على حزبنا ، أي اننا كنا نقوم ، نحن بالذات ، بالتحضير لما كنا نقول ، لفظا ، اننا نريد اجتنابه . ان شعوري هو التالي : مركز الحزب ، المأخوذ بعمله التنظيمي ، لم يأخذ في حسابه أن نوعا من العمل والدعاية قد تم فعلا خلال كل هذه المدة الزمنية . هذه الدعاية ، وهذا العمل ، قامت بهما الاممية الشيوعية ، حسب خط محدد ، ومما لا شك فيه انهما خلقا حالة نفسية معينة ، واتجاهات معينة للرأي ، ومواقف تعمل في قلب الجماهير وتؤدي الى وضع محدد . ثم ان من الطفولة انكار ما يلي : كان الصراع من اجل اكتساب الحزب الاشتراكي الايطالي ، في هذه المرحلة الاخيرة ، هو النشاط السياسي **الوحيد** الجدي الذي حافظ لنا على بعض الروابط مع الجماهير ، والذي يسمح لنا بالقول اننا كنا ما زلنا على قيد الحياة . هل تستطيعون انتم العثور على اي عمل اخر (قمنا به) في مواجهة نشاطنا الذي ذكرت ؟ من المحتمل

---

(٢٣) Terzini (وترجمتها « الثالثيون » نسبة الى ثالث) وهو اللقب الذي كان يطلق على يساريي الحزب الاشتراكي المؤيدين للانتساب الى الاممية الثالثة ، ومن هنا جاءت النسبة الى « ثالث » . اهم زعماء هذه المجموعة كان سيراتي نفسه . وكانت المجموعة قد بقيت عام ١٩٢١ في الحزب الاشتراكي ، ثم عادت بعد ذلك فانشقت عنه وانضمت الى الحزب الشيوعي .

ذكر النشاط النقابي ، الذي كان هو ايضا، وفي كل الاحوال، موجها لكسب الحزب الاشتراكي ، ولاقى بعض النجاح . لا بد ان العمل التنظيمي ، والنضال الدؤوب والصلب للمحافظة على جهاز الحزب ، هي أشياء عظيمة ، ولكن ميزانية الحزب لا يمكن أن تبنى على هذه الاشياء فقط . ان يعيش الحزب ليس بالامر الكافي، بل يجب ان يكونله تاريخ، وعليه ان يتحرك وان ينمو ليمكنه تأكيد كونه جهازا سياسيا ذو قاعدة خاصة به ومستقبل امامه ، كما نريد نحن . ان قراركم يضفي الكثير من التحسن على الحالة ، ويمنع التقوقع النهائي . لا شك في ان الصعوبات ستبقى كثيرة ، ولكنها لن تكون غير قابلة للتجاوز كما كانت تبدو في السابق . اننا نستطيع تأسيس مركز شق له بنفسه كل احتمالات ان يصبح الحزب كله . واود هنا ان اورد لكم فقرة من رسالة كتبها لي عامل مهاجر الى موسكو سمع بنقاشاتنا وسارع الى الاعراب لي عن رأيه (وكان هذا العامل من جماعة الاقلية قبل اللجنة التنفيذية الموسعة (٢٤) لشهر حزيران ــ يونيو ثم انتقل الى الموقف الذي اتخذناه ، دون ان يشهر ذلك علنا بل كان يتكلم به في الاجتماعات مع مجموعة المهاجرين المختلفين مع تاسكا) : « هنالك اثنان في موسكو يبدو انهما يريدان تثوير الحزب. وبالاستماع الى هذين النائبين السابقين يبدو وكأن اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية (٢٥) هما عبارة عن طائفة تحكم بلا أي مراقبة ، وبلا قدرة او ذكاء ، وكأن الشرطة تعرف كل شيء وتتركها تفعل ، وكأن لدى هذه الطائفة اوامر ، وعندما تصل الاوامر يكبح الحزب نفسه ، في رأيهما . وهما يرفعان التقارير بعد التقارير الى الكومنترن ، ونأمل ان يتم

---

(٢٤) للاممية .

(٢٥) للحزب الشيوعي لايطاليا .

التوصل الى شيء ما . ان ما أتمناه هو ان تنطلق حيـــاة الحزب ، ضمن حدود الشرعية ، من الاسفل وليس مـــن الاعلى ، وان يؤخذ في الحساب تفكير الرفاق ، وان لا يمنع ظهور الافكار المعارضة للتوجيهات الموضوعة من قبل مجموعة فقط من الرفاق الذين قد يكونوا بالذكاء الذي يريدون ولكنهم بشر هم ايضا ويمكنهم ان يخطئوا ، وان لا يقلد الروس اكثر من اللزوم ، لان ليس كل ما كان يمكن ، وما يمكن ، عمله في روسيا يمكن عمل مثيله عندنا . هناك اختلاف كبير فـــي الطبيعة ، فهنا ، كانت هنالك نشاطات واسعة سرية منتشرة حتى بين الجماهير ، اما عندنا فأشك ان تصبح السرية من خصائص الحزب ، وهو سبب اخر للاعتقاد بان صوت الحزب لا يصل الى الجماهير . بالنسبة لي يبدو وكأن الحيـــاة السرية للحزب هي غاية في العلنية وان فيها نواقص عديدة أكثرها بدائي ولكنه لا يرى . على العموم ، هذه كلها شكوك أطرحها دون اي دليل على صحتها ، ولكنها تخطر ببالي لاني سمعت شكاوي كثيرة مبالغ بها الى أقصى الحدود ، ومع ذلك فقد يكون فيها بعض الصحة . هنالك شيء اخر . يبدو لي ان هنالك في الحزب ثلاثة تيارات قيد التشكل ، احدهما يساري ، والاخر وسطي والثالث يميني . ولكنـــي أخشى احد هذه التيارات ، وهو التيار المعارض ايضا لتاسكا ـــ غراتسيادي . وهكذا لا يكون عندنا يمين واحد بل يمينان. ولا اريد لك ان تكون انت ـــ دون ان تريد ـــ الوسط الجامع الذي يتلقى النقف بالحصى من اليمين ومن اليسار . ولهذا، اذا بدأت الصراع ، عليك ان تحدد الابعاد جيدا ، وان تطلب من الجميع اقصى وضوح في الافكار والاهداف . واذا مـــا التأم عقد مؤتمر ما ، او كونفرنس ، وتحلقت حولك هـــذه الغربان المفترسة ، فاعرف كيف تستخدمهم ، ولكن تخلص منهم فورا بعد ذلك بالبندقية . لقد فكرت بهذه الامور عندما علمت انك لم توقع بيان اليسار (الذي لا أعرف مضمونه) ،

وفكرت بانك ستشكل (تيارا) وسطا للقضاء على عـواء اليمين واليسار ، جامعا حولك عددا جيدا من الرفاق الذين تعلموا من الماضي الايطالي ، والذين فهموا الثورة الروسية، ويعرفون كيف ينظم ، وكيف يجب ان يعمل ، حزب مهمته الوصول بالجماهير البروليتارية الى السلطة » .

أردتكم ان تقرأون هذه الفقرة من الرسالة لانها تبـدو معبرة جدا من وجهات نظر مختلفة ، وتدل على مدى الاهتمام الذي يتابع به المهاجرون (الذين قد يكونوا اكبر احتيـاط للقوة المنظمة بالنسبة لحزبنا) الاحداث ، مستفيدين من كل النتف التي تصلهم في تكوين احكامهم .

ان المسألة الاكثر خطورة بالنسبة لنا هي ـ بلا شك ـ مسألة تمايزنا عن اليمينيين . ولكنها لا تبدو لي مسألة لا يمكن التغلب عليها ، واعتقد انها مسألة اشخاص الى حـد كبير . ان التمايز عن اليساريين سيتم بالتأكيد ، اوتوماتيكيا، فقط نتيجة لموقفنا. وأعتقد انه من الضروري تحضير سلسلة من الاطروحات حول الاوضاع الايطالية ، تكون هي القاعدة الاساسية لنا . ويأتي نشر هذه الاطروحات مقرونا بتواقيع رفاق مجموعتنا فقط ، وهذا ما يطرح التباين ، اما العناصر الاخرى التي تريد الانتساب فتفعل ذلك فيما بعد ، وستكون مجبرة على القبول بهذا الموقف الذي يحمل معناه السياسي، وان كانت غير مضطرة للتمايز . وسيكون مـن الملائم ان تسبق اطروحات الاخرين . وسنوقع انا وبالمي ونيغـري وليونيتي وبعض جماعة الاكثرية المتفقين معنا (على سبيل المثال : ما هو رأي تريسو وجيناري ومونتانيانا ومارابيني؟) لست أعرف الموقف الذي سيتخذه أورياني ولكني أعتقد انه سينضم الينا . وسيكون من المفيد كسب جيناري ومارابيني نظرا لما لهما من سلطة رهيبة في أوساط شرائـح كثـيرة وواسعة بين الجماهير نظـرا لماضيهما وخبرتهما (للاسف كثيرا ما يخلط بين الخبرة والاقدمية) ، حتى واذا كان هذا

يبدو خطيرا . اضافة الى هذا يجب الحصول على تواقيع عمال من اكبر مراكز التجمعات والمدن . من يمكنه ان يوقع في تورينو ؟ يحتمل ان يفعل ذلك اوبرتي . الرفاق الذين كنت أعرفهم اكثر من غيرهم هاجروا جميعا ، وسيكون معنا من بينهم ، بالتأكيد ، برنولفو ، ويحتمل ان يكون هنالك ايضا رافاتسولي من ميلانو ، وكنت قد تحدثت الى كليهما مطولا في موسكو . من ميلانو لا أكاد أعرف أحدا . في جنوة ما هو رأي آريكو وفرانزوني، اللذين أعرفهما ، واللذين هما رفيقان ممتازان ؟ من روما ونابولي ومسينا وباري وفلورنس وبالرمو لا أكاد أعرف احدا ، ولا أعرف ما يجب ان نفعل . علينا ان نحاول ان يكون معنا رفاق من كل هذه المدن . واذا نجحنا بذلك نكون قد خطونا خطوة كبيرة الى الامام وتصبح تظاهرتنا تظاهرة من الدرجة الاولى . اعتقد اننا سنجد جرمانيتو معنا ايضا . وما هو رأي نيودي ؟ والمعلمة آريكو في اليساندريا ؟ وآزاريو ، وبيلوني (فيرجيليو) وبيتي (من بولونيا) وفيراري (من مودينا) ولونغو (من تورينو) وبيلوزو وبولاكو (من اودين) وروبرتو وسكافيدي (من جيرجينتي) وتاروتزي ؟ يجب عليكم انتم ان تقوموا بهذا العمل ، وعساكم ان تكلفوا بذلك رفيقا يتمتع بثقة جيدة ، فهو عمل في غاية الاهمية وكبير المسؤولية . واذا أنجز هذا العمل بشكل جيد فانه سيعطي ثمارا رائعة . وعندما تصبح الاطروحات جاهزة ، وتكون لدينا ضمانة الحصول على مجموعة جيدة من تواقيع الاكثرية التقليدية للحزب ، أعتقد انه سيكون علينا انتزاع موافقة بعض رفاق اليمين ، مثل باستوري ومرسو ، ولكن بعد ان يكون العمل قد أنجز كليا وتكون النواة قد تشكلت فعلا . وسيكون علينا ان نحصل ايضا على تواقيع رفاق مهاجرين ، وخاصة من فرنسا ، وأعتقد ــ كما قلت ــ اننا سنحصل على توقيعي برنولفو ورافاتسولي . سأكتب الى برنولفو ليعلمني (برأيه) ويرسل

لي اسماء موثوقة ، مثل بونيتو وبعض الاخرين . وسيكون معنا بين المهاجرين في روسيا بيانكو (صاحب الفقرة التي استشهدت بها اعلاه) ويحتمل ان يكون معنا كذلك بارودي وبعض الاخرين . ولكن هنالك بين مهاجري روسيا تشويش كثير اعتقد انه ازداد بعد مغادرتي . فيما يتعلق بمحتوى الاطروحات اريد ان أعرف رأيكم ، لان انقطاعي عن الاتصال المباشر بالاحداث الايطالية ، التي أعرفها فقط من خلال قراءة الصحف اليومية الاكثر اهمية ، يجعلني أشك دوما بعدم صحة استنتاجاتي . وسأقول لكم باختصار ما أعتقده .

علينا عدم الاصرار كثيرا على الماضي ، وخاصة فيما يتعلق بحزبنا . سنوف نشير الى التشوش الهائل الذي ظهر في ايطاليا بسبب ظاهرة الفاشية ، والناجم عن غياب وحدة الامة ، وعن تحلل الدولة بدخول جماهير شعبية هائلة اطار الحياة التاريخية دون ان تدري ضد من عليها ان تناضل ، وعن ضعف نمو الرأسمالية التي ، في الواقع ، لم تخضع اقتصاد البلاد لسيطرتها اذ ما زال في البلاد حوالي مليون حرفي في حين ان أغلبية الزراعة ما زالت في مرحلة ما قبل الرأسمالية . من ناحية اخرى ، فان مسألة العلاقات بين المدينة والريف تطرح في ايطاليا ، بسبب المسألة الجنوبية ، على اساس اقليمي بحت ، مؤدية الى ولادة أحزاب انفصالية ، او احزاب من نوع فريد مثل حزب الديموقراطية الاجتماعية . هذا التشوش والفوضى سنجعلهما يخدمانا في تفسير التردد في معظم تصرفات الحزب وفي تفسير بعض الفئوية التي أدت الى شلله . ولكن الاوضاع اتضحت الان، وهذا ما لا شك فيه . فقد حددت الفاشية سماتها . ولعبت الانتخابات دورها في دفع اوضاع الاحزاب باتجاه الوضوح. دراسة الاحزاب البورجوازية الصغيرة : الحزب الشعبي والحزب الجمهوري في ايطاليا الشمالية والوسطى كممثلين للفلاحين والحرفيين ، وحزب الديموقراطية الاجتماعية في

الجنوب بملحقاته النيتية والآمندولية (٢٦) .. الخ . مغزى الدخول في اللائحة الانتخابية الكبرى لاورلاندو ودي نيكولا ، القديسان الجنوبيان اللذان يمثلان محاولة الرأسمالية البورجوازية للعثور على نوع من التوحيد مع الفاشية اومنع ان تبدو الوحدة هشة ، ولا للحظة واحدة ، التفريق بين الفاشية والقوى البورجوازية التقليدية التي لا تفسح المجال « لاحتلالها » ، مثل صحيفة « ال كورييري » وصحيفة « لا ستامبا » والمصارف وهيئة الاركان والاتحاد العام للصناعة . هذه القوى التي دعمت الفاشية عام ١٩٢١ — ١٩٢٢ لتجنب انهيار الدولة ، اي القوى التي أوجدت مع الفاشية تلك الكتلة الشعبية القوية التي كانت قد فقدت عام ١٩١٩ — ١٩٢٠ ، وذلك بدخول الجماهير الاكثر بدائية وسلبية الى مجال الحياة التاريخية ، هذه القوى تتأثر اليوم بالاوضاع الدولية ، انها هي المظهر الايطالي للاوضاع الدولية المتجهة يسارا لاستعادة البورجوازية سيطرتها على نفسها. وهنا يبرز تياران اثنان ، احدهما تيار صحيفة « لا ستامبا » الذي يطرح بشكل مكشوف مسألة التعاون مع الاشتراكيين والذي لا يبتعد كثيرا ، في ايطاليا ، عن تجربة ماكدونالد ، بالاشكال والطرق التي تسمح بها الاوضاع الايطالية، والاخر هو تيار صحيفة « ال كورييري » الاكثر تمسكا بالمحافظة البورجوازية والذي هو على استعداد لاقامة التحالف مع الاشتراكيين ولكن فقط بعد تحرير هؤلاء من تحت المشانق الكاودية (٢٧) . وبكلمة مختصرة فان « لا ستامبا » تتجه

---

(٢٦) نسبة الى تيارين يتزعمهما نيتي وآمندولا .

(٢٧) هو اسم ممر بالقرب من Caudium حيث هزمت كتيبتان من جيوش امبراطورية روما ، واجبر افراد هاتين الكتيبتين على المرور تحت المشانق المنصوبة في الممر اهانة لهم . وما زال تعبير « المشانق الكاودية » يستخدم في اللغة الايطالية تعبيراً عن اخضاع الخصم واهانته دون التعرض له جسديا (ملاحظة المعرب) .

الى المحافظة على الهيمنة الشمالية البييمونتية على ايطاليا، ولا تعارض بادخال الارستقراطية العمالية في النظام المهيمن لتحقيق هذا الغرض . اما « ال كورييري » فلها مفهوم للاوضاع اكثر ايطالية واكثر وحدوية (تجاري اكثر منه صناعي) ، وكما دعمت سالاندرا ونيتي ، اول رئيسين جنوبيين للحكومة (والصنقليون هم جنوبيون بشكل تجاوزي فقط) ، فانها قد تدعم آمندولا ، اي انها قد تدعم حكومة تشارك فيها البورجوازية الصغيرة الجنوبية وليس الارستقراطية العمالية الشمالية، الى جانب القوى المسيطرة فعليا . كيف ستتطور الاوضاع ؟ ان مجرد وجود الفاشية كمنظمة كبيرة مسلحة يحدد اتجاه هذا التطور . فهل تصل القوى التي ذكرتها الى الانقلاب ؟ لا اعتقد . فليس لهذه القوى ثقة في أن الاصلاحيين ، في حالة الانقلاب ، سيكونوا قادرين على المشاركة في الحكومة ، وفي كبح جماح حركة الجماهير التي ستنطلق حتما . ولم يجد الاصلاحيون لديهم الجرأة للانضمام الى هذه القوى عندما ارادت التحرك في شهري ايلول ــ تشرين الاول (سبتمبر ــ اكتوبر) ١٩٢٢، وعندما عهدت الى الجنرال بادوليو بمهمة فتح النار ضد الفاشية . ولا شك أن الاصلاحيين سيترددون اكثر فاكثر اليوم بعد ان أصبح الفاشيون اقوياء عسكريا وبعد انصارت الحكومة في يدهم . وقد يكون موديلياني ، من الناحية العملية ، وريغولا ، من الناحية النظرية ، هما الاصلاحيان الوحيدان المؤيدان لمثل ذلك الوضع .

هذا الترتيب للعلاقات بين القوى السياسية في بلدنا يعطينا مؤشر الاتجاه الذي علينا اتباعه :

١ ــ دعاية دقيقة ودؤوبة لشعار الحكومة العمالية والفلاحية تنبع من مجموع الاوضاع الايطالية ولا تبقى محصورة في الاطار النظري .

٢ ــ نضال ضد الارستقراطية العمالية ، اي ضد

الاصلاحية ، ومن اجل التحالف بين الشرائح الافقر للطبقة العمالية الشمالية والجماهير الفلاحية في الجنوب والجزر — ايجاد لجنة تنظيمية للجنوب تقود النضال بأقصى حدة — دراسة الامكانات العسكرية لانتفاضة ملحة في الجنوب والجزر — دراسة امكانات تقديم بعض التنازلات السياسية لهؤلاء السكان (في الجنوب) عن طريق تأسيس جمهورية اتحادية للعمال والفلاحين بدلا من الحكومة العمالية والفلاحية .

٣ — اعادة تنظيم الحزب : الاشباع بالتثقيف السياسي لتجنب المناقشات والخلافات الخطيرة في لحظات بلوغ نشاطاتنا مرحلة الذروة . توسيع الكادر القيادي للحزب : اعداد شريحة حزبية تقوم بجرد العناصر المنتسبة وتحضير ملف لكل منهم ، وتسأله عن تاريخ حياته السياسي ؛ وتتابع الاتصال بالعناصر الافضل ، وتشجعهم ، وتشرف عليهم ، وتقودهم باستمرار عبر التعاميم والاطروحات المصغرة . وتتكون هذه الشريحة عبر تشكيل لجنة للتنظيم والدعاية .

٤ — اهتمام اكبر بالهجرة . ايجاد مدارس للحزب في كل مركز مهم في الخارج ، وادارة مركزية لهذه المدارس . ضم ثلاثة او اربعة مهاجرين الى اللجنة المركزية الجديدة بصفة اعضاء اساسيين واحتياطيين يعملون في الخارج بفعالية ويحافظون على هيبة الحزب .

في العلاقات الاممية علينا الالتزام بالوضوح ما امكننا. وعلينا تأكيد اخلاصنا للجنة التنفيذية (للاممية) ، وشرح اعتبارنا القرارات الصادرة منذ المؤتمر الثالث . وما بعد ، بالنسبة لايطاليا ايضا ، هي الوحيدة التي تسمح بقيام صلة حقيقية مع الجماهير في مرحلة الهجوم الرأسمالي .

فيما يتعلق بالحزب الاشتراكي الايطالي علينا التأكيد بان مهمتنا نحن حل المسألة ، التي لا بد ستبقى قائمة حتى يتخلص الحزب الاشتراكي من الوحدويين . وسنحل هذه المسألة بكافة الوسائل بلا استثناء . حول هذا الموضوع

اقول لكم رأيي بصراحة مطلقة : ان ضعفنا التنظيمي وضآلة اتصالنا بجماهير حزبنا هما الامران اللذان منعانا من قبول قرارات الكومنترن . كل النظريات والمفاهيم التي اخترعناها لم تكن الا نتاجا لضعفنا . أما اذا قوي حزبنا ، كما يريد ان يفعل ، وكما سيحصل اذا عرفنا توجيهه في الاتجاه الصحيح ، واذا نجحنا في ايجاد نواة مركزية واسعة وجيدة التثقيف السياسي ، فما هي الاخطار التي يمكن ان يؤدي اليها تكتيك الكومنترن ؟ ليس هنالك من خطر سوى ان تكون هنالك . خارج الحزب ، مجموعات اكثر ثورية من نواتنا التأسيسية ، فاذا دخلت هذه المجموعات في تنظيمنا سيطرت على القيادة . وهذا الخطر هو الخطر بعينه من وجهة النظر الثورية ... اللهم الا اذا وقعنا بطفولية الاعتقاد بان الضمانة الوحيدة للثورة هي في ان تكون على رأس الحزب البروليتاري شخصيات معينة تدعى فلانا وعلانا بدلا من شخصيات اخرى .

كتبت لكم بشكل مشوش بعض الشيء أيضا لاني لا أعرف ما هي القرارات التي اتخذت حول طريقة تنظيم النقاش . هل ستكون هنالك مقالات شخصية فقط ، أم سيسمح بطرح برامج لجماعات او شلل ؟ ان للامر اهميته ، طبعا ، ولكن الى درجة محدودة . من الواضح ، على العموم ، أنه يجب ، عند نقطة معينة ، تقديم برامج للمجموعات ، سواء أمام المؤتمر أو الكونفرنس ، أم أمام اللجنة التنفيذية للكومنترن . لهذا فان علينا أن نباشر فورا بتحضير اطروحاتنا وجمع التواقيع عليها ، كما قلت ، بشكل خاص ومتحفظ . وستخدمنا النقاط التي يجري تحديدها بمثابة توجيهات لصياغة البنود ، اذا كانت المناقشة شخصية بشكل اجباري .

أرجو بالمي أن يقوم بوضع اطار عام تحليلي للاطروحات ، وأن يرسله الي والى نيغري (والى اخرين اذا

ازم) وذلك لمراجعته واضافة ما يلزم ، خلال اقصر وقت ممكن .

في رأيي ، يجب أن يكون ترتيب الاطروحات كما يلي :

١) اشارة مختصرة للاوضاع العالمية التي تتميز بانبعاث الحركة البروليتارية لسببين : آ) لقد استعادت البورجوازية جزئيا سيطرتها على القوى المنتجة ، ب) واتجهت الاشتراكية الديمقراطية أكثر نحو اليمين مما جعل البورجوازية أميل الى تمثيلها جزئيا . ولذلك تعود البورجوازية الى الليبرالية ، والسبب نفسه يكمن خلف تقدم القوى الثورية ، ولكن دون أن تكون معها أكثرية الشغيلة . ولقد اثبت تكتيك الكومنترن، من خلال تجربته بالوقائع، كونه مؤهلا للتعبير عن هذه القوى الثورية وقيادتها .

٢) قسما مطولا جدا عن الاوضاع الايطالية التي يؤدي تحليلها الى بروز شعار حكومة العمال والفلاحين .

٣) المسائل التنظيمية ، وتعتمد على الاوضاع في كافة الميادين ، مثل الحزب والنقابات .. الخ ، العلاقات الاممية، العلاقات مع الاحزاب الاخرى .

ويجب الا تكون الاطروحات بمجموعها مفرقة في الاطالة ، كما يجب الا تتضمن معالجات نظرية الا بالاشارة، اذ يجب ان تكون ذات طابع سياسي وآني . واذا ما برزت بعض المسائل النظرية فانها ستعالج على حدة ، في مقالات للمجلة .

أعتقد أني استكملت كل شيء ، رغم كون العرض يفتقر الى الترتيب . هنالك أشياء كثيرة لم أشر اليها لانها تبدو لي بديهية .

أعانقكم أخويا

ماشي

ما زلت أريد قول شيء ما حول المسألة التي أثارهـا بالمي والتي تتعلق بتصرفي السابق (٢٨) . سأكتفي بالقول أني أنا أيضا عرفت اثناء مؤتمر روما المسائل الاكثر خطورة في الحزب ، بينما كنت قد عرفت المسائل الاخرى قبل ذلك بشكل يؤدي الى استحالة اعطاء أي حكم . وأيضا : في عام ١٩٢١ ، وقبل صدور نشرة « الشيوعي » ، كان كياريني(٢٩) قد دعاني للقائه في روما دون ان يفصح لي بوضوح عـن السبب ، وهناك دعاني الى دخول اللجنـة التنفيذيـة حتى يوازن وجودي فيها نفوذ آماديو ولكي آخذ مكانه . وأجبته بأني لست على استعداد لوضع نفسي في خدمة مؤامرات من هذا النوع ، وأن عليه ، اذا أراد قيـادة مختلفـة ، أن يطرح المسألة السياسية . وكان كياريني ، الذي لم يتخذ لنفسه موقفا ابدا، يتصرف في روما كواحد من اتباع بورديغا، كان يرسل الى موسكو تقارير ضد الحزب . وهو لم يشرح لي بصورة أوسع فيم يتعلق الموضوع . كان قد ذكر لي فقط أن ضعف أورباني والغياب الكامل لوليجينو وبرونو (٣٠) عن اعمال اللجنة التنفيذية أديا الى انتصار اتجاه آماديو ، وهو الامر المتعارض مع روحية قرارات الكومنترن الذي كان يريد اعطاء مجموعة تورينو الهيمنـة على الحـزب الشيوعي الايطالي . في المؤتمر الرابع كنت قد عدت منذ أيام قليلـة (قليلة بالعدد الفعلي وليس من قبيل الاستعارة اللفظية) بعد أن قضيت في المصـح حوالى ستـة أشهر لم تفدني الا

---

(٢٨) في رسالة سابقة كان بالمي (بالميرو توليياتي) قد انتقد فرامشي لانه انتظر طويلا قبل أن يتحرك ضد بورديغا .

(٢٩) مندوب الاممية .

(٣٠) أورباني هو تيراشيني ، ولويجي ريبوزي ، وبرونو هو برونو فورتيكياري .

قليلا ، بل لم تفدني في أكثر من منع ازدياد خطورة المرض ، ومنع اصابتي بشلل في ساقي كان سيقعدني بضع سنوات في السرير . من الناحية العامة كنت ما زلت في حالة انهاك واستحالة العمل بسبب عوارض فقدان الذاكرة والارق المستمر . البطريق (٣١) ، بالدماثة الدبلوماسية التي تميزه، انقض علي عارضا مجددا أن أصبح رئيسا للحزب ، مع الاطاحة بآماديو ، الذي سيطرد حتى من الكومنترن اذا استمر في خطه . أجبت بأني سأفعل المستحيل لمساعدة اللجنة التنفيذية للاممية في حل المسألة الايطالية ، ولكني لا اعتقد أنه يمكن استبدال آماديو (وبشخصي خاصة) دون عمل مسبق لتوجيه الحزب . اذ أن استبدال آماديو ، في الاوضاع الايطالية ، كان أيضا يحتاج الى عدة أشخاص للحلول محله ، لان آماديو ، في الواقع ، يساوي ثلاثة أشخاص على الاقل من ناحية القدرة العامة على العمل ؛ هذا اذا كان يمكن بهذا الشكل تعويض رجل له مثل قيمته . وكنت أنا أشبه بمن يسير على فحم ملتهب ، ولم يكن هذا العمل يتلاءم مع حالتي من الضعف (٣٢) المزمن . ولاحظت كيف أن أكثرية أعضاء الوفد لم تكن لديهم اتجاهات خاصة بهم . وكانت تكفي الاشارة ، مع كل من أعضاء الوفد ، ولو من بعيد ، الى الاوضاع لكي يكشف نفسه ويظهر كونه ، كامكانية ، واحدا من الاقلية . وكان هذا شيء مثير للشفقة ، ومثير للاشمئزاز سياسيا . ولو لم يكن « البطريق » غبيا ، لو كانت عنده ذرة واحدة من الذكاء السياسي ، لكان الحزب عبر عن نفسه بصورة مخجلة جدا ، لان الاكثرية ، بوفدها

---

(٣١) طائر البطريق Penguin وهو لقب لراكوشي ، القائد الشهير للحزب المجري ، والذي كان يومها عضوا في اللجنة التنفيذية للاممية .

(٣٢) اشارة الى حالته الصحية ومرضه العضال .

الى المؤتمر على الاقل ، كانت ستبدو شبحا لا وجود له . ومجرد أن تكلمنا أنا ونيفري مع الرفاق عن هـذه المسائل جعل آماديو يمتليء بالشكوك والخوف ، واذا لم أكن مخطئا، ولا بد أن نيفري يتذكر ، فان هذا ما جعله يوجه الينا كلامـا في غاية القسوة . ماذا كان سيحدث لو لم أتلوى(٣٣) في تصرفي ، كما اضطررت أن افعل للاسف ؟ كانت أكثرية الوفد ستقف الى جانبي ، عدا عناصر قليلة مثل آزاريو ، وكنـا سنصل بعد ذلك بفترة الى أزمة الحزب دون الاتفاق معكم . كان أورباني وبرونو ولويجينو وروجيرو وآماديو سيستقيلون، وكانت اللجنة المركزية التي ما اعتادت العمـل ستذوب ، كانت الاقلية ، غير المحضرة آنذاك كما اصبحت فيما بعد ، ستأخذ في يدها ... قبضة من الذباب . هـل كنت انـا متشائما أكثر من اللزوم ؟ هذا أمر محتمل ، نظرا للشروط التي كنت أجد نفسي فيها ، ولكن الامر لا يبدو لي كذلك . كان من السهل توقع أن الفاشية ، الواصلة الى السلطة بطريقة لم يفكر بها أحد ، ولان الاحداث لاحقتها ولم تترك لها مخرجا آخر فأجبرتها ، والممزقة بين النزعة الموسـولينوية التي ترى كل الاخطار في حرب أهلية مندلعة لتحقيق رغبة السلطة لدى الاتباع الذين كانوا سيريدون وضع أيديهم على كل شيء، ونزعة جمهرة الاتباع التي تريد ثورة «رومانطيقية» بفرق للاعدام ومحاكمات سريعة ... الخ ، وباختصار ثورة كما في فصل من فصول ميشيليه ... كان من السهل توقع أن هذه الفاشية كانت ستجد بعض التوازن في الالقاء بنفسها علينا ، مانعة ايانا من عمل أي شيء ، وهو ما كان سيعيد السلطة الى أيدي هيئة الاركان . ولم أكن كذلك متشائما فيما

---

(٣٣) Anguilleggiare من يتلوى في مساره كثعبان الماء ، او في كلامه للتهرب من موقف حاسم يتخذه فيسيء (ملاحظة المعرب) .

يخص التوقعات حول مواقف أعضاء التنفيذية آنذاك . بل أقول أني ما كنت لاصدق ما رأيته اليوم : فقد كان موقف لويجينو فضائحيا ، ورغم أنه كانت لدى برونو أسباب كثيرة لنشاطه فقد أظهر غيابا مؤسفا للمشاعر السياسية . ان تكتيك الانسحاب عندما لا ينجح المرء في فرض آرائه ، في حزب كحزبنا لا يستطيع تجاوز الاوضاع المختلفة الا بمعجزات ديالكتيكية سياسية ، هو تكتيك انتحاري لم أكن قد توقعته رغم كل تشاؤمي. في الواقع كانت قد تشكلت هنالك عقدة لم يكن بالاستطاعة حلها الا بالارادة وبقدرة على العمل كتلك التي يمتلكها آماديو . انا لم تكن عندي لا القدرة ولا الارادة اللازمتين ، ولم أكن أستطيع أن آخذ على عاتقي حمل عبء تقرير وتوليد الوضع الجديد في الشروط التي كنت أجد نفسي فيها . أما اليوم ، وبعد أن استلمت رسالتكم ، فاني أفكر بشكل مختلف . من الممكن تشكيل مجموعة قادرة على العمل وذات مبادرات قوية . وأنا شخصيا استطيع ان اقدم لهذه المجموعة كل المساهمة والتعاون اللذين تسمح بهما قواي ، وحسب ما لهما من قيمة . لن يكون باستطاعتي أن افعل كل ما أريد لاني ما زلت أمر بأيام من الضعف المريع تجعلني اخشى الانتكاس الى حالة الغيبوبة والذهول التي وجدت نفسي فيها خلال السنوات الماضية ، ولكني سأبذل جهدي على أي حال . اني أضع ثقتي بكم من أجل حركتنا ، وأعتقد اننا بالعمل المشترك سننجح في ان نجد الى جانبنا اكثرية الحزب وفي خلق جهاز صحيح ، صلب ، قادر على التطوير والنضال ، مثل الجهاز الذي تستحقه الطبقة العمالية الايطالية بعد كل هذا الكثير من التضحيات والالام .

ماشي

من غرامشي الى جوليا شاخت : صعوبات وشكوك

(فيينا) ، ٦ آذار (مارس) ١٩٢٤

عزيزتي ،

اود تقبيلك في عينيك لاجففالدموع التي اكاد اراها، والتي أكاد أشعر بها على شفتي ، كما في المرات الاخرى التي جعلتك فيها مساوئي تبكين . أننا نسيء الى انفسنا ، ويعذب أحدنا الاخر ، لاننا بعيدين واحدنا عن الاخر ، وما عاد باستطاعتنا العيش هكذا . ولكنك تشعرين بيأس كبير. لماذا ؟ لقد وعدتني مرات كثيرة أن ستكونين قوية قوية ، وانا صدقتك ، وما زلت أصدق انك قوية ، أقوى مما تظنين ، وكثيرا ما تكونين أقوى مني، وكل ما هنالك أني اعتدت أنا حياة العزلة التي عشتها منذ طفولتي، واعتدت اخفاء مشاعري خلف قناع من الصلابة أو خلف ابتسامة ساخرة . وهذا هو كل الفارق بيننا . ولقد أزعجني هذا لفترة طويلة . لفترة طويلة كانت علاقاتي مع الاخرين عبارة عن كتلة من التعقيدات ، أشبه بضرب أو قسمة على الرقم سبعة لكل شعور حقيقي، خشية ان يعرف الاخرون شعوري الحقيقي . ثم ، ما الذي منعني من ان اصبح خرقة منشاة؟ انها غريزة العصيان التي اتجهت ضد الاغنياء عندما كنت ولدا صغيرا ، لاني لم أكن أستطيع متابعة الدراسة انا الذي حصلت على علامات تامة في كل مواد الدراسة الابتدائية ، بينما كان ابن اللحام ، وابن الصيدلي ، وابن تاجر الاقمشة يستطيعون متابعة دراستهم . وتوسع هذا الشعور الداخلي ليشمل كل الاغنياء الذين يضطهدون فلاحي ساردينيا ، وكنت آنذاك أفكر بضرورة النضال في سبيل الاستقلال الوطني للجزيرة . كم من مرة رددت فيها . كلمة « الى البحر يا

ابناء القارة ! »(٣٤) . ثم عرفت الطبقة العمالية لمدينة صناعية ، وفهمت ما كانت تعنيه حقيقة اشياء ماركس التي كنت قد قرأتها قبلا من قبيل الفضول الفكري . وهكذا أغرمت بالحياة وبالنضال من أجل الطبقة العمالية . وكم من مرة سألت نفسي فيها اذا كان من الممكن لانسان ان يربط نفسه بجمهور معين اذا كان هذا الانسان ما استطاع أبدا أن يحب احدا ، ولا حتى من أقربائه . واذا كان يمكن للمرء ان يحب جماعة اذا كان ما أحب بعمق أيا من المخلوقات الانسانية الفردية ! ألم يكن لهذا أن ينعكس على حياتي كمناضل ، ألم يكن له ان يصيب بالعقم نوعيتي الثورية ، وان ينزلها الى مرتبة الحالة الفكرية ومرتبة الحساب الرياضي فحسب ؟ لقد فكرت كثيرا بهذه الامور ، وعدت الى التفكير بها في هذه الايام ، لاني فكرت بك كثيرا ، وبأنك دخلت حياتي فمنحتني الحب ، ومنحتني ما كان ينقصني دوما فيجعلني سيء الخلق ومشتتا . أحبك كثيرا ، يولكا ، أحبك الى درجة لا الاحظ فيها اساءتي اليك في بعض الاحيان ، لاني أنا بلا شعور .

كتبت اليك ، وطلبت منك المجيء لاني وجدت في رسائلك اشارة الى رغبتك في المجيء . لقد فكرت أنا أيضا بأهلك ، ولكن ، الا يمكنك المجيء لبضعة شهور ؟ هل تعتقدين انه سيستحيل عليك ، أو سيصعب عليك ، ترك العائلة حتى لمدة محدودة كم هو رائع ان نأخذ فرصة جديدة للحياة معا ، بسعادة ، كل يوم ، وكل ساعة ، وكل دقيقة ، وأن يحب أحدنا الاخر ، وأن يكون واحدنا قريب من الاخر . لكأني أشعر بوجنتك تلتصق بوجنتي ، وبيدي تداعب رأسك لتقول

---

(٣٤) أهل الجزر الايطالية كانوا يكرهون ابناء شبه الجزيرة الايطالية المرتبطة بالقارة الاوروبية منذ الايام الاولى للوحدة القومية ، وما زالوا . وهم يعتبرونهم مسؤولين عن حالة التردي الاقتصادي والاجتماعي التي يعيشونها ، حتى اصبح من الشائع اطلاق لقب « ابن القارة » على كل ثري حتى لو كان من ابناء الجزر نفسها (ملاحظة المعرب) .

لك أني أحبك حتى لو أمسك الفم عن الكلام .

تصاعد الدم الى رأسي عندما قرأت رسالتك . وأنت تعرفين السبب . ولكن اشارتك مموهة وأنا أشعر بالذوبان، لاني أريد أن أضحك وأن أشعر أنا أيضا بحياة جديدة توحد حياتينا اكثر مما هما فعلا موحدتين ، يا حبيبتي الغاليـــة جـــدا جـــدا .

أستلم في هذه الايام رســـائل كثيرة مـــن الرفـــاق الايطاليين . انهم يبحثون لدي عن الايمان والحماسة والارادة والقوة . يعتقدون أني نبع لا ينضب ، وأني في وضع لا يمكن ان تنقصني فيه هذه المؤهلات ، بل وبكميات أوزع منها على الاخرين . وهـــم في ايطاليـــا ، في قلب الصراع الملتهب ، ضائعون ونفسياتهم في الحضيض . أشعر بالقلق العميق في بعض الاحيان . استلمت رسالة من رفيقة روسية تقيم في روما ، وكانت رفيقة لروزا لكسمبورغ ولليبكنيخت ، ونجت آنئذ بطريق الصدفة ، أو بالاحرى بجهد ارادي ضخم جدا أمام المجزرة . هي أيضا تكتب لي وقد خذلتها الشجاعة، ويغمرها شعور بخيبة الامل . وهي ليست ايطاليـــة ، ولا يمكن أن يكون عندها أي تبرير لهذا الشعور . انهم يطلبون الكثير مني ، وينتظرون الحصول على الكثير ، وهذا ما يؤثر بي بشكل مدمر . لقد ساءت أوضاع الحزب كثيرا خـــلال الاشهر الاخيرة . لقد انسحب بورديغا للاعتزال في الافينتينو، وتصرفه هذا ادى الى تعطيل كل الية الحياة العامة للرفاق. لقد نجحت بالكاد في انقاذ البعض من هذه الحالة ، ولكن ، هل يكفي هذا؟ما زلت اذكر مشهدا رأيته ذات مرة في تورينو، خلال احتلال المصانع . كانت اللجنـــة العسكرية تنـــاقش الحاجة التي قد تطرأ في اليوم التالي لانطلاق العمال في هجمة الى خارج المصانع . كان كل اعضاء اللجنة أشبه بالسكارى، وكادوا يتماسكون بالايدي فيما بينهـــم . كـــانت المسؤولية

تسحقهم وتطحنهم فتاتا . أحد هؤلاء الاعضاء في اللجنة ، وكان قد حارب مدة خمس سنوات كطيار وواجه الموت مئات المرات ، قفز الى قدميه ، فاهتز وكاد يقع أرضا . بضغط كبير على الاعصاب استطعت ان اتدخل واجعلهم يبتسمون، بنكتة مرحة ، ثم أعدتهم الى الحالة الطبيعية والى العمل المثمر . ولكني ما عدت أستطيع اليوم أن أفعل الشيء نفسه. فيحزبنا كلهم من الشباب ، وبدلا من أن تؤدي ردات الفعل الى تلاحمهم فقد أكلت اعصابهم وارادتهم . انا نفسي ،لماذا بقيت مريضا مدة طويلة ، وما زال المرض يؤثر بي ؟ كنت أشعر دوما أن حياتي معلقة بخيط رفيع ، وأشعر أن هذا الخيط انقطع فجأة ، بعد وصولي الى موسكو ، عندما صرت في مكان امين استطيع البقاء فيه هادئا . اني بحاجة اليوم الى أن أكون في غاية القوة . ولكن كيف أستطيع ذلك اذا كنت بعيدة عني وأنت الجزء الاكبر مني ؟ تعالي ، يولكا ، ولو لفترة زمنية قصيرة ، حتى أشعر بك قريبة مني ، وحتى أتمكن من تحقيق قفزة في العمل أعلى بكثير مما حققت حتى الان (...) .

انطونيو

اريد منك صورة جديدة لك في هذه الايام . أخشى ان أنساك ، او ان أحتفظ فقط بالصورة التي ارتسمت لك في ذهني ذلك المساء الاخير قبل مغادرتي ، عندما كنت انا في غاية العصبية ، وكنت أميل للمشاجرة لاني ما كنت أعرف ما يجب أن أقول لك ، كنت قد وعدتني بصورة اخرى . ارسليها ، ولتكن اعلاما بقدومك انت ايضا .

هل صححت ملاحظات ريازانوف ؟ هل تستطيعين ارسالها ؟ وهل وجدت كتيب كيرجنزيف حول التنظيم ؟ هل تستطيعين ان تلخصي لي بعض الصفحات الاجمل التي كتبت بمناسبة وفاة لينين ؟ أترين اني اعتقد فعلا بانك قوية فأكلفك بالعمل من اجلي ؟

من غرامشي الى توليياتي وسكوتشيمارو وليونيتي : المستقبل السياسي

٢١ اذار (مارس) ١٩٢٤

ايها الاعزاء ،

لم استلم بعد جوابكم على رسالتي الاخيرة ، والذي يعطيني فكرة ، ولو اجمالية ، عن الخطوات العملية التي قررتم البدء بها . ولذلك ، فاني سأهتم في رسالتي هذه ايضا بالاشياء العامة فقط التي ما زلت كذلك لا اعلم اذا كنتم قد ناقشتوها وكيف .

استلمت ، بين اشياء اخرى ، رسالتين فاجأتاني ، ويبدو لي انهما اشارة الى وضع عام علينا أن نأخذه بعين الاعتبار وبجدية مطلقة . كتب لي سرافا (٣٥) ، وهناك جزء من رسالته منشور مع التعليق عليه في العدد الثالث من « النظام الجديد » ، ويمكنكم قراءته ، وكذلك فقد كتب لي زينو زيني (٣٦) . كلاهما يقول انه ما زال معنا ، وكلاهما في غاية التشاؤم . سرافا يميل الى موقع يبدو لي هو موقع المتطرفين بالتحديد ، اما زيني فيبقى ، من ناحية المبدأ ، مع الشيوعيين ، ولكنه يقول انه أصبح مسنا ومتعبا ، وانه ما عادت له ثقة بشيء ولا باحد ، وانه صار يكرس كل وقته ، بالاضافة الى مشاغله المهنية ، لترتيب أفكاره في كتاب يبدو من الاشارات الواردة في رسالته انه سيكون انعكاسا بحتا لهذه الحالة من السلبية السياسية . سرافا

---

(٣٥) Sraffa اقتصادي شهير ، وهو اليوم استاذ للاقتصاد السياسي في جامعة كامبريدج ، وكان احد قياديي مجموعة الطلاب الشيوعيين التي نشأت في تورينو عام ١٩٢٠ ، وبقي صديقا لغرامشي .

(٣٦) استاذ فلسفة ، كان يكتب باستمرار في صحيفة «النظام الجديد».

سوف يتعاون مع صحيفة « راسينيا » واعتقد ايضا ، مما كتب لي ، ان تعاونه سيكون مثيرا للاهتمام . بالنسبة لي لا تبدو مشكلته صعبة ، فقد بقي معزولا بعد اتصالاته معنا في تورينو ، ولم يعمل ابدا في اوساط العمال، ولكن ما من شك في انه ما زال ماركسيا ، والامر لا يحتاج الى اكثر من اعادة الصلة به لتصحيح مساره وجعله عنصرا نشيطا في حزبنا ، وهو الذي يستطيع ان يقدم للحزب خدمات كثيرة مفيدة ، الان وفي المستقبل .

في رسالة سرافا جزء لن ينشر في الصحيفة ، ولكنه غاية في الاهمية . انه يحدثني — في هذا الجزء — عن المسألة النقابية ، ويسألني كيف ان حزبنا لم يفكر في تأسيس نقابات على نمط الـ i.w.w. الاميركية (٣٧) ، الذي هو النمط الملائم لحالات العمل السري والقمع العنفي من قبل الدولة ومن قبل المنظمات الرأسمالية الخاصة . وقد وعدني بان

•

---

(٣٧) يقول توليياتي في مؤلفه المذكور في الهوامش السابقة : « الرسالة بكاملها تدل على ان تفكير غرامشي كان يتحرك على مستوى اعلى بكثير من المستوى الذي كان يطمح اليه ، حتى ذلك الحين ، الرفاق الذين كان يتوجه اليهم برسائله . ان خطة العمل في المصانع كانت ترتبط بشكل مباشر بالتجربة التورينية لعامي ١٩١٩ — ١٩٢٠ . ومن هنا كانت معارضة تاسكا . خلال الكونفرنس الحزبي الذي عقد في ايار (مايو) اقترحت هذه الخطة كجزء من برنامج المجموعة القيادية الجديدة . ولكن الشروط الموضوعية لم تسمح بتنفيذ دقيق لاقتراح غرامشي ، مع ان نشاط الحزب بقي يسير في هذا الاتجاه . على العموم ، فان الاهم والاحدث كانت هي الاعتبارات المستوحاة من دراسة الاوضاع السياسية ، وبشكل اخص **المستوحاة من خطاب لجوفاني امندولا اثناء الانتخابات في نابولي ، اشار فيه الى المشكلة الدستورية . ولكن يجب القول ان الحزب بكامله ، ومركز الحزب كذلك ، اضاع وقتا كبيرا في الدخول الى معاني المنظورات السياسية التي كان فكر غرامشي يعمل حولها حينذاك ، واضاع وقتا مماثلا في تشرب هذه الافكار وامتلاكها واستخراج موجهات العمل منها » .**

يرسل لي مقالا حول البيروقراطية النقابية سيعرض فيه ايضا ، على ما أظن ، هذا الموضوع الذي أعتقد انه يستحق اهتمامنا الكلي . من المؤكد اننا لم نطرح على انفسنا بعد عمليا مشكلة ما اذا كان من الممكن أيجاد منظمة نقابية سرية ممركزة تعمل لايجاد اوضاع جديدة للطبقة العمالية . لقد حافظت مجموعاتنا ولجنتنا النقابية على الطابع الحزبي، وعلى طابع الشق الحزبي داخل الاتحاد العام للعمل ، ولا بد ان هذ ا امر ضروري ولكن لا يحل كل المسألة . ولكن المسألة لا يمكن ، كذلك ، ان تحل بأخذ نمط الـ i.w.w. التي كانت ، عمليا ، منظمة العمال المدعوين بالعمال « الرحالين » ، ومع ذلك فان تنظيم الـ i. w. w يمكنه ان يكون دليلا يحدد طبيعة المسألة . بعد تنفيذية حزيران (يونيو) كنت قد طرحت ، وبالاتفاق مع نيغري واروباني (والمعارضة الكلية لتاسكا) محاولة تنظيم تآمري لمؤتمر مصغر يضم ممثلين عن اكبر مصانع ايطاليا ، حوالي عشرين او ثلاثين عاملا من تورينو وميلانو وجنوة وبيزا وليفورنو وبولونيا وتريستا وبريشيا وباري ونابولي ومسينا . وهؤلاء، كممثلين للمصانع وليس باسم الحزب ، يقومون بدراسة الاوضاع العامة ، ويصوتون على قرارات حول المشاكل المختلفة ، ويسمون في نهاية المؤتمر لجنة مركزية للمصانع الايطالية . وسيكون لهذا المؤتمر ، طبعا ، قيمة تحريضية ودعاوية ، وسيكون على حزبنا ، المنظم للمؤتمر ، ان يقوم بتحضير المواد الايديولوجية الضرورية ويهتم بأن تكون القرارات المتخذة ذات تأثير على الجماهير . وتكون اللجنة المركزية المسماة واسطة مفيدة في العديد من التحركات،ثم تصبح ، اذا عرفنا كيف ندعمها جيدا ، الجنين الاول لمنظمة مقبلة لمجالس المصانع وللجان الداخلية ، وتصبح التنظيم المضاد للاتحاد العام للعمل عندما تتغير الاوضاع العامة. اني أعتقد أنه يمكننا ، على هذا الاساس ، انجاز عمل رائع في

ميداني التنظيم والتحريض. ويجب ان يتجنب الحزب، بشكل منتظم ، الظهور على انه محرض وقائد الحركة في الاوضاع الراهنة . بل يجب ان يكون هذا التنظيم تآمريا سواء على مستوى مركزه الوطني ام مراكزه المحلية . ويجب ان يتبع المؤتمر الوطني لهذه الحركة مؤتمرات محلية للمدن والمحافظات والاقاليم ، بعد ان يكون قد تم التعريف بمقررات المؤتمر الوطني بواسطة النشرات ومن خلال صحفنا نفسها . وبهذه الطريقة سينشط عمل مجموعاتنا الحزبية. ولا بد من دراسة مشكلة ما اذا كان من الممكن دفع اشتراكات بسيطة للجنة المركزية الوطنية لهذا التنظيم من اجل نفقات الدعاية العامة وما شابه ذلك . طبعا ، هنا تطرح مشكلة اتهامنا باننا نريد خلق تنظيم اخر . ولذلك لا بد من : ١ ــ تكثيف حملة العودة الى النقابات المتحدة في الوقت نفسه . ٢ ــ الاصرار على ان الامر لا يتعلق باقامة نقابات جديدة ، بل بحركة للمصانع على نمط مجالس المصانع واللجان الداخلية . هذه هي ، بشكل عام ، خطتي التي قبلها كل من نيغري واوروباني ، ولكنها بقيت في حيز النية حتى الان . ولا تبدو لي انها اصبحت قديمة بمرور الزمن ، بل العكس هو الصحيح. هناك رسالة من لوزا (تورينو) ستنشر في العدد الثالث من « النظام الجديد » . هذه الرسالة تدل على انه بعد وضع اليد (الفاشية) على مركز عمال الاراضي اصبحت الجماهير اكثر مناهضة للعودة الى النقابات ، لانها اصبحت تخشى ان تصبح قوائم منتسبي النقابات قوائم سوداء . ان الحالة الملائمة تماما لقيام حركة نقابية سرية اصبحت الان اكثر ملاءمة بكل تأكيد . المهم معرفة العثور على حل تنظيمي يتلاءم مع الظروف ويعطي الجماهير انطباعا بالعمل المتكامل وبالمركزة. ان المسألة تبدو لي في غاية الاهمية ولذلك فاني اريد منكم مناقشتها بالتفصيل فيما بينكم ، واعلامي بآرائكم واحكامكم ، وبالمنظورات التي ترونها محتملة او ممكنة .

ان الذي جعلني افكر في هذا الموضوع هو رسالة سرافا . اما رسالة زيني فقد جعلتني افكر في مشكلة اخرى. لماذا انتشرت هذه الحالة النفسية من التشاؤم والسلبية بين المفكرين الذين كانوا ناشطين معنا في فترة ١٩١٩ ــ ١٩٢٠؟ يبدو لي ان هذا يعود ، جزئيا على الاقل ، الى حقيقة ان ليس لحزبنا اي برنامج آني ، وانه يقوم على منظورات الحلول الممكنة للاوضاع الراهنة . نحن مع الحكومة العمالية والفلاحية ، ولكن ماذا يعني ذلك ، بالملموس ، في ايطاليا ؟ واليوم بالذات ؟ لا احد يعرف الاجابة ، لان احدا لم يهتم بالعثور عليها واعلانها . ان الجماهير الواسعة ، التي يصبح المثقفون اوتوماتيكيا أبرز رموزها ، لا تملك اتجاها محددا ، انها لا تعرف كيف الخروج من الضيق الحالي ، ولهذا فهي تقبل بالحل الذي يحتاج الى بذل اقل ما يمكن من الجهد ، وهو الحل الذي تطرحه المعارضة الشرعية ــ الاصلاحية . ان رسالة سرافا واضحة تماما حول هذه النقطة . ولكن زيني مناضل عتيق ، وهو لا يؤمن طبعا بانه يمكن لآمندولا او جوليتي او توراتي او بونومي القضاء على الفاشية ، انه لا يؤمن بشيء ابدا . سرافا يعتقد اننا في وضع مماثل للفترة ١٩١٥ ــ ١٩١٧ ، اما زيني فيعتقد اننا ما زلنا في مطلع ١٩١٥ ، يوم اندلاع الحرب ، يوم كان كل شيء مشوشا وضبابا كثيفا . ولذلك فاني اعتقد ان علينا بذل مجهود كبير في هذا الاتجاه : العمل الدعاوي سياسيا، وعمل البحث والتحليل في الاسس الاقتصادية للاوضاع الحاضرة . علينا ان نضتع التوقعات لكل الحلول الممكنة التي يمكن ان تصل اليها الاوضاع الراهنة ، وعلينا ان نضع التوجهات اللازمة لكل من هذه الحلول الممكنة . لقد قرأت، مثلا ، خطاب آمندولا الذي يبدو لي في غاية الاهمية ، فهنالك فيه اشارة يمكن التوسع فيها . يقول آمندولا ان الاصلاحات الدستورية التي يلوح بها الفاشيون تطرح مشكلة

مـــا اذا كان من الضروري في ايطاليا فصـــل النشاطات الدستورية عن النشاطات التشريعية العادية . من المحتمل ان تكون هذه الاشارة بالذات هي التي تحمل بذرة التوجهات السياسية للمعارضة في البرلمان المقبل . فالبرلمان الـــذي اصبح بلا رصيد وبلا سلطة ، نتيجة لآلية الانتخابات التـــي نشأ عنها ، لا يمكنـــــه مناقشة الاصلاحات الدستورية ، ومناقشة هذه الاصلاحات لا يمكن ان تتم الا من قبل جمعية تأسيسية . هل يمكن ان يصبح شعار الجمعية التأسيسية قائما اليوم ؟ واذا كان الجواب بنعم ، فما هو موقفنا مـــن ذلك ؟ باختصار : ان الاوضاع الحالية تحتاج الـــى حـــــل سياسي ، فما هو الشكل الاكثر احتمالا الذي يرتديه هـــذا الحل؟ هل يمكن التفكير في الانتقال من الفاشية الى ديكتاتورية البروليتاريا ؟ ما هي المراحل المتوسطة الممكنة والمحتملة ؟ ان علينا القيام بهذا العمل من البحث السياسي ، علينا ان نقوم به لانفسنا وان نقوم به لجماهير حزبنا ، وللجماهـــير عامة . انا اعتقد ان الحزب الذي سيبرز من خلال الازمة التي ستمر بها البلاد هو الحزب الذي يكون قد فهم هـــذه العملية الانتقالية الضرورية وأعطـــى الجماهير الواسعة ، بالتالي ، الانطباع بالجدية . من وجهة النظر هـــذه نجـــد انفسنا في غاية الضعف ، اننـــا بـــلا شك اضعف مـــــن الاشتراكيين الذين يقومون ، سواء بصورة سيئة ام حسنة، ببعض التحرك والذين يتمتعون بتقليد شعبي طويل الامـــد يدعمهم في ذلك .

وفي موازاة هذه المشكلة العامة تطرح اليوم ايضـــا مسألة الاندماج . هل نعتقد بامكانية الوصول الى عشيـــة الثورة بوضع كالذي نعيشه اليوم ؟ أي بثلاثـــة احـــزاب اشتراكية ؟ كيف يمكن ـــ في اعتقادنا ـــ تغيير هذا الوضع؟ هل يندمج المتطرفون بالاصلاحيين ؟ قـــد يمكن ان يحصل ذلك ، ولكني لا اعتقد به كثيرا، اذ ان التطرف يريد المحافظة

على استقلالية لاستثمار الوضع لصالحه . اذن ، هل نعقد تحالفا مع المتطرفين من اجل حكومة سوفياتية ، كما كان البلاشفة قد فعلوا مع الاشتراكيين الثوريين اليساريين ؟ يبدو لي انه اذا وصلنا الى هذا الوضع فانه لن يكون في مصلحتنا كما كان في مصلحة البلاشفة . علينا ان نأخذ في اعتبارنا تاريخ الحزب الاشتراكي وتقاليده . والروابط التي له بالجماهير منذ ثلاثين سنة ، وهو ما لا يمكن حله لا بالرشاشات ولا بالمناورات الصغيرة عشية الثورة . انها مشكلة تاريخية كبرى يمكن حلها اذا بدأنا منذ اليوم في تصورها بكل اتساعها ، واذا بدأنا بحلها منذ اليوم . اني أعتقد اننا اذا شكلنا مجموعتنا بقوة ، واذا قمنا بعمل سياسي وتنظيمي ملائم للحفاظ على تماسك الاكثرية الحالية لحزبنا، والتي تضم اليساريين المزمنين واليمينيين التصفويين، فاننا نستطيع ان نقبل وان ننمي فورا ، واوتوماتيكيا ، تكتيك الكومنترن لاكتساح اكثرية الحزب الاشتراكي . هذه ليست اكثر من فكرة مطلقة ، ليست أكثر من توجه ، وليس من المؤكد انه يمكن تحقيقها عمليا . ان الموضوع يتعلق باكتساب النفوذ والتأثير على اكثرية الجماهير المتأثرة اليوم بالحزب الاشتراكي . اي انه اذا ما حصل انبعاث عمالي ثوري فانه يجب لهذا الانبعاث ان ينتظم حول الحزب الشيوعي وليس حول الحزب الاشتراكي . كيف الوصول الى ذلك ؟ يجب مطاردة الحزب الاشتراكي حتى ينضم ، او اكثريته ، الينا ، او يذهب ، او أكثريته ، مع الاصلاحيين . انها عملية طويلة يجب ان تكون بقيادتنا ، وان تعطينا كل فوائدها الايجابية ، انها ليست بعملية ميكانيكية . ولهذا فاني أعتقد ان مواقفكم الاخيرة هي في غاية الخطورة لانها قد توقعنا في نفس الحالة التي استمرت من المؤتمر الرابع وحتى شهر حزيران (يونيو) . ان حادثة التعميم يمكنها ان تعلمنا الكثير . لا يمكن ارسال مثل هذه التعاميم الا الى

رفاق قلائل غاية في الثقة ، وليس الى التنظيمات كتنظيمات. ولا ترسل الى التنظيمات في الحالة الحاضرة سوى تعاميم « سياسية » ، « دبلوماسية » .

ألم نتعلم شيئا ابدا من عملية روما ؟ وألم تفكروا في ان « الثالثيين » (٣٨) اصبحوا هم القادة الحقيقيون لحركتنا؟ وألم تفكروا في ان فيلا وتيني قد يكونا حاولا ادخال بعض المخلصين لهما بين « الثالثيين » الخارجين من الحزب الاشتراكي ؟ انا مقتنع بذلك ، بل اني متأكد منه . لقد كان نيني في الحزب الجمهوري قبلا ، حيث اكتسب خبرة معينة في المؤامرات ، ومن ناحية اخرى ، فقد تعلم ، لاستخدامه الخاص ، الطرق التنظيمية للكومنترن . في عامي ١٩٢١ — ١٩٢٢ قمت بزيارة الكثير من تنظيماتنا . في كومو مثلا ، وهي مركز صناعي بما فيه الكفاية ، لم يكن لدينا اي عنصر تنظيمي، وكانت الفيدرالية هناك تدار من مدينة سوندريو في كومو. وبسبب الموقف الذي اتخذه رونكوروني في ليفورنو، كانت الجماهير الشيوعية قد بقيت مع الحزب الاشتراكي ، ثم اصبحت كلها « ثالثية » . اني متأكد تماما ان حزبنا في كومو ، مثلا ، هو في يد «الثالثيين» بشكل يكاد يكون مباشرا، وان بين هؤلاء « الثالثيين » هنالك ايضا عناصر موميليانو. وعندي البراهين على صحة ما أقول . لقد أعيد تنظيم فرع تورتونا . لمن اعطيت مهمة اعادة التنظيم ؟ الى ثالثي ، ظن البعض انه شيوعي . وليس له اية شعبية بين الجماهير . هذا ، على الاقل ، ما كتب يقوله لي صديق عنده معلومات اكيدة . ولجأ الثالثي الى شخص شيوعي ليقوم عمليا باعادة التنظيم . ولكن الحادثة تدل على ان : ١ — الحزب يمتلك آلة معطلة تماما تنظيميا ، ٢ — من الممكن لعملاء الحزب

---

(٣٨) راجع الهامش رقم (٢٣) .

الاشتراكي الدخول الى الحزب وتسريب وثائقه .
امل ان يأتيني البريد ببعض أخباركم ، وسأجيبكم عليها فورا . تحياتي القلبية .

ماشيَ

اذا توفرت لديكم الامكانية فارجو ان تزودونيبنسخة من هذه الرسالة ، وأن تزودوا أورباني بنسخة كذلك . الشقة الجديدة التي أقطنها لا تسمح باستخدام الآلة الكاتبة كثيرا ، وهذا يزيد في تعقيد الامور .

من غرامشي الى تيراشيني : الطرق الوطنية

فيينا ، ٢٧ آذار (مارس) ١٩٢٤

عزيزي ،
أكتب لك كل اسبوع على الاقل رسالة مختصرة حتى لا اغير هذه العادة ، ولان علي ان اجيب دوما على بعض سؤالاتك أو أسألك شيئا ما . واذا كنت لم تستلم رسالة مني مؤرخة في العشرين من الشهر الجاري ، فمعنى ذلك أنها ضاعت .
كما هو متفق عليه ، سوف يقوم بالمي بصياغة الاطروحات ، وسيرسلها لك فورا . ولا بد أنك علمت من رسالته الاخيرة كيف قرر رفاق روما طرح النقاش . أرفق لك طيه جوابي على تلك الرسالة .
خلال ايام سأجتمع **بريدل** (٣٩) الموجود هنا،وسأساله تقديم التوضيح حول ما قال بشأن الفرع العسكري . اذكر

---

(٣٩) أحد موفدي الاممية .

أنه جرى الحديث عن هذه النقطة ولكن شيئا ما لم يتم . لم يكن قد عقد في تورينو أي اجتماع يضم ساموري وكياريني(٤٠)بيراشيني وريدل. بيراشيني لم يأت ابدا الى تورينو، وساموري كان دوما عديم الثقة بكياريني الذي كان قد قدم نفسه الينا في حوالي شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٩ كتلميذ غير منتسب لاي حزب ، وفقط ليرى كيف جرى تنظيم النادي الطلابي ، وأظهر عدم فهم تام في المسائل العامة ، بيراشيني ، في تموز (يوليو) ١٩٢٠ ، عندما ذهبت الى فلورنس لحضور كونفرنس الاستنكافيين ، حذرني من كياريني ، الذي كان يعتبره جاسوسا ، والذي قال لي عنه أن الطلاب الاشتراكيين أهملوه . ان ريدل يشير ، فيما يبدو ، الى الاحاديث التي جرت ، والتي كانت فعلا يجب أن تجري ، حسب اعتقاده ، وينتج عنها تأسيس لجنة معينة. أرجوك أن تعلمني اذا كنت قد استلمت منذ مدة رسالة لي طويلة حول كياريني قلت فيها كل ما أعتقده عن هذه الشخصية الفريدة ، فمن اشاراتك أفهم أنك لم تستلم تلك الرسالة .

حول مسألة الجبهة الواحدة والحكومة العمالية والفلاحية ، أعتقد ان المادة المعروفة حتى الآن والتوجيه المعطى من قبل الكومنترن ، في خطوطهما العامة ، يتجاوبان مع الاوضاع وتجب الموافقة عليهما ككل . ويبدو لي أنه يجب طرح المسألة ضمن الاطار التالي : « هل عرفت الاحزاب المختلفة ، في البلدان المختلفة، وبشروطها الخاصة بها ، تطبيق هذا التوجيه بشكل ملموس جدي » . على هذا السؤال يمكن الاجابة بالنفي . لم تجري في أي من البلدان

---

(٤٠) كان ساموري واحدا من مجموعة الطلاب الشيوعيين في تورينو ، وكان بيراشيني عضوا في الحركة الطلابية الاشتراكية في فلورنس ، وكان كباريني أحد موفدي الاممية .

حملة منظمة ومتتابعة حول هـذا الشعار ، وهذه ـ في رأيي ـ هي نقطة ضعف الحركة . لنأخذ المانيا مثلا ، التي كانت ميدان المناورةالاكثر ملاءمة واستعدادا لهذا الغرض. في المانيا ، لم يترافق عرض الجبهة الواحدة الذي قدم الى قادة الاحزاب الانتهازية بكل ذلك العمل المنظم ، اليومي ، وفي كل مناسبة ، بين الجماهير الواسعة ، الذي كانيجب القيام به . لقد نشرت بعض المقالات النظرية حول الجبهة الواحدة بشكل عام ، وحول الحكومة العمالية الفلاحية بشكل عام ، ولكن هذه الشعارات لم تمتزج أبدا بالاوضاع التي كانت تتوالى بسرعة . وهذه ـ في رأيي ـ هي السيئة العامة عند كل أحزابنا ، ويجب البحث عن الاسباب لمحاربتها . ومما لا شك فيه أن احد الاسباب هو الطريقة التي يفهم بها ما يسمى بمركزية الكومنترن . وحتى الآن لم يتم التوصل الى وجود أحزاب تعرف ممارسة سياسة مستقلة ، مبدعة ، تكون أوتوماتيكيا ممركزة ، وذلك باستجابتها لخطط العمل العامة التي يجري وضعها في المؤتمرات (٤١) . ولذلك ، فأنا أعتقد أنه من الصعب تغيير الوضع الراهن بتحديد تكتيكات اجباريةلان هذا قد حصل، في الواقع ، دون أن يكون مثمرا . وايطاليا مثال علىذلك، ان المشكلة غاية في الصعوبة لانها ، في التحليل الاخير ، مرتبطة بتطور الوضع العام ، وهو التطور البطيء جدا والكثير الالتواء والتعرج . ويبدو لي أنه خلال الانتظار ليس هنالك،موضوعيا ، ما يمكن عمله اكثر مما تم عمله فعلا حتى الآن . ما هو الموقف الذي علينا اتخاذه سياسيا ؟ هذه هي مسألة اخرى ، وهي مسألة مخادعة جدا . اني أعتقد انها

---

(٤١) انها اطروحة استحالة قيادة احزاب مختلفة تعمل في شروط متباينة من قبل مركز واحد ، وهو الامر الذي لم تقبله الحركة الشيوعية والعمالية الا بعد فترة طويلة من التجارب والمعالجة .

تتبع مدى صلابة حزبنا . فـاذا استطاع حزبنا أن يستعيد صحته قبل المؤتمر الخامس ، واذا أصبح له نواة تأسيسية ومركزا يتمتعان بثقة الجماهير الايطالية نتيجة نشاطه وليس نتيجة للانعكاسات الاممية ، فانه سيكون باستطاعتنا اتخاذ موقف مستقل والسماح لانفسنا بحرية الانتقاد . أمـا الآن فيبدو لي أنه ما زال يناسبنا أن نمرر الاشياء لمدة من الزمن حتى لا نزيد فيما هـو قائم فعـلا من تشويش وأزمة ثقـة وهيبة ، على مستوى واسع .

لم اطلع على الاطروحات البلغارية حتى أقوم بالمقارنة التي تشير بها علي ، والواقع أن في حوزتي القليل جدا من المواد . ولست أعرف اذا كانت الاطروحات الالمانية ، وتلك البلغارية ، هي اطروحات أممية أم أنها تتعلق فقط بالبلدان العائدة لها . والواقـع ، أنـه نظرا لما لحزب الفلاحين فـي بلغاريا من نفوذ ما زال يتمتع به ، يبدو من الصعب أن يمكن التخلي عن « المرحلة » الضرورية لحكومة العمال والفلاحين على طريق الديكتاتورية . أما في المانيا فيبدو لي أن الشعار الفوري الذي تم الالتزام به هو شعار الديكتاتورية ، ولست استطيع الحكم عمـا اذا كان هذا أمـر طبيعي وتسمح بـه الاوضاع ، ولكني أشك في ذلـك . ويبدو لي أن ماسلوف على حق عندما لا يستبعد ضرورة العودة مجددا الى الرسالة المفتوحة (٤٢) . ولكني ، أكرر أن في حوزتي مواد قليلة لا تمكنني من الحكم علـى الاشياء . ومـا زال الوضع الالماني يبدو لـي قليل الوضوح ، سواء بالنسبة للحزب أم للبلـد نفسه . ويبدو أنه يجب دعم اليسار الذي يمثـل الحركة الحقيقية للجماهير الثورية ، ولكن ، هل وجد اليسار تعبيره

---

(٤٢) الواقع أن ماسلوف وجماعته ابعدوا بعد ذلك بقليل عن قيادة الحزب الالماني بسبب اتجاهاتهم التطرفية .

السياسي والايديولوجي الصحيح في الزعماء الحاليين ؟ يبدو لي أن هذه هي كل المشكلة ، ويمكنها أن تؤدي الى أزمات حادة وعميقة ما زالت مجهولة للحزب ، كما يمكنها أن تؤدي بالحزب الى حافة الكارثة . ليس هنالك أخطر من اجراء تغيير جذري في الزعامات عشية (او ما يعتبر عشية الثورة) . ان اشارتك الى الطلب الموجه من كوسينين الى سيراتي تدل على وجود شكوك باليسار ، وان هذا اليسار محاط بحزام صحي، فكيف تفسر أنت ذلك ؟ واذن ، ما هو مدى صحة هذا الانقلاب الذي جرى في القيادة المركزية الالمانية ؟ هل هي مناورة ام حالة اضطرارية تجري محاولة معالجتها بوسائل مثليه (٤٣) ؟

سأكون شاكرا لك لو استطعت تزويدي بمعلومات عن الوضع الحالي لمسألة تروتسكي ـ زينوفييف (٤٤) . يبدو لي أنه ستكون لهذه المسألة انعكاساتها على المؤتمر الخامس، وقد يكون من الواجب اتخاذ موقف حيالها . كيف جرت ، بهذه المناسبة ، النقاشات مع الاحزاب الثلاثة : البولوني والفرنسي والبلغاري ؟ ان المسألة تبدو لي مثيرة لاقصى الاهتمام ، وتبدو حبلى بالمفاجآت . انها تطرح سلسلة من المشاكل ، المبدئية والتنظيمية ، كان لا بد من حلها ان عاجلا أم آجلا لانها سوف تطرح دوما وبشكل مستمر . اريد ان احصل على معلومات بهذا الخصوص ، وعلى رأيك أنت أيضا . وعلى كل حال ، ان الاعتقاد التالي يقوى لدي باستمرار :أن علينا ، نحن ، أن نعمل في بلدنا ، لاقامة حزب قوي ،

---

(٤٣) Omcopatia المعالجة المثلية : معالجة الداء بجرعات صغيرة من دواء لو أعطي لشخص سليم لاحدث عنده مثل اعراض المرض المعالج ملاحظة المعرب) .

(٤٤) اشارة الى بداية النقاش السياسي داخل الحزب البلشفي الذي ادى فيما بعد الى عزل تروتسكي .

سياسيا وتنظيميا ، جيد التجهيز بثروة من الافكار العامة الواضحة والمثبتة في كل وعي فردي ، قادر على المقاومة ، بحيث يستحيل تفككه أمام أية صدمة تأتي من هذه المسائل التي تتزايد وتصبح أكثر خطورة يوما بعد يوم مع تطور الاوضاع ومع تزايد قوة هدف الحركة الثورية . وقد يكون من الملائم أن نبحث هذه المشاكل بشكل مطول فيما بيننا حتى نستطيع حلها مرة بعد اخرى ، عندما تطرح أمامنا ، بروح الجماعة ، واثقين من دعم المجموعة بكاملها . ان هذه هي احدى اكبر مظاهر قوة الرفاق الروس ، تماما كما أن غياب التفاهم والتناغم هو نقطة ضعف الاحزاب الاخرى التي تواجه الخطر الدائم للتفكك حتى داخل أنديتها التأسيسية التي كانت تبدو في غاية الصلابة والتماسك .

تحياتي المخلصة

ماشي

من غرامشي الى تيراشيني : الحزب والنقابة

فيينا ، ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٢٤

عزيزي أورباني ،

أريد أن افسر بشكل افضل ما تردد قوله حول العمل النقابي الذي ننوي القيام به (٤٥) ، وذلك حتى لا يبرز أي سوء تفاهم او خلاف سيء . نظرا لغيابي مدة طويلة من الزمن عن ايطاليا ، ولنقص الانطباعات المباشرة والتفصيلية التي لا بد منها في هذه المسائل ، سأتبع سبيل الحذر من

---

(٤٥) حول هذه النقطة راجع الرسالة السابقة المؤرخة في ٢١ اذار مارس) ١٩٢٤ .

توجيه أيــة توصيات بأشكال محددة للتنظيم وخاصة بشأن التنظيم السري . وسوف أقتصر علــى طرح مسألة محددة واحدة لنقاش الرفاق ، وهي أنه لا يوجــد اليوم في ايطاليا حتى ولا الحد الادنى من العمل النقابي المركز . فالاتحــاد العام الايطالي للعمل وتنظيماته بأجمعها سقطت في اللامبالاة، وهي تقوم بتطبيق كل تكتيك السلبية ، واعطاء الزمن مجاله الاقصى .. الخ . نحن ، من ناحية المبدأ ، ونتيجة لمجموعة اعتبارات عملية تدعم اليوم هذا المبــدأ ، لا نريد خلق مركز نقابي جديد . ولكن لا بــد من عمل شيء مــا ، فالجماهير العمالية هادئة نسبيــا ، وهناك اضرابات معزولــة تنفــذ باستمرار . اذا نحن وضعنا موضع التنفيذ ، وبأوسع نطاق يمكن ، قواعد تنظيم خلايا المصانع ، واذا نحن جمعنا مؤتمر عمال المصانع ، الذي وافقت أنت ايضا عليه ، فاننا سنجد انفسنا ، حتما بدون ارادتنا ، أمــام ضرورة القيام بعمــل نقابي فعلي وحقيقي . واذا خلقنا في المصنع قوة سياسية فاننا لن نستطيع تجنب أن تصبح هذه القوة السياسية ، أوتوماتيكيا ، المركز والممثل لكل المصنع ، وأن يتوقع العمال منها نصائح وتوجيهات . ويصبح هذا العمل عمــلا نقابيــا حقيقيا ، ويصبح عليه أن يطرح علــى نفسه المشاكل ذاتهــا التي كانت تطرح فــي الماضي علــى مجالس العصبات . ان علينا ، بالنظر لغيــاب الاجهزة الرسمية ، أن نرضي كــل حاجات الجماهير . ما العمل اذن ؟ هل علينا التخلي أيضا عن التنظيم والتحريض لانه سينجم عنهما ، في لحظة معينة من النمو ، ضرورة القيام بعمل حقيقي ؟ لا ، بالتأكيد . اذن يجب حل المشكلة وايجاد صيغة تحتوي على هــذا الجوهر في اطار الشروط القائمــة في ايطاليا . هذه هــي أرضية النقاش التي كنت قد طرحتها ، بخطوطها العامة . ولاننا لا نريد خلق مركز نقابي جديد ، يجب أن تكون المنظمة سرية، طبعا . من الناحية العمليــة ، ستكون لنا فيما بعــد نقابية

سرية فعلية . هل هو أمر خطر ؟ بلا شك . ولكنه ، عموما، لا يمكن تجنبه اذا أردنا أن نعمل . هـل تعتقد أن الجماهير الواسعة تهتم كثيرا بالرسائل المتبادلة بين اللجان النقابية للاحزاب المختلفة ؟ ان هذا لا يخدم سوى اللجان نفسها ودائرة محدودة جدا من العمال المتعاطفين مع هذه الاحزاب، والذين كان يمكن أن يكونوا داخل الاحزاب نفسها فيأوقات أقل شدة . انه لا يفيد بتاتا في التأثير على الجماهير الواسعة . هذه الجماهير لا تستطيع تلمس غير النشاط العملي الذي لا يمكن أن تقوم به الا منظمة منتشرة في أوساط الجماهير الواسعة نفسها . ما هو الضعف الرئيسي للطبقة العمالية الايطالية ؟ انه الانعزال والتشتت ، وعلينا ان نناضل ضد هذه الحالة . ولا يمكننا ان نطمح فورا الى نتائج هامة ، هذا أمر واضح . ولكني سأقدم مثالا : لو كانت لدينا فعلا منظمة منتشرة في المصانع ، فانه من المؤكد أننا كنا ، بحملة منظمة تنظيما جيدا ، قادرين على اثبات وجودنا حتى أول ايار (مايو) . كيف يخلق الشعور أو الاعتقاد لدى العمال بوجود المركزية ، وبأن هنالك عملا موحدا ومتماثلا في كافة المصانع ، وانه يمكن محاولة القيام بحركة ما دون أن يخشى كل مصنع بقاءه معزولا ، وبالتالي ان يسحق ؟ هنالك وسائل متعددة يمكن عبرها مجتمعة اعطاء هذا الشعور المطلوب . في رأيي انه يجب ان تقوم مجموعاتنا بالتصويت على مقررات بشأن الاحداث الجارية، باسم كل مهنيي المصنع (آ) و (ب) و (ج) .. الخ ، فتنشر صحفنا هذه المقررات ، ويقراها العمال فيعرفون . وهكذا. اني اعتقد انه يجب العثور على تكنيك جديد كليا للتحريض والدعاية ، وكذلك للتنظيم . يجب التوصل الى أن يعتاد قسم كبير من الجماهير العمل السري والمحافظة على السر.. الخ ، وأعتقد أن العمال الايطاليين ساروا خطوات واسعة الى الامام في هذا الميدان نتيجة للتجارب الصعبة التي مروا

بها . بل اني أعتقد أنه اصبح يجب طرح المشكلة التالية : في تورينو وميلانو وفي بعض المدن الكبرى الاخرى صار يجب تنظيم مهرجان عام . قد تقول ان هذه مبالغة كبرى . ولكني أتحدث دون اي ميل للهزل أو المزاح . أعتقدُ انه لو استطعنا ان نجمع في تورينو وفي ميلانو، في نقطة معينة من المدينة، وعبر تنظيم ملائم ، خمسين الف عامل فلن يؤدي ذلك الى حدوث أية كارثة ، وسيكون للحادثة تأثير كبير . طبعا ، ان التفكير اليوم بالقيام بأمر مماثل سيكون عملية جنونية ، ولكني أقول ان علينا ، في القيام بنشاطنا المشار اليه أعلاه، ان نطرح على انفسنا مشكلة الوصول الى تحقيق نتائج من هذه النوعية .

أعتقد أني أوضحت ما أريد بما فيه الكفاية . على كل، أرجو أن تأخذ في اعتبارك أني أطرح هذه الاراء للنقاش بين الرفاق ، وليس اكثر . وأعتقد أنها ليست آراء طوباوية على الاطلاق ، اذ يجب الخروج من الطريق المسدود ، يجب الخروج من الحالة الراهنة التي تنتهي الى تبادل الرسائل والى جلسات للجان . من المؤكد أنه يجب التفكير مطولا ، وتقليب الامور من كافة أوجهها ، وايجاد الصيغ الافضل للتنظيم ، وتعويد الرفاق على العمل الجدي.. الخ، .. الخ.

ان علينا أن نبدأ ذات يوم ، ولنبدأ — على الاقل — بالمناقشة فيما بيننا لكي تصبح لدينا أفكار وتوجهات دقيقة محددة . وأعتقد أنك توافق على هذا ، على الاقل .

باخـــوة

ساردي(٤٦)

---

(٤٦) توقيع آخر كان غرامشي يستخدمه في رسائله نسبة الى جزيرة ساردينيا التي نشأ فيها وترعرع .

من غرامشي الى جوليا شاخت : جريمة اغتيال ماتيوتي

(روما) ، ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٢٤

العزيزة جدا ، يولكا ،

كنت انتظر أن أتمكن من السفر ، ولكن سفري كان يؤجل يوما بعد يوم . ولهذا لم اكتب لك معتقدا اني سأصل قبل وصول رسالتي . فهل أسافر ، أو هل سأستطيع أن أسافر خلال أيام ؟ لست دري ، ولهذا اكتب لك حتى تشعري بي قريبا منك ، يا عزيزتي ، وحتى تشعري بحبي الذي يضمك بقوة ، بقوة .

عشت، أياما لا تنسى ، وما زلت أعيشها . يصعب على الانسان أن يأخذ من الصحف فكرة صحيحة عما يجري في ايطاليا . كنا نسير فوق بركان يغلي ، ثم فجأة ، وعندما لم يكن أحد يتوقع ذلك ، وخاصة الفاشيون الذين كانوا أكثر من مطمئنين لسلطانهم اللامتناهي ، انفجر البركان(٤٧) مطلقا سيلا هائلا من الحمم الملتهبة اجتاح كل البلاد ، وأخذ في طريقه كل من وما هو ذو علاقة بالفاشية . لقد تطورت الاحداث بسرعة هائلة غير معقولة . يوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة ، كانت الاوضاع تتغير . وهوجم النظام من كافة الجهات ، وعزلت الفاشية في البلاد وشعرت بانعزالها من ذعر زعمائها وتهربهم من اتباعهم . وكان العمل محموما ، كان يجب اتخاذ المواقف من ساعة الى ساعة ، واعطاء التوجيهات اللازمة ، ومحاولة اعطاء اتجاه عام للتيار الشعبي المتدفق . اليوم ، يظهر ان المرحلة الاكثر حدة قد مرت .

---

(٤٧) كانت الشرارة قد نجمت عن اغتيال الفاشيين للنائب الإشتراكي جاكومو ماتيوتي .

الفاشية تستدعي قواها وتسعى الى لم شملها بشكل يائس، وهي القوى التي ، مهما تضاءلت ، ما زالت تسيطر ، تدعمها في ذلك كل أجهزة الدولة ، نتيجة للشروط غير المعقولة من التشتت وعدم التنظيم التي تعاني منها الجماهير . ولكن حركتنا خطت خطوة واسعة الى الامام ، فضاعفت الصحيفة عدد النسخ التي تطبعها ثلاث مرات ، وفي مناطق كثيرة تزعم رفاقنا الجماهير وحاولوا نزع سلاح الفاشيين ، وصارت شعاراتنا تستقبل بحماسة وتدرج في القرارات التي يصوت عليها في المصانع . وأعتقد أن حزبنا أصبح في هذه الايام حزبا جماهيريا بكل معنى الكلمة . ولقد شاركت في اجتماعات لكافة المعارضات البرلمانية التي أصبحت في نظر الرأي العام المركز القيادي للحركة العامة . وكانت هنالك كلمات ضخمة دون أية ارادة للعمل ، فهنالك خوف لا يصدق من أن نسيطر على الامور ، وبالتالي مناورات هائلة لاجبارنا على هجر الاجتماعات . كم هي كبيرة التجارب التي خبرت في هذه الايام ! لقد رأيت « البورجوازية الصغيرة » وجها لوجه ، بكل سماتها الطبقية التقليدية . القسم الاكثر اثارة للفتيان منها كان الشعبيون والاصلاحيون (هذا كي لا نذكر المتطرفين، هؤلاء الناس المساكين الذين أضاعوا كل شيء) . الاكثر طرافة بين الجميع هما آمندولا والجنرال بنشيفنغا من المعارضة الدستورية ، اللذين يعلنان أنهما مع النضال المسلح وأنهما (لفظا على الاقل) على استعداد لوضع نفسيهما تحت تصرف الشيوعيين اذا كان باستطاعتهم تنظيم جيش ضد الفاشية . وأعلن نائب ديمقراطي اجتماعي (وهو حزب صقلي يوحد الاقطاعيين والفلاحين) ، يحمل لقب دوق ، وكان وزيرا مع موسوليني حتى شهر آذار (مارس) ، أنه أكثر ثورية مني لانه يبث دعاية الارهاب الفردي ضد الفاشية . الكل يقف طبعا ضد الاضراب العام الذي اقترحته

وضد اللجوء الى الجماهير البروليتاريه .

ما زالت الاوضاع في غاية الحدة . وكانت هنالك فعلا محاولة للقيام بانقلاب من جهة الفاشيين المتطرفين فشلت نتيجة للتركيز الواسع للجنود ورجال الشرطة . وتنطلق الاشاعات الاكثر تناقضا مع العقلانية . ولا بد من حصول شيء ما في هذه الايام ، قد يكون انقلابا عسكريا . من الناحية السياسية ، ما زال الوضع بلا حل لان الفئات المعارضة لا تريد دخول البرلمان حتى اعتقال بعض الزعماء الفاشيين المسؤولين . ولهذا فاني لا أستطيع التفكير بالسفر قبل مرور بضعة أيام أخرى . ولكن رحلتي ستتم حتما لانه من الضروري اعلام من في موسكو بالاوضاع الحقيقية وبحاجات حركتنا التي تجد نفسها مضطرة لمواجهة مهمات غاية في الضخامة .

عزيزتي ، كم هي الصعوبات التي تعترض طريق سعادتنا ! ولكننا سنتجاوزها كلها ، قائمين في الوقت نفسه بكل واجباتنا . وكم كنت سأسر لو كنت معي في هذه الايام، كنت ستساعديني ، وكانت لمساتك ستهدىء اعصابي وآلام رأسي التي أعاني منها باستمرار . يجب علينا أن نحل مشكلاتنا ، وعليك أنت أن تقرري ، عندما تصبحين في شروط تمكنك من ذلك ، المجيء الى ايطاليا للبقاء معي . كنت أود أن أتلقى معلومات عن حالتك الصحية في هذه الايام التي تسبق قليلا ولادة طفلنا . أريد التأكد من أنك على ما يرام، وأنك قوية ، وأن تأخري لم يجلب لك القلق (...) . كم سنكون سعداء عندما نرى بعضنا مرة أخرى ، فنبدأ حياة جديدة خاصة بنا بعد أن نكون قد أصبحنا أكثر قوة وأفضل خلال اشهر الانتظار هذه . أقبلك ، يا عزيزتي .

انطونيو

لقد نجحت في معرفة عنوان اختك ، وسأذهب لتحيتها بمجرد أن أتمكن من ذلك .

من غرامشي الى جوليا شاخت : العمل التنظيمي الكثيف

٢١ تموز (يوليو) ١٩٢٤

عزيزتي يولكا ،

استلمت رسالتك المؤرخة ما بين ٦ و ١٣ تموز (يوليو) واستلمت كذلك رسالة من بيانكو(٨) يحدثني فيها عنك . اني أمضي أياما باهتة وحزينة جدا ، فقد تخثرت الاحداث جيلاتينيا ، وهناك عمل كثير في البلاد ، بين جماهير الشعب من كل الطبقات ، والانتاج يكاد يكون بحجم الذرات الصغيرة، وبشكل غير مرئي ، وهذا يتطلب توترا هائلا حتى نجعل غيرنا يفهمنا وحتى نسيطر على انفسنا . الواقع انه يمكن أن ترتكب (وترتكب فعلا ، للاسف) اخطاء في غاية الخطر ، دونما ارادة ، لان الاوضاع تختلف من اقليم الى اخر ، ويحتاج الاشراف عليها وتوجيهها الى حزب كبير اعتاد العمل المنظم، وقادر على الاستجابة بكل عناصره المكونة الى نبضات المركز. الحرارة محرقة ، وأنا أعاني مجددا الارق والضعف ، التفكير يتعبني ، والعمل يجعل اعصابي في حالة تدعو لليأس . كم من الاشياء علي أن أعملها ولا افعل . افكر بك ، وبحلاوة حبك ومعرفة كونك قريبة جدا مني بالرغم من بعد المسافة بيننا . عزيزتي يولكا ، حتى في بعدك يساعدني تفكيرك في أن أكون أكثر قوة . ولكن حياتي لن تعود طبيعية طالما نحن

---

(٤٨) عامل ايطالي مهاجر الى الاتحاد السوفياتي .

بعيدين واحدنا عن الاخر . ان حبي لك يشكل جزءا كبيرا من شخصيتي ، لدرجة أني لا أعتقد نفسي طبيعيا الا بوجودك . ربما يساهم بعض التعب في هذا كله ، وكذلك ذكرى التوازن الذي عرفت في فترة سعادتنا . ولكن هذا يبدو لي صحيحا بصورة عامة ، اذ لا يمكن فصل عضو عن الجسم وجعله يعمل لوحده ، فالحياة هي بالوحدة ، وكل نشاط يقوي النشاط الاخر ، والحب يقوي الحياة كلها ، أليس كذلك ؟ انه يخلق التوازن والعمق الاكبر لكافة المشاعر والعواطف الاخرى . ولكني لا أريد أن اتفلسف هنا . أريد أن أروي لك حوادث كثيرة ، أشياء صغيرة كثيرة تعطيك انطباعا عن الجو واللحظة التي تمر بهما ايطاليا . كنت قد احتفظت بكل الذكريات لارويها لك مباشرة ، وانا بقربك ، ولا أكاد أعرف أن أقرر كتابتها ، اذ تبدو لي وكأنها ستظهر غبية وبلا معنى عندما توضع كتابة . قد احاول في مرة اخرى وسأبدأ بمثل المذكرات ، منذ دخولي الى ايطاليا ، بل منذ رحلتي بالقطار من تارفيز الى ميلانو عبر البندقية، وحديثي مع فاشي يريد ان يضم الى ايطاليا كلا من نيس وسافوييا ومالطا ومقاطعة (كانتون) تيشينو ، وقد جعلته يفقد عقله عندما لعبت دور الساردي القومي المتعصب واثبت له علميا أن ايطاليا الفاشية ستفقد سادرينيا ، ولم يستطع هذا المسكين الرد على موضوعاتي كفاشي ساردي وكان يتلوى بيأس محاولا اقناعي بخطأي . لقد تسليت كثيرا . ثم سمعت حديثا يجري بين أحد رجال صناعة الحرير من سكيو وملاك للاراضي من يادونا اثار دهشتي بسبب الاطمئنان والقوة التي كان الرجلين يتحدثان بهما . ثم ، اجتماع سري للحزب عقد اثناء رحلة جبلية سياحية سيرا على الاقدام للعاملين في احدى شركات ميلانو ، ومضى النهار كله في نقاشات حول الاتجاهات وحول التكتيك ، أما وجبة الغداء التي تم تناولها

في ملجأ المنتجع الجبلي المزدحم بالسياح فقد تخللتها الاحاديث الفاشية والانـاشيد المشيدة بموسوليني ، وكانت الوجبـة كوميديا كبيرة تستهدف استبعاد أي شك ، وكذلك استبعاد أي ازعاج عن الاجتماعات التي تعقد في هذه الوديان الرائعة الجمال البيضاء بزهور النرجس . ومـا زال عندي الكثير الكثير : عن ازدهار القرنفلات الحمر على صدور عمال روما ليلة رفع شعار الحزب بالاضراب العام ، كنت عائدا الى منزلي عند منتصف الليل ، وكان حي يورتايبا الذي عبرته يعج بالعمـل يزينون صدورهـم بقرنفلات حمـر ويملأون الشوارع ، كان في ضواحي المدينة جو انتفاضة ، بينمـا كان الفاشيون يحـاولون نشر الذعـر في وسط المدينـة ببيارقهم ، وبحرابهم في رؤوس البنادق ، وسرعان ما كانت تختفي البيارق فور ظهور جماعة من الجنود عازمـة علـى اطلاق النار . ولكن ... كانت عودتي الى ايطاليا ورؤيـة الاوضاع قد تحسنت بهذا الشكل تثير في أعماقي نوعا مـن الكآبة ، وذلك بسبب الشعور فقط من خلال الروايات بمشاعر الرعب الذي مر في اللحظات الاكثر حدة للفاشية، والاستماع الى صوت الاخرين يروي كيف أن الفاشيين كانوا يظنوني في تورينو فراحوا يطاردون خيالي ، وضربات العصي وطعنات الحراب التي تلقاها شقيقي لحسابي، وفقد بنتيجتها اصبعا ونصف دمائه . اني متأكد انهم ما كانوا ليصلوا الي ، ولكني أريد الاحساس بالشعور أنه هنالك من يلاحقني مستكلبا . وأن أنجح في أفشال هذا الاستكلاب العاجز .

تصوريني اليوم ، فانـا أعيش في فيلا في شـارع فيزاليو ، أحد متفرعات شارع نومنتانا ، عند عـائلة المانية ما زالت لا تعرف اسمي الصحيح ، وتجهل أني نائب شيوعي في البرلمان . اني اتصرف كمعلم جـدي ، والعائلة تعاملني باحترام كبير ، وتؤمن لي هدوءا يصل حد الازعاج .

كثيرة هي الاشياء التي أود روايتها لك ، ولكني سأرويها لك بصوتي ، اليس كذلك ؟ وسأجعلك تضحكين كثيرا جدا ؛ سأرويها لك وأتوقف عن الكلام بين الفينة والاخرى لاقبلك قبلة صغيرة صغيرة في اذنك او عنقك ، ولاعانقك ، لاني لا استطيع الا ان أفعل ، لانه يبدو لي من المستحيل ان نكون معا دون ان نتذكر في كل لحظة اننا نحب بعضنا كثيرا ، رغم كوننا شخصين في غاية الجدية ، نناضل ونعمل ، ولنا طفل ايضا . عزيزتي يولكا ، أحبك كثيرا ، وأضحك الى نفسي بقوة ، بقوة .

انطونيو

أختك على ما يرام . لم أنجح بعد في التحدث اليها لانها في حمامات لا أعرف أينها . كانت مريضة مؤخرا في عيادة باستيانيلي في مستشفى بوليكلينيكو . وعندما عرفت عنوانها وذهبت الى المستشفى كانت قد غادرته الى منطقة حمامات معدنية هنالك من يقول في بيسكارا ومن يقول في توسكانا . سأرسل لها العنوان فور معرفة مكان وجودها ثانية ، وعلى العموم فهي معروفة في السفارة الروسية حيث اعتقد انها سجلت نفسها كمواطنة للاتحاد السوفياتي .

صحيفة « النظام الجديد » اضطرت للتوقف ، وسوف تعود الى الصدور بعد ايام قليلة .

من غرامشي الى جوليا شاخت : ازمة الفاشية

٤ آب (اغسطس) ١٩٢٤

عزيزتي ،

استلمت رسالتك المؤرخة في ٢٨ تموز (يوليو) واعتقد انك عند استلامك هذه الرسالة ستكون حياتك قد تغيرت

كليا . اود ان أكتب لك اشياء كثيرة ، ولكني كنت قد مزقت في الاسبوع الماضي رسالة كان سيبدو لك منها اني أصبت بالغباء . ولكن ، لا تخافي ، لم يحصل اي شيء خطير . أحيانا أفكر بك وبالسعادة التي كان يمكن ان نحياها معا فأشعر ببعض الكآبة ، وانتقل من مرحلة « الذئب العاطفي » الى مرحلة « دب الكهف » . ولكن الاحداث التي تغرقني تقوم بمهمة اعطائي هزات عنيفة . لقد أصبحت الاوضاع اكثر وضوحا اليوم ، وهي ما زالت تزداد وضوحا يوما بعد يوم . هناك على مرمى النظر امور جديدة ضخمة جدا ، في رأيي . فهناك في شهر تشرين الاول (اكتوبر) مناسبة الكل يتحدث منذ الان عن انها ستكون مجالا لتبادل اطلاق النار . الفاشيون ، في تشنجات الازمة القاتلة ، يرتكبون اخطاء فوق اخطاء ، ويحتمل ان يرتكبوا قبل شهر تشرين الاول (اكتوبر) خطأ التحريض على التحرك لسحق الحركة بالعنف . على كل ، فقد دخلنا مرحلة ناشطة ، ولدي انطباع بان الفاشيين هم الذين سيسحقون ، ولكن .. ليس لمصلحتنا الفورية ، بل عبر موجة من الديموقراطية المتعصبة هي رد فعل نفسي على السنوات الثلاث من الارهاب ، وسوف تتجه هذه الموجة ضدنا ايضا ، رغم ان حزبنا راح يقوى، وينضم الى صفوفنا في كل يوم دفق من الاعضاء الجدد .

انطونيو

من غرامشي الى جوليا شاخت : البعد بين احتياجات الوضع وقوة الحزب .

١٨ آب (اغسطس) ١٩٢٤

العزيزة جدا يولكا ،
استلمت رسالتك المؤرخة في السادس من هذا الشهر،

رسالة عشية حياة جديدة لنا . كم أود ان اكون قريبا منك. عندما اكتب اليك هذه الرسالة يحتمل ان يكون طفلنا قد ولد ، وان يكون بجانبك تستطيعين التربيت عليه وملاطفته بعد ان قاسيت لتعطيه الحياة . ان فرحتي مشوبة بالكآبة، لذلك ، هناك اشياء كثيرة لا أعرفها واود معرفتها . ولكن ما يهم ان أعرف وانا يستحيل علي ان أقاسي معك ؟ يبدو لي وكأني متميز لان الامر يتركني وحيدا بينما لا يمكنه الا ان يسعدني ، ولكن حبي لك قوي جدا ، وعميق جدا ، أشعر اني أعيش معك في وحدة متكاملة ، واني لا أستطيع التخلص من هذه الاشباح المزعجة . ان لسعادتي « بوز » طويل بعض الشيء ، وهي تشعر ببعض الحزن .

هناك الكثير من العمل ، ولكن صيغة العمل ليست هي الاكثر ملاءمة لكل الحياة وكل الافكار . ان الاحداث تتابع بعند ، وفي الوقت نفسه علينا اعادة تنظيم الحزب الضعيف والذي يعمل بشكل سيء عموما . انا عضو في المركز السياسي ، وانا سكرتير عام ، وعلي ان أكون ايضا مديرا للجريدة ، ولكن قوتي لا تكفيني . لن أستطيع العمل بعد الا قليلا . يجب ان تكون عين الانسان على كل شيء ، وان تتابع كل شيء . غدا سأذهب الى ميلانو ثم الى تورينو لارى كيف تعمل هاتين المنظمتين الاكبر عندنا . ان ما ينقصنا هو الاشخاص الذين يعملون بمسؤولية، وخاصة في روما. أخرج من الاجتماعات التي أحضرها بنتائج مرضية فيما يتعلق باطار الارادة الجيدة وحماسة الرفاق ، وبتشاؤم لنقص التحضير العام . ان الاوضاع ممتازة بالنسبة الينا ، وتقوم فئات المعارضة بتنظيم حركة عسكرية ومسلحة ... من رفاقنا . الفاشية راحت تتفتت ، تبدو وكأنها قد جنت ، فهي لا تعرف العثور على مقياس سياسي يكون فيه فائدة لها . كل شيء راح ينقلب على الفاشية . ولكن تطور الاحداث سيكون بطيئا نسبيا ، لاننا ما زلنا قلائل جدا ، وغاية في

سوء التنظيم (...) .

انطونيو

من غرامشي الى جوليا شاخت : تطور الحزب

(روما) ، ١٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٤

عزيزتي يولكا ،

(...) هنا علي ان اعمل كثيرا ، ولا انجح دوما في عمل كل ما اريد . حتى ايام خلت كنت في غاية الهدوء . كنت استطيع التحرك بسهولة نسبية ، مع بعض الحذر . كنت أستطيع ان أعقد ثلاثة او اربعة اجتماعات اسبوعية سواء مع الاجهزة القيادية للحزب أم مع التشكيلات المحلية للرفاق. اجتماعات مثيرة للاهتمام فعلا ، وخاصة مع الجماهير العمالية : احاديث ونقاشات ومعلومات ومشاكل يجب حلها ، ومسائل مبدئية وتنظيمية يجب حلها . ان هنالك اندفاعا كبيرا جدا نحو حزبنا ، في شهر من الدعاية تضاعف عدد اعضائنا حوالي ثلاث مرات ، ونمت الصحيفة بنسبة ١٢٠ ٪ عما كانت عليه قبل ثلاثة أشهر . وادبياتنا يبحث عنها في كل مكان ، والتنظيمات النقابية يعاد تنظيمها حول خلايانا . والشيء المذهل هو النجاح الذي تلاقيه دعايتنا بين الفلاحين . فقد كان فرعنا الفلاحي طبع ٢٠٠٠ بطاقة هوية من اجل جمعية وطنية للدفاع عن الفلاحين ، وجاءنا من محافظة سيينا فقط ٥٠٠٠ طلب هوية . طبعا هذا لا يعني اننا خرجنا من الصعوبات . الحزب ما زال غير مشروع من الناحية العملية ان لم يكن من الناحية القانونية : كل اجتماع يفاجأ اثناء انعقاده يحل ، ويعتقل الرفاق ، ويبقون في السجن بضعة ايام . يجب ان نكون في غاية الحذر مع

الرفاق الذي يعملون في مكاتب الحزب تجنبا لاكتشافهم ومصادرة وضياع الارشيف والاوراق . بعد مقتل النائب الفاشي كازاليني بدأت ، انا الذي كنت متروكا في غاية الهدوء ، اصبح قيد المراقبة . في تلك الايام تعرف علي فاشي من تورينو وعرف علي جماعة من اصدقائه . وبدأت الشرطة تلاحقني « للدفاع عني » ، اي لتجعل اي تحرك لي في غاية الصعوبة ، ولتجعلني انفق ما معي من نقود في اجور السيارات بدلا من الترام الذي كنت أتنقل به عندما كنت أحتاج للذهاب الى اجتماع ما . لا أستطيع ان أكتب لك اشياء كثيرة لعدم ثقتي بالبريد . ان التجارب التي نمر بها هنا في ايطاليا مثيرة للاهتمام الى أقصى الحدود وتطرح باستمرار مشاكل جديدة يجب حلها . في هذه الايام تعقد عدة مؤتمرات للمناطق ، وسوف تعطينا هذه المؤتمرات الصورة العامة لقوانا ولقدرتنا على النضال ، وهكذا يمكننا ان نضع برنامجا جديا للعمل اكثر دقة وتنظيما مما تم حتى الان (...) .

انطونيو

من غرامشي الى جوليا شاخت : الاعصار التاريخي

(روما) ، ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٤

عزيزتي الغالية ،

عدت من ساردينا قبل ثلاثة ايام ، فوجدت رسالتين وصلتاني منك . علي ان أكتب لك مجلدا بكامله حتى أستطيع ذكر كل انطباعاتي في هذه الايام . ان الاحداث تتوالى بسرعة فائقة ، ومع ذلك فهي تتسم بأشكال متقلبة وطفولية الى درجة ان اعطاء فكرة واضحة عنها لمن لا يعيش في ايطاليا ، غارقا في الجو ، يحتاج الى معالجة منظمة حول

نفسية الفاشية ، هـــذه المرحلة الحادة مـــن الحضارة البورجوازية للتحلل المتسارع في حين ان البروليتاريا ما زالت لا تملك التنظيم الذي يمكنها من استلام السلطة . لقد وصل انهيار المعنويات والجبن والفساد والاجرام الى حدود غير معروفة سابقا ، أصبح الاطفال والاغبياء هـــم الرمـــوز السياسية للاوضاع ، وهم يبكون او يجنون تحت ثقـــل المسؤولية التاريخية التي القيت فجأة على كاهلهم من قبـــل الهواة الطموحين غير المسؤولين . وتتوالى المأساة والمهزلة على المسرح دون ان يكون لاحداهما علاقة بالاخرى. ووصلت الفوضى حدودا كانت تبدو مستحيلة حتى للخيال الذي بلا حدود . أعتقد في بعض الاحيان اني انا ايضا أشبه بريشة في هذا الاعصار التاريخي ، ولكن لي طاقة كافية للحفاظ على كل البرود الممكن والقيام بعمل ما أعتقد انه واجب علي(...)

عزيزتي ، قد لا استطيع تصور اني اصبحت أبا ، وقد يكون كل شيء يعتمد على هذا الموقف . في ضيعتي كثيرا مـــا لعبت مع ابنة عم لي في الرابعة من عمرها . كانت تخاف من السرطان المسلوق ، فجعلتها تعيش قصة طويلة يدخـــل فيها ٥٣٠سرطانا سيءالاخلاق يقودهم جنرالهم ماستيكابوردو وتعاونه هيئة اركان لامعة (المعلمة سانغويسوغا «مصاصة الدماء » ، والمعلم سكارافاجو « الصرصار » والكابتـــن باربابلو « ذو اللحية الزرقاء » .. الخ) ، وجماعة مـــن السرطان الطيبي القلب بينهم فارفاريلو وياتايون وبارابيانكا وبارابانيرا .. الخ . وكانت جماعة السرطان السيئي الاخلاق تقرص ساقي الطفلة بيدي ، وكانت الجماعة الطيبة القلب من السرطان تتراكض للدفاع عنها راكبة دراجات ثلاثيـــة العجلات ومسلحة بأسياخ ومكانس . وكانـــت اصـــوات الدراجات تتتابع مع ضربات المكانس ، وتختلط بالحـــوار الساخن ، فيمتلىء البيت كله بمجتمع من السرطانات الناشطة في كل اتجاه ، بين دهشة الطفلة التي كانت تصدق كل شيء

وتتحمس لاحداث القصة وتخترع هي نفسها أحداثا وحوارا جديدين تدخلهما في قالب القصة الاصلي . لقد عشت جزءا من طفولتي ، وسعدت مدة ثلاثة ايام اكثر بكثير من سعادتي بتلقي زيارات نبلاء البلدة ، بمن فيهم من الفاشيين ، الذين كانوا يأتون الي بكل احترام وتقدير ، يهنئوني بكوني انا اصبحت ... نائبا، حتى ولو كنت شيوعيا. ان الساردينيين يشعرون بالفخر...هه . تعيش باريس ! ولتتقدم ساردينيا الى الامام ! انه امر يسلي بلا شك . ولكن ، أتاني أيضا اعضاء الجمعية المحلية للنجدة المتبادلة ، وبينهم حرفيون وعمال وفلاحون ، جاؤوا يدفعون امامهم رئيس الجمعية الذي ما كان يريد توريط الصبغة اللاسياسية للجمعية التعاضدية . وطرحوا علي اسئلة كثيرة عن روسيا ، وعن كيف تعمل السوفياتات ، وعن الشيوعية ، وعما يعنيه رأس المال والرأسمالية ، وعن تكتيكنا تجاه الفاشية ..الخ. وكان هذا الاجتماع مثيرا للاهتمام الى حد كبير ، لانه اذا كان قد أعطاني مقياسا للاحكام المسبقة الشائعة ولتخلف القرية الايطالية ، فانه اعطاني الدليل ايضا على مدة النفوذ الذي تمارسه روسيا دون علم من احد : « نريد ان نصبح كلنا روسا » ، حتى الرئيس انتهى بعد كثير من التردد الى الموافقة على ذلك . عندما أرتب ذكرياتي بعض الشيء سأكتب لك عن بعض الاحداث المميزة للحياة التي وجدتها هناك ، ولكني غارق في الاعمال ، واني انتزع دقائق قليلة بين روحاتي وجيئاتي من مكان الى اخر في روما (لاكتب لك هذه الرسالة) . هناك رفيق سيسافر بعد ايام الى مرسيليا وسأرسل لك معه بعض قطع الصابون (كنت قد ارسلت علبة صابون بالبريد واخرى مع احد المسافرين) وسأرسل معه كذلك قبعة سادية من قرية ديزولو تثبت ، في رأيي ، وجود قرابة غريبة بين الشركس وجبلي باراجا (باراجا : برابرة) . اضمك الي بقوة ، بقوة ، يا عزيزتي .

انطونيو

من غرامشي الى جوليا شاخت: مرة اخرى حول تطورالحزب

(روما) ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٤

عزيزتي ، لم أستلم اخبارك منذ حوالي شهر تقريبا . اما انا فقد اضطررت مرة اخرى الى الابتعاد عن روما بالتحديد في ايام البريد ، ولهذا فقد اغفلت رسالة واحدة . خلال بضعة ايام سأغادر روما ثانية وابقى في ميلانو ما لا يقل عن ١٥ يوما . اننا نعمل بشكل مكثف . لقد توضحت الحالة السياسية الراهنة بشكل يضطرنا الى العمل المنمنم، ولكنه عمل عملاقي بمجموعه . لقد بدأت البروليتاريا تصحو مجددا وتستعيد وعيها لقوتها ، والصحو الاكبر هو بين الفلاحين ، ذوي الاوضاع الإقتصادية الرهيبة . ولكن التنظيم الجماهيري ما زال صعبا ، وتحرك الحزب بمجموع خلاياه ومجموعاته القروية ما زال بطيئا ، وكذلك عمله . ويجب على مركز الحزب ان يتدخل باستمرار في المواقع ، وان يستثير العمل ويشرف عليه ، وان يساعد الرفاق ويوجههم ويعمل معهم . لقد اصبحنا اقوياء جدا ، ونجحنا في عقد ندوات عامة امام المصانع بحضور ٤٠٠٠ عامل يحيون الحزب والاممية . وما عاد الفاشيون يبثون حولهم خوفا كبيرا ، وصار يحصل ان تنتهي الندوة الجماهيرية فتتقاطر الجماهير للهجوم على منزل احد قادة الفاشية . البورجوازية مفككة ، وما عادت تقدر اعطاء نفسها حكومة تحصل على الثقة ، وصار عليها ان تتعلق يائسة بأذيال الفاشية . وبدا الوهن يصيب فئات المعارضة التي تعمل في الواقع فقط للحصول من موسوليني على احترام اكبر للصيغ الشرعية.

استلمت رسالة من مجموعة من الرفاق الايطاليين الذين ارادوا الاحتفال معك بعيد الثورة في تشرين الثاني (نوفمبر) ، وكان لهذه الرسالة بعض طعم الوقار الذي

اعجبني . من ناحية اخرى ، كانت الرسالة تفيض بلا شك بروح الاخلاص والصراحة . واود ان اعرف منك كيف جرت هذه الاحتفالات ، وسأكون في غاية الرضى اذا عرفت ان الطفل ترك بعض اثاره على المحتفلين تعبيرا عن بهجتـــه وفرحه . ان هذا لا يعني ابدا اني افكر في اهانة كرامـــة الصغير او الاساءة الى التربية الجيدة لتي حاولت اعطاءها لـــه (...) .

انطونيو

من غرامشي الى جوليا شاخت : تحديد الاوضاع

(روما) ، ١ حزيران (يونيو) ١٩٢٥

عزيزتي ،

استلمت رسالتك المؤرخة في الفترة الواقعة بين ١٠ و٢١ ايار (مايو) ، ولست اعرف اذا كنـــت قـــد استلمت الرسالتين اللتين ارسلتهما . اعتقد ان هنالك بعض الفوضى والتشويش في توزيع البريد سواء عندي ام عندك .

الحياة عندي تسير بهدوء ظاهري ، بمعنى ان ليست هنالك اية مشاهد دراماتيكية . على العموم ، ان الاحداث تجري بشكل عنيد ويجب تركيز كل الاهتمام عليها لمتابعتها وفهمها ومحاولة قيادتها . ان القوى الاجتماعية الفاعلة في البلاد راحت تتحلق اكثر فاكثر اما حول الفاشيين او حولنا، اما الاحزاب الوسطية فبدأت تموت ببطء . الازمة تعـــم الجميع . في بعض نوادي المثقفين، حيث كنا نتصور استحالة دخولنا بشكل من الاشكال بدأت ترتفـــع بعـــض الاصوات المطالبة بالجبهة الواحدة مع العمال الثوريين . ان تقدمنا في تنظيم الطبقة العمالية يسير بتسارع مستمر . وهكذا صرنا

نجد انفسنا اقرب فأقرب من سلسلة نقاط بحاجة الى حلول:
١ ــ التهديد من قبل الاصلاحيين الذين لا يريدون السماح لنا بان نظهر علنا اننا الحزب الاقوى نسبيا ، بالوصول الى الانقسام النقابي . ٢ ــ التهديد من قبل الفاشيين بتكسير اضلاعنا ، لنفس السبب . ٣ ــ العمل الدؤوب داخل الحزب لليساريين المتطرفين لخلق الفئوية . اننا غاية في القوة الى درجة تمكننا من عدم اتخاذ مبادرات تكشف قوانا، وما زلنا ــ في نفس الوقت ــ غاية في الضعف الى درجة لا تمكننا من مواجهة الصدمة الشاملة .

ولهذا فان الهدوء الظاهري منسوج بكثير من القلق والتوتر المستمر . وانا وحيد . عزيزتي ... اشعر بوحدتي اكثر من اي شيء اخر ، وبعض السبب في هذا يعود ايضا الى ان التنظيم السري للحزب يجبرنا على ان نعمل بشكل افرادي ومستقل احدنا عن الاخر . اني احاول الهرب من صحراء السياسة البحتة هذه بالذهاب كثيرا لزيارة تاتيانا التي تذكرني بك . ولكن ما من شيء يعوضني عن غيابك . كل المشاهد التي اراها في العالم المحيط بي تذكرني بك وبديليو وتجعلني اشعر بتعاستي بشكل أعمق . من ناحية اخرى ، اني لا استطيع الانغماس في العمل الحزبي كما يجب وكما اريد . لقد بدا الحر هنا يحطم اعصابي ويعيد لي الارق المزمن . ولكن هذا غير مهم . كل شيء يمر ، لاني متأكد انك ستأتين الى ايطاليا ، وستتاح لقوانا فرصة التوسع ولشخصيتنا فرصة التثبيت من خلال تعاوننا معا في تنشئة ديليو . اضمك بقوة ، بقوة يا عزيزتي ، انت وطفلنا .

انطونيو

من غرامشي الى جوليا شاخت : كسب اكثرية الحزب

(روما) ، ١٢ تموز (يوليو) ١٩٢٥

عزيزتي يولكا ،

كنت خارج روما واضعت بذلك فرصتين للكتابة اليك. لقد سافرت ، فذهبت الى البندقية والى تريسته لاناقش مع الرفاق هناك الوضع الداخلي للحزب ، وهو جيد جدا ، بل افضل بكثير مما كنت أظن انا نفسي . في المؤتمر ستكون لنا اكثرية ساحقة ، والحزب اكثر بلشفية مما كان يمكن الافتراض ، وكانت ردود الفعل فيه حازمة ضد فئوية المتطرفين البورديغيين . لقد انتصر خطنا السياسي فعلا ، داخل الحزب باعتبار ان الاتجاه المتطرف تفكك وانتقلت اكثر عناصره المسؤولة الى مواقف الاطروحات الاممية ، وبين جماهير الشغيلة باعتبار انه صار لحزبنا نفوذ قوي ، ويقود من الخارج حتى جماهير الاحزاب الاخرى (...) .

انطونيو

فهرس الجزء الاول

صفحة

□ مقدمة ٣
□ حياة انطوني غرامشي ١٧
□ أتاوة التاريخ ٢٩
□ الحركة التورينية للمجالس العمالية ٣٩

اضراب نيسان (ابريل) - فوضويون ونقابيون - الانتاج الصناعي - تورينو عاصمة ايطاليا - انتفاضتان مسلحتان - متاريس وخنادق وأسلاك شائكة - التحالف التعاوني - في مرحلة ما بعد الحرب - الحماسة للمجالس - المجالس واللجان الداخلية اثناء الاضرابات - الهجمة المضادة على المجالس - المؤتمر الوطني الاشتراكي في ميلانو .

□ العمال والفلاحون ٥٧
□ في سبيل تجديد الحزب الاشتراكي ٦٣
□ الحزب الشيوعي ٧٥
□ عامل المصنع ٩٣
□ الدولة العمالية ٩٩
□ روسيا والاممية ١٠٥
□ مؤتمر ليفورنو ١١١
□ القوة والهيبة ١١٧
□ كايوريتو وفيتوريو فينيتو ١٢٣

□ الوظيفية ١٢٧
□ اشتراكيون وشيوعيون ١٣١
□ الاشراف العمالي في مجلس العمل ١٣٥
□ أعراض ١٤١
□ الشيوعيون والانتخابات ١٤٧
□ بيان الاشتراكيين ١٥١
□ خطة أمستردام ١٥٧
□ الجماهير والزعماء ١٦٣
□ الحرية للجميع .. اذا كان هذا يحلو لكم ! ١٦٩
□ من الرسائل ١٧٧

الى توليياتي : وضع الحزب ومستقبله (ص ١٧٠) ـ الى سكوتشيمارو : الجدل مع بورديغا والنضال ضد الفئوية (ص ١٧٩) ـ الى جوليا شاخت : عبادة الشخصية (ص ١٨٦) ـ الى توليياتي وتيراشيني : الخط الجديد للحزب (ص ١٨٧) ـ الى سكوتشيمارو وتولياتي : تكتيك اكتساب الحزب الى جانب الخط الجديد (ص ٢٠٨) ـ الى جوليا شاخت : صعوبات وشكوك (ص ٢٢٧) ـ الى توليياتي وسكوتشيمارو وليونيتي : المستقبل السياسي (ص ٢٣٢) ـ الى تيراشيني : الطرق الوطنية (ص ٢٤٢) ـ الى تيراشيني : الحزب والنقابة (ص ٢٤٧) ـ الى جوليا شاخت : جريمة اغتيال ماتيوتي (ص ٢٥٢) ـ الى جوليا شاخت : العمل التنظيمي الكثيف (ص ٢٥٥) ـ الى جوليا شاخت : أزمة الفاشية (ص ٢٦٠) ـ الى جوليا شاخت : البعد بين احتياجات الوضع وقوة الحزب (٢٦١) ـ الى جوليا شاخت : تطور الحزب (ص ٢٦٢) ـ الى جوليا شاخت : الاعصار التاريخي (ص ٢٦٤) ـ الى جوليا شاخت : مرة أخرى تطور الحزب (ص ٢٦٧) ـ الى جوليا شاخت : تحديد الاوضاع (ص ٢٦٩) ـ الى جوليا شاخت : كسب أكثرية الحزب (ص ٢٧١) .

الثمن : ٩ ل.ل. أو ما يعادلها